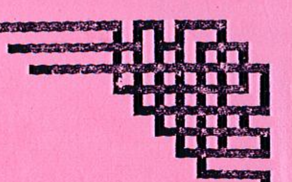


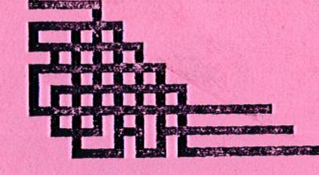
القصة القصيرة فى أسبانيا

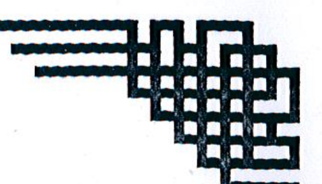
خلال فترة مابعد الحرب الأهلية

(١٩٤٠ - ١٩٨٠)

تقديم ومختارت

د. على ابراهيم منوفى





القصة القصيرة فى أسبانيا

خلال فترة مابعد الحرب الأهلية

(١٩٤٠ - ١٩٨٠)

تقديم ومختارت

د. على ابراهيم منوفى

تقديم

ربما لم يحظ الأدب الأسبانى عامة والقصة خاصة خلال فترة مابعد الحرب الأهلية الأسبانية ، إعتباراً من عام ١٩٣٩ وحتى الآن ، إلا بالقليل من العناية خاصة فيما يتعلق بترجمة الأعمال الكبرى والهامة فيه إلى اللغة العربية . وقد تركزت الأضواء - ترجمة ودراسة - على بعض شعراء الجيل السابق على الحرب - خاصة جيل عام ١٩٢٧ - ونذكر فى هذا المقام الدراسات والترجمات للوركا .

أما فيما يتعلق بالفترة التى نحن بصدد التقديم لها فلم تظهر إلا بعض الأعمال المترجمة منها على سبيل المثال "الملائكة الأبرياء" لميجيل ديليبس . ثم أخذت تظهر مؤخراً ترجمات لغيره من القصاصين خاصة كاميلو خوسيه ثيلا بعد أن حصل على جائزة نوبل للأداب.وربما كان السبب وراء قلة الترجمات هو حداثة الموضوعات وبالتالى قلة الدراسات وعدم تبلور المعالم الأساسية لجدلية تطور الأدب الأسبانى . كما أن القصة فى أمريكا اللاتينية قد سرقت الأضواء عن جدارة فى حالات كثيرة، الأمر الذى أدى إلى العناية بها أكثر . وعموماً فهذا الجانب فيه مزيد من الأثراء للترجمات عن الأداب المكتوبة باللغة الأسبانية .

وقد إخترنا هذه الفترة الزمنية (١٩٤٠ - ١٩٨٠) لأنها واحدة من الفترات التى إمتلأت بالكثير من التحولات فى المجتمع الأسبانى

كما أنها الفترة التى سيطر فيها الجنرال الراحل فرانسكو على مقاليد الحكم ، والتى عاش فيها المجتمع الأسبانى الواناً من العَوَز الأقتصادى والثقافى . وعانى من ضيق مساحات الحريات المتاحة سواء الحريات السياسية أم الفكرية ، وسيطرت الكنيسة - ولو لفترة - على شئون التعليم ، وعزلت دول الحلفاء أسبانيا عن العالم الخارجى ... إلخ . كل هذه الظروف الأجتماعية والسياسية والأقتصادية والفكرية جثمت على صدر الأبداع الأدبى وشتى نواحى الحياة ، وقد حاول الكُتّاب السير قدماً رغْم المحاذير وإختلفت مساراتهم وأراؤهم حول مواجهة جهاز رقابى صارم وصفه الكثيرون بالجمود لدرجة أن الكثير من الكُتّاب قد لجأ إلى ممارسة نوع من الرقابة على الذات حتى فى لحظات الأبداع .

من هنا بالتحديد كان هذا أحد جوانب إهتمامنا بتلك الفترة . وحتى يستطيع القارىء أن يطلع على إنتاج أدبى - القصة القصيرة بالتحديد - نبت محاطاً بكل الظروف البالغة القسوة التى سبقت الأشارة إليها .

لقد إخترنا القصة القصيرة هنا ، خلال هذه الفترة ، لأنها أحد الأنواع الأدبية الهامة ، كما أن أحد الملامح التى يتسم بها هذا الفن القصصى وهو الإيجاز تمكننا من أن نعرض لقطاع كبير من الكتاب الأسبان على إختلاف أجيالهم ومشاربهم الفكرية والثقافية .

بقى أن نشير إلى نقطة هامة وهى أن هذه الدراسة تقتصر على الأدب المكتوب باللغة الأسبانية داخل أسبانيا ، وهذا يعنى أنه لم يدخل فى هذه المختارات أى من كتاب المهجر الأسبانى الذين تركوا بلدهم طائعين أو مجبرين .كما لاتضم أعمالاً مكتوبة باللغة القطلانية أو الجاليثية أو الباسكية (كلها لغات محلية فى أسبانيا) وأن كنا نود الأشارة إلى أنه رغم هذه المحاذير فهى تضم كتاب من مختلف أنحاء أسبانيا .

والله نسأل أن يلهمنا تدارك جوانب القصور فى دراسات قادمة إن شاء الله .

د. على إبراهيم على منوفى
مدرس بقسم اللغة الأسبانية
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

المصطلح

بادىء ذى بدء ليس الهدف من هذه النقطة هو الإستقراء الكامل لكافة المصطلحات المتعلقة بهذا النوع من "القص الموجز" أو بمقولة أخرى "القصة القصيرة" Narracion . ولكن مايهمنا فى هذا المقام هو رصد بعض المصطلحات التى يتم تناولها فى هذا المقام وربما اقتصار أو غلبة استخدام بعضها الآخر حتى نكاد نجد مايشبه بالإجماع على استخدام مصطلح واحد ، ألا وهو cuento فاللفظة طبقاً لقاموس الأكاديمية الملكية الأسبانية تفسر على أنها : "قصص موجز لأحداث متخيلة ، ذات طابع بسيط ، الهدف منها التسلية أو العظة ".

ومانود أن نوجه النظر اليه فى هذا التفسير هو طابع الإيجاز. وإذا مانظرنا إلى الجذور الأولى للمصطلح فنجد أنها مشتقة من الفعل Contar الذى اشتق بدوره من اللفظة اللاتينية Computare بمعنى العد ، ثم بعد ذلك تغير المدلول الخاص بالعبارات المشتقة عن الأصل من العد إلى سرد أحداث وقعت فى البداية ثم متخيلة فيما بعد .

غير أن لفظة Cuento كان لها مشاكل خاصة فى اللغة الأسبانية ، فكانت تطلق قديماً على كثير من الأقاصيص الموجزة، إما لفظة Fabula أو Enxiemplo أو apologo أو

Proverbio... [١] الخ وإذا أردنا معرفة معانى هذه المصطلحات الآن نجدها كالتالى: -

كلمة fabula قصة تكتب شعراً أو نثراً وتستخرج منها عبرة أو عظة ، وتكون شخصياتها عموماً من الحيوانات أو النباتات..." أما apologo فهى : " قصة ذات أحداث خيالية يقصد بها حقائق محددة [٢] " أما enxiemplo فهى تلك الأقاصيص التى تساق للتدليل على صحة مبدأ معين وخير مثال على ذلك فى الأدب الأسبانى هو الجزء الأول من كتاب "الكونت لوكانور" والذى يتكون من إحدى وخمسين أقصوصة . يتبقى لفظة proverbio فمعناها : مثل أو حكمة من الحكم وأبرز ملامحها هو الأيجاز .

هذه كلها مصطلحات كانت تستخدم فى الماضى ولم تكن لفظة cuento المستخدمة الآن إلا إحداها .

بعد ذلك أخذ يظهر مصطلح Novela المشتق من اللفظة اللاتينية Nova بمعنى الحكاية القصيرة وهو مدلول جاء من اشتقاقات أخرى له فى اللغة الإيطالية وانتهى به الأمر بعد ذلك الى لفظة Novela التى تطلق على القص الموجز المدون أما لفظة cuento فكانت تعنى القص الموجز الشعبى أو الشفهى ، ثم تطور الأمر بعد ذلك ليطلق لفظ Novela على القصة أو الرواية المطولة، أما لفظة cuento اليوم فهى طبقاً لأحد الكتاب تعنى

أمرين يجب التمييز بينهما أحدهما : cuento literario وهـى القـص الموجـز ذو الطبيعـة الأدبيـة ، الثـانـى : el cuento popular وهى القصة القصيرة الشعبية ثم يضيف مصطلحاً ثالثاً وهو novela corta بمعنى القصة القصيرة ، لكنه يضيف هنا أنها أطول مما يدل عليه لفظ Cuento وأقصر مما يدل عليه لفظ Novela[٣] أى رواية ويتضح من استعراض المصطلحات الثلاثة الأخيرة: novela , novela corta , cuento literario نجد أن الفيصل لدى المؤلف هو الإيجاز والتطويل دون أن يأخذ فى الأعتبار المفهوم البنائى للفظ Cuento القصة القصيرة أو مفهوم الرواية بشكل عام .

ومن يراجع بصفة عامة عناوين المؤلفات التى أخذت تظهر فى الآونة الأخيرة نجد أن لفظ Cuento بمعنى القصة القصيرة هو الأكثر وروداً دون أية إضافات فعلى سبيل المثال أوراق حول القصة الأسبانيـة المعاصـرة papeles sobre el cuento español contemporáno ، القصـة القصيـرة فى أسبانيا خلال فترة مابعد الحرب الأهلية cuento español de posguerra ، مختارات لكتاب القصة القصيرة المعاصرين " ... الخ .

ورغم إنتصار هذا المصطلح - Cuento - واضعين فى الأعتبار اختلاف الآراء حول حجم الإيجاز، فإنه انتصار حديث إذ

يلاحظ البروفسور Mariano Baquero Goyanes فـي كتابـة[٤] Antología delcuento español contemporáno أنه خلال القرن التاسع عشر كانت بعض القصص القصيرة تكتب شعراً وليست ببعيدة عن الذاكرة الكثير من قصائد الرومانث الأسبانيـة Romances التى تشبهها إلى حد كبير تلك القصص الشعرية الكثيرة المكتوبة خلال القرن التاسع عشر .

ولما كان الخلاف بين الكثير من النقاد قائماً - أساساً - على مبدأ الإيجاز فإننا نجد الكثير من المصطلحات الأخرى التى تشير الى القصة القصيرة منتشرة وهى Novela corta , relato breve Relato cortoفعلى ذلك نجد عناوين مثل "مختارات من القصة القصيرة خلال فترة مابعد الحرب الأهلية ..Cuento español de لأحد أبرز كتاب ذلك النوع الأدبى وهو Medardo Fraile، ففى ثنيات المقدمة يشير الكاتب الى احدى القصص القصيرة بعبارة:-

"وخير مثال على Relato breve نجده فى قصة :"الأمى وكرة البلياردو" المدرجة فى نفس المختارات.أى أنه لافرق عنده بين Cuentoو Relatobreve ثم يقول فى المقدمة أيضاً "أنه بناء على رغبة دار النشر فى أن تكون المختارات فى حجم لا يزيد على الثلاثمائة صفحة من الحجم الصغير فإن الأمر مهيأ لإختيار

Cuentos cortos وهو ما أفضله "(٥).

مصاعب الاقتراب :

يجد دارس القصة القصيرة فى أسبانيا وخاصة خلال فترة مابعد الحرب الأهلية مصاعب جمة عند محاولة الحصول على مادة علمية يسترشد بها فى محاولته وتتمثل هذه المصاعب فى :

(١) " من المؤكد أن دور النشر فى أسبانيا ترفض نشر المجموعات القصصية بإستثناء المحاولات البطولية التى غالباً مايكون مصيرها الفشل "- لكن أمام هذا الأمر هناك تأكيد آخر أكثر غرابة وهو القائل : بأن "كافة كتاب أسبانيا يكتبون القصة القصيرة"(٦) ومنهم عدد كبير يتميز إنتاجه الأدبى فى هذا المضمار بالجودة العالية ومحاولة إضافة الجديد سواء من الناحية الفنية أو تجديد الموضوعات .

وكانت العلة التى تسوقها بعض دور النشر لعدم الإهتمام بالقصة القصيرة - وخاصة خلال فترة الأربعينيات من هذا القرن - هى أن القارىء العادى لايقبل على مثل هذا النوع الأدبى فلماذا إذن إنفاق الأموال سدى " ؟

ونتساءل : ما هو المخرج أمام الكتاب الذين يحاولون أن ترى أعمالهم النور ؟ منهم من يلجأ للنشر على نفقته الخاصة ومؤدى هذا

الأمر هو الطبعات الخاصة التى لاتوزع توزيعاً جيداً فتحظى بالقليل من الدعاية ومن الدراسة النقدية ، وهناك من هم أسوأ حظاً وهم تلك الفئة التى لاترى أعمالهم النور "(٧).

هذه إذن إحدى الصعوبات الرئيسية التى يواجهها الدارس وإن كانت آثارها السلبية قد قلت بعض الشىء بحلول عقد الخمسينيات حيث أخذت بعض دور النشر تغير من سياساتها وكثر إنتاج القصة القصيرة لدرجة أن بعض الكتاب أرجع الظاهرة - خاصة خلال فترة الخمسينات - إلى أسباب إجتماعية أساسها ضيق ذات اليد لدى معظم فئات المجتمع ولجوء الكثير منهم إلى الجمع بين أكثر من وظيفة وبالتالى لجوء البعض لكتابة القصة القصيرة أملاً فى مصدر مادى يجعله يتحمل أعباء يومه قبل غده .

(٢) من الملاحظ أيضاً قلة إهتمام النقاد بهذا النوع الأدبى فإذا ماتصفح الدارس أى مؤلف حديث أو قديم بعض الشىء عن تاريخ تطور الأدب الأسبانى خلال هذه الفترة فسوف يلمس على الفور أن معظم هذه الكتب لم تعالج موضوع القصة القصيرة حتى من خلال اعتبارها - كما يرى البعض - فرعاً من فروع النوع الأكبر وهو الرواية(٨).ثم هناك ظاهرة أخرى وهى أن كل من يشعر بموهبة أدبية فى ميدان القصّ يبدأ بما هو أكثر يسراً وسهولة وبما يستغرق وقتاً أقل وبما يعتبره بأنه مرحلة فى حياته وهو التدريب على الكتابة(٩).نحن

إذاً أمام عقبة نقدية مزدوجة : فمن ناحية نجد قلة الأعمال النقدية عن القصة القصيرة ومن ناحية أخرى نرى نظرة قاصرة سواء من بعض النقاد أو من بعض الكتاب الذين لم يضيفوا شيئاً إلى هذا الميدان تتلخص فى اعتبار القصة القصيرة أختاً صغرى للرواية وأن اهتمام البعض بها لايتجاوز عملية مرحلية فى مراحل إبداعه والتى تستهدف أن تتوج بكتابة الرواية ، ومع كل المعوقات القائمة فأن القصة القصيرة فى أسبانيا أخذت تزدهر وتنمو حتى تفوقت على الرواية(١٠).

ومما ساعد ويساعد على انتشار القصة القصيرة وازدهارها خلال فترة الخمسينات فى أسبانيا هو تغير سياسة الكثير من دور النشر وإقبال الكثير من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية على تخصيص مساحات لهذا النوع الأدبى كما أن الظروف التى يعيشها قارىء اليوم والمتمثلة فى قلة الوقت وتعوده على التركيز الذى يشاهد نتاجه فى الافلام السينمائية كل ذلك هيأه نفسياً للإقبال على القصة القصيرة .

هناك جانب نقدى آخر ألا وهو أن المحاولات الخاصة والقليلة بالتأريخ للقصة القصيرة فى تلك الفترة - مابعد الحرب الأهلية - قد اعتمدت أساساً على الربط بين الرواية والقصة القصيرة فما يحدث لهذه يحدث لتلك وربما كان لهم عذرهم وهو المتمثل فى أن هذه هى

أولى المحاولات الجادة لدراسة القصة القصيرة . كما أن الكثير من القصاصين الأسبان قد جمعوا بين الرواية والقصة القصيرة وإن كان البعض منهم قد قصر جُلّ اهتمامه بالقصة القصيرة وبالتالى نجد أن هذا مبرر لمثل ذلك النوع من الربط ويضاف إليه مبرراً آخر وهو تعبير عن ايقاع سير المجتمع بشكل أو بآخر فما يحدث فى المسرح نجد مايماثله فى الشعر والقصة وهكذا فى باقى الفنون الإنسانية الأخرى .

القصة القصيرة خلال فترة الأربعينيات

أتسمت هذه الفترة بعدم الثبات على إيقاع واحد وعدم وضوح الرؤية أمام الكثير من الكتاب سواء فى ميدان الشعر أو المسرح أو الأنتاج القصصى ويرجع ذلك إلى طبيعة المرحلة ذاتها فقد استمرت الحرب الأهلية الأسبانية ثلاثة أعوام ذاق فيها كلا الطرفين المتحاربين أهوالها ، وإنتهت سنة ١٩٣٩ م بأنتصار الجناح الذى يتزعمه الجنرال فرانكو والذى يضم تحت لوائه عدة تيارات محافظة ويطلق عليه الجناح الوطنى ، وقد اتسم الإنتاج الأدبى خلال فترة الحرب بأنه يعبر عن وجهة نظر كل جانب - الجناح الوطنى ، والجناح الجمهورى - أى أنه ببساطة "أدب الالتزام" : وهو : التيار الذى نشأ فى إسبانيا وبالتحديد منذ إنتهاء "ديكتاتورية الجنرال بريمودى ريفيرا وإعلان الجمهورية الثانية واستمرت آثاره حتى مابعد الحرب الأهلية " (١١).

ورغم صعوبة وقلة الدراسات التى تناولت تلك الفترة فقد كانت القصة القصيرة هى النوع القصصى الأكثر شيوعاً ، ذلك أن ظروف الحرب والنشر "أدت إلى أن يكون هذا النوع هو بطل الحلبة" وعموماً فإن الإنتاج الأدبى الخاص بهذه الفترة قد استم بقلة الجودة نظراً لتقديم الكثير من العناصر على تلك الخاصة بجماليته وفنيته .

كان من نتائج الحرب الأهلية حدوث خلخلة فى الساحة الأدبية واضحة المعالم فمن ناحية هاجر الكثيرون من الكتاب الأسبان وخاصة

معظم أنصار الجناح الجمهورى الذى منى بالهزيمة وأصبح الأنقسام واضحاً فى عالم الإنتاج القصصى - القصة الأسبانية فى المهجر، والقصة الأسبانية فى الداخل - ولم يكن الأمر سهلاً أمام من بقى فى أسبانيا إذ كان عليه أن يواجه متاعب جمة أهمها الرقابة على الإنتاج الأدبى والتى اتسمت بالصرامة وسيطرة رجال الدين وأنظار الجناح المنتصر - الذين اتسموا بالتوجه المحافظ - على معظم مراكز التوجيه الثقافى من مدارس وجامعات والعديد من دور النشر والصحف .

نحن إذن أمام حالة "فراغ ثقافى" كما يرى الكثير من الكتاب الذين تعرضوا لدراسة هذه الفترة . لكن كانت هناك محاولة لشغل هذا الفراغ . أو إن شئت تعبيراً أدق طرح أيديلوجية جديدة تتسق والنظام السياسى الجديد . وتمثلت بعض ملامحها من خلال إبراز صورة اسبانيا فى العهد الأمبراطورى - القرنين السادس والسابع عشر - والتأكيد على البعد الدينى وكانت أدوات فرضها كثيرة ومتعددة منها :-

إصدار العديد من المجلات الثقافية مثل : مجلة "اسكوريال" ، "الاسبانى"و La Estafeto Literaria، "مجلة فانتازيا" وغيرها. وقد حفلت هذه الإصدارات بالعديد من المقالات التى من خلالها يمكن أن نعرف ملامح الأيدلوجية الجديدة ، وفى الحقيقة أنها ليست قيما جمالية جديدة بل هناك الكثير من النصوص التى تقدم العمل والقوة

على القيم الأدبية والجمالية " [١٢]كما أن هناك بعض المقالات التى تنتقد مواقف كتاب جيل سنة ١٨٩٨ م على إعتبار أنه جيل كشف عن جراح أسبانيا وأعتبر الأبداع كوسيلة للتعبير عن الوطنية ، وفى مقابل ذلك يحاول المدافعون عن الأيدلوجية الجديدة حمل راية آداب تكون تربوية (...) وترتفع بالناس وأن يكون بجانب القيمة الجمالية قيم إنسانية . وعلى أى الأحوال فلقد تعرض هذا الجيل لكثير من الجدل بين مؤيد ومعارض [١٣]غير أن تطورات الحرب العالمية الثانية وميل كفة الميزان - بشكل واضح - الى جانب الحلفاء، وظهور الحاجة الملحة إلى نوع من المصالحة الوطنية أو الوصول للحد الأدنى منها بين المنتصرين والمهزومين قد أدى إلى أن تفتح المجلات ووسائل البث الثقافى أبوابها لبعض الإتجاهات المعارضة [١٤].

إذن فالإبداع الأدبى كان يعيش أزمة تعود أسبابها الى ماسبق أن ذكرناه ، غير أن أزمة الإنتاج القصصى - خاصة - قد بدأت قبل ذلك بزمن طويل حيث استنفدت الواقعية الموروثة من القرن التاسع عشر أهدافها ، وبرز ذلك الوضع المتأزم حتى من خلال قصاصى جيل الـ ٩٨ وهذا برغم الجهود الإبداعية الفردية لكل من باروخا (جيل٩٨)و بيريث دى أيالا (جيل ١٩١٤) [١٥].

واستمر هذا الوضع المتأزم حتى انحسار موجة التوجهات

الطليعية وخاصة تلك التى كان يقودها (لوركا ، بيثنتى الكسندر ، خورخى جيين) .. وغيرهم من شعراء الجيل الشهير المسمى جيل الـ ٢٧ . ومع نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات ظهرت محاولات قصصية جادة للخروج بالإنتاج القصصى من الأزمة وهى محاولات كل من (ليديسما ميراندا ، رامون خ . سندر) وغيرهما .

ومن أبعاد الأزمة التى كان يعيشها الإبداع الأدبى هى العزلة عن العالم الخارجى والتى استمرت مايزيد على عشر سنوات بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية والعزلة المفروضة على اسبانيا من جانب الحلفاء نظراً لموقف فرانكو المؤيد لدول المحور ..

وكان على المبدعين أن يواجهوا أيضاً التباعد بين الأيدلوجية الليبرالية التى وضحت ملامحها فى الأدب الأسبانى خلال العشرينيات فهى تتناطح بشكل صارخ مع الأيدلوجية التى يحاول النظام الجديد فرضها .

أمام هذا الوضع الجديد كان لابد من البحث عن نبراس وعن طريق جديد.وتجدر الاشارة فى هذا المقام إلى أن بعض الروّاد الذين يمثلون جيل (٩٨) قد ظلوا على قيد الحياة وفضلوا العيش فى اسبانيا فمثلاً آثورين - الذى عاد من منفاه سنة ١٩٣٩م أخذ يواصل كتاباته وأخذت كتبه تظهر الواحد تلو الآخر ومنها بضعة قصص له تضاربت آراء النقاد حولها [١٦].

إلا أن تأثيره على الأجيال الجديدة ليس على نفس درجة زميله فى الجيل - باروخا - الذى أخذ يعيد ترديد مفاهيمه السابقة لفن الأنتاج القصصى كما أخذ ينشر مذكراته مع بداية الأربعينات . مابين عامى ٤٣ - ١٩٤٩ - وتحول منزله إلى كعبة للأدباء الشبان .

كان على الساحة الأدبية أيضاً كتاب الأجيال الجديدة ولد بعضهم مابين عامى ١٨٩٠، ١٩٠٥ وهم :

Ledesma, Miranda , Zunzunegui , Arconada , Bareà , Sender .

والجيل الآخر هو الذى ولد أفراده مابين عامى ١٩٠٥ , ١٩٢٠ ومن أبرزهم

Miguel Delibes , Eleno Quiroga , García Serrano , Francisco G arcía Pavón , C.J.cela

لكن أخذت الواقعية تعود من جديد إلى الأدب الأسبانى مع منتصف الأربعينيات إذ يقول ثيلا :

" لازلت أعتقد أن القصة هى مرآة الواقع سواء كان واقعاً جميلاً أم قذراً " ويرى الكاتب Zunzunegui " أن الواقع هو جوهر الأشياء فى الفن ولاقيمة للقصة إذا لم تكن هناك مشاعر

إنسانية(١٧) .

ويلاحظ Eugenio De Nora وجود أكثر من إتجاه فـى إطار الواقعية أحدها(١٨): إتجاه يقوم علـى إحداث تجديد شكلى علـى الواقعية ويطرح إشكالية ثقافية أو أخلاقية تسيطر على العمل القصصى، وثانيها : اتجاه يمكن أن يطلق عليه القصة المحضة أى ذلك الذى يعتمد على الواقعية التقليدية فى كتابة الأعمال القصصية.

هذا إذن هو الطريق الرئيسى الذى أخذت تسير عليه الأجيال الجديدة وقد تمثل أحد روافده فيما أطلق عليه Tremendismo وهى لفظة تعنى التركيز على الواقع وخاصة الجانب العنيف منه أو الإصرار على تقديم وقائع مريرة ومنفرة" فى الأدب الأسبانى خلال الأربعينات وأول من أطلق هذا المصطلح فى ميدان الإنتاج القصصى كان الناقد Rafael Vazquez Zamora. ولأنه لم يكن المصطلح الوحيد للتدليل على هذا الإتجاه فقد استخدمت مصطلحات أخرى مثل : الطبيعية (تأثراً باميل زولا) ومصطلح الواقعية الجديدة(١٩).

وأول من ألقى بحجر فى البركة الراكدة هو كاميلوخوسيه ثيلا بقصته "عائلة باسكوال دوراتى (١٩٤٢) " وقد منعت الرقابة نشرها فى أسبانيا إذ رأت بعض الإتجاهات النقدية المحافظة أن القصة وماتمثله من إتجاه جديد Tremendismo- ليست إلا تعبيراً عن

وجود أعداء للدين وللنظام الجديد،وهم الذين أنهزموا بالأمس ورغم ذلك كان ثيلا - نفسه - من أنصار النظام الفرنكوى الجديد .

هنـاك رافـد آخر مـن روافد الواقعيـة أطلق عليـه البعض Anecdótico أى الطريف أو رافد الهروب وهو ذلـك الإنتـــاج القصصى الذى يسيطر موضوع الحب على معظم الأعمال فيه،فهو يكاد يكون منسياً اليوم ، وغالباً ماتكون المفاهيم قريبة من المفاهيم الأخلاقية المسيحية كما أن النهاية يمكن أن تطلق عليها نهاية وردية .

وقد شاركت المرأة كمبدعة وبنصيب وافر فى رافد الواقعية التقليدية منذ أوائل الأربعينات وبالتالى فإنه يعزى بداية اسهام المرأة الأسبانية فى الأعمال الابداعية خلال فترة مابعـد الحرب الأهليـة الى ظهـور قصـة Nada للكاتبـة Carmen La foret سنـة ١٩٤٥ (٢٠) .لكن ماذا عن القصة القصيـرة - بالتحديـد - خـلال الأربعينات ؟

إن المتأمل للدراسات الأولية التى ظهرت حتى الآن سوف يلاحظ أنه رغم جدواها إلا أنها تخلو من مسح شامل لحالة القصة القصيرة وبالتالى سنجد أنفسنا أمام عقبة - نأمل أن تزول شيئاً فشيئاً بالمزيد من الدراسة والإسهامات النقدية عن تلك الفترة - من أجل تقييم دقيق . وعموماً يمكن القول بأن كتابة القصة القصيرة ظلت على ماهى عليه خلال فترة الحرب الأهلية فى الكم والموضوعات

لكن لوحظ قلة الموضوعات التى تتعرض للحرب الأهلية.وتركزت كتابة القصة القصيرة على الرافد الثانى من روافد الواقعية (٢١). وخلال فترة الأربعينيات يرى الكثير من النقاد أنه وإن ظهر الإتجاه الواقعى المتمثل فى رافديه : - رافد الهروب ورافـــــد Tremendismo إلا أن كلاهما وخاصة الأخير لم يتحول إلى ظاهرة عامة ينضم تحت لوائها معظم الكتاب الأسبان بل كانا بمثابة علامة على ضرورة التغيير . ورآها البعض الآخر بأنها ظاهرة غريبة ولاتتفق والظروف الإجتماعية والسياسية آنذاك حيث أنه لايمكن أن يكون هناك تفسير معقول لتصوير مشاهد العنف وسط شعب عانى الحرب الأهلية والعزلة الشديدة خلال الحرب الأهلية وبعدها (٢٢).

كان تعذيب الذات أحد المخارج أمام سيطرة وصرامة الرقابة والأزمة السياسية كما أن هذه الظاهرة ليست بغريبة علي المجتمع الأسبانى إذ أن قصة كاميلو خوسيه ثيلا "عائلة باسكوال دوارتى" قد سار فى بنائها على درب "قصص الشطار" أو "قصص الصعلكة" وخاصة القصة الشهيرة المسماه "لاثاريو دى تورمس" إذ قام مؤلف هذه القصة بنقد مجموعة من النماذج الإجتماعية مثل البخيل والقس وغير ذلك نقداً مراً وبالتالى فلم يكن ظهورها إلا تعبيراً عن رؤية نقدية غير مباشرة تكاد تكون الوحيدة في جويسوده القهر والاستبداد والتسلط وأن التحول عنه لم يكن إلا إيذاناً بمزيد من مساحات الحرية

النسبية التى سيحظى بها المجتمع الأسبانى خلال الخمسينات، تلك كانت شديدة الأرتباط بمدى تطور العلاقة بين نظام فرانكو والكتلة الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

الخمسينيات :

اتسم هذا العقد بدخول جيل جديد إلى الساحة الأدبية كانت قد ظهرت أولى أعماله فى النصف الثانى من الأربعينات - لاننسى الكاتبة Carmen Laforet وقصتها Nada ويمكن فى هذا الصدد أن نذكر بعضهم وخاصة من كان لهم باع طويل فىْ ميدان القصة القصيرة :

١٩٢١ Lauro Olmo، ١٩٢٥ Carmen Martin Gaite،
١٩٢٦ Alfonso Sastre ١٩٢٦، Jesus Fernandez
Santos ١٩٢٨ Rafael Sanchez Ferlosio ١٩٢٨
h afael sanchez J.G Hortelansd، ١٩٢٦ Ana Maria
Matute ١٩٢٧ Juan Benet ١٩٣٠ Fernando
Quinones... الخ هؤلاء هم الذين يطلق عليهم النقاد - أطفال الحرب - بمعنى أنهم كانوا صبية صغاراً عندما اشتعل أوار الحرب الأهلية الأسبانية فلم يشتركوا فيها مشاركة باليد وإنما عاشوا مآسيها فى فقدان الأهل والترحال من مكان لآخر وفى معايشة الدمار الذى انتشر فى كل أنحاء البلاد ثم بعد ذلك عاشوا ضيق ذات اليد

ولمسوها لدى أغلب الشعب الأسبانى وقلة مساحة الحريات المتاحة على كافة المستويات وقلة الأتصال بالخارج ... الخ .

هناك إذن المعايشة المشتركة لظروف واحدة سواء كانت إجتماعية أم سياسية أم ثقافية أم اقتصادية وأدى كل هذا الى نوع من التعاون بين الكثير منهم فهم جميعاً يواجهون مشكلة شعبهم ورد فعلهم متشابه فمنهم من تركزت موضوعات إنتاجه القصصى على الرتابة اليومية والبحث عن الجذور العميقة لها ومنهم من أهتم بالدفاع عن المظلومين (الشعب) ومنهم من دافع عن الشعب من منطلق النظر الى الاشكالية الإجتماعية من منظور فردى .

كان من سمات هذه الفترة أيضاً غزارة الإنتاج القصصى سواء فى ميدان الراوية أو ميدان القصة القصيرة لدرجة يرى بعض النقاد معها أنه يكاد يكون مستحيلاً الخروج بتقدير نقدى دقيق لما على الساحة. إلا أن الكثيرين يرون أن الكاتب كاميلو خوسيه ثيلا هو الذى قام أيضاً بضبط إيقاع المرحلة الجديدة وتوجيه دفتها إلى ميدان مختلف عن ملامح Tremendismo وذلك بقصته (الخلية) La colmena سنة ١٩٥٠م . هناك قصة أخرى هى Proceso personal أو "قضية شخصية" للكاتب خوسيه سواريث ، وقصة Noria أو "الساقية "للكاتب لويس روميرو .

هناك مسميات عديدة للاتجاه السائد فى هذا العقد تبدأ بلفظة

"الواقعية"[٢٣] بينما أطلق عليها البعض الآخر "الواقعية النقدية" وهو أندرس أموروس[٢٤] والبعض الثالث يسمونها الواقعية الجديدة بمعنى السير على الاطار الخارجى للواقعية التقليدية الموروثة وملء أو شغل هذا القالب بمضمون جديد يتعلق بمشاكل الإنسان الأسبانى وهمومه الآنية والمتعلقة بأطاره الأجتماعى الصغير والكبير فليس هذا زمان سرد طرائف الأحداث بل الاقتراب من الواقع القائم والمعاش الذى يلمسه المواطن العادى وإن الكاتب لايجب أن يظل فى برجه العاجى بعيداً عما يدور حوله . وقد لاحظ البعض أن القيمة الجمالية لازالت تراعى وتؤخذ فى الأعتبار بجانب النقد الأجتماعى . أى أنها واقعية تتخللها قيم جمالية ولكن فى إطار التشابه الشكلى هناك طرق مختلفة منها الموضوعية التى تشبه الأفلام والموضوعية التى تشبه نقل الواقع من خلال الميكرفون وتفاصيل الحياة اليومية الرتيبة أو ذاتية يحوطها جو من القمع .... [٢٥]

"وأغلب أحداث هذه القصص سلبية فالشخصيات لاتفعل شيئاً أكثر من الحركة بل وأحياناً لاتحدث هذه الحركة ويتقصر موقفها على مواصلة التواجد فى العمل وحسب ولاينبع هذا الموقف من أنها تجعل الهدف المنشود بل يرجع أساساً الى الصمت والتفتت" [٢٦].

ومن الناحية الفنية يلاحظ أن الطابع الجماعى هو الأكثر بداهة حتى أن عناوين القصص نجدها تشير الى الجماعية، مثل مكان

التقاء أو ناصية أو مكان يلتقى فيه الكثير من الناس (مثلما نجده فى قصة "الخلية" التى رسمت العديد من الأنماط الإجتماعية فى اسبانيا خلال فترة الأربعينيات وكان المكان هو مقهى فى العاصمة الأسبانية مدريد" كل هذا يشير الى سيطرة العنصر الجماعى على الأحداث [٢٧] وقد تلقى هذا الجيل عدة تأثيرات من الخارج منها فكرة الالتزام على طريقة سارتر والنزعة الإنتقادية التى عليها "الجبل الملعون" فى الولايات المتحدة ، وتأثيرات الواقعية الجيدة فى إيطاليا وخاصة عبر الكتاب والسينما . ومن فرنسا أخذ بعضهم أيضاً بتكنيك الموضوعية الفرنسية كما ظهرت خلال الخمسينات بوادر التأثيرات الواقعية الاشتراكية السوفيتية [٢٨].

لم تكن القصة القصيرة بمعزل عن التيارات الفكرية والتطورات التى تطرأ على القصة إذ سارت تلك على مسار هذه واعتبر الكثير من الكتاب أن هذا النوع الأدبى هو أنسبها جميعاً لاقتناص اللحظة الآنية وتسجيلها أو تكثيف الأضواء عليها ، كما أن القارىء الأسبانى، المفترض أنها موجهة إليه، لم يعد أمامه الكثير من الوقت ليقرأ الرواية ، وكثرت الجوائز الأدبية سواء للرواية أو للقصة القصيرة ومنها : جائزة ثربانتس للأداب اعتباراً من سنة ١٩٤٩ ، وقبل ذلك كانت جائزة Nadal ثم الجائزة المسماه Planeta اعتباراً من عام ١٩٥٢ (وهى الجائزة التى تتبع دار النشر التى تحمل نفس الاسم)

وجائـــزة Biblioleca Breve أو المكتبـــة الوجيـــزة سنـــة ١٩٥٨ التابعة لدار النشر SeixBarral ومن الجوائز الأخرى نلاحظ جائـزة "دون كيشـوت سنـــة ١٩٥١" وجائـزة المؤسســـة الثقـافيـــة مـــارش F.Narch سنة ١٩٥٥ وكذلك جائزة Sesamo، وليـوبولـدو ألاس ... الخ .

أخذت القصة القصيرة تحظى بالإهتمام أيضاً من خلال المناقشات الدائرة حولها فى العديد من المجلات الأسبوعية والشهرية والفصليـــة والصحـــف اليوميـــة ومنهـــا مجلـــة LeEstafeta literaria , Indice , Cuadernos Hispanoamericanos , Insula كما كانت القصة القصيرة أحدى الموضوعات الهامة المدرجة على جدول أعمال المؤتمر الجامعى للكتاب الشبان والذى كان مقرراً عقده عام ١٩٥٦ .

خلال الخمسينيات نشرت العديد من المجموعات القصصية التى تعكس عناوينها ماسبق أن أشرنا إليه بشأن الرواية وهو الادانة والتصوير المر للواقع الذي عليه الإنسان الأسبانى فمثلاً هناك المجموعة "الرجل والآخرون" سنة ١٩٥٣، "الزمن والماضى سنة ١٩٥٦ للكاتـب J. Campos، حكاية مـن منطـقة المناجـم سنـة ١٩٥٣ Manuel Pilares حكايات مع شـيء مـن الحـب سنـة ١٩٥٤ Medardo Fraile، انتظـــار الدرجـــة الثالثـــة سنـــة ١٩٥٥

Igneccio Aldecoa ، والـــــرأس الحليــــق سنـــة ١٩٥٨ (٢٩)؛ وأعمال لـJesus Fernandez Santos . وتدور معظم موضوعات القصص القصيرة حول الإنسان أولاً وغير ذلك يأتى فى المقام الثانى ، تعـود أيضاً للماضى الذى هو الزمن الأفضل - زمن الطفولة - والذى يمثـل المـلاذ والملجأ من فظاظة الحاضر وخشونتـه فـدور أحداثـهـا حــول حكايات عمال اليومية ومايتعرضون له من ضوائق جسام فـى سبيـل الحصـول على لقيمة العيش ، وتتنـاول هؤلاء الذيـن يعيشـون حالـة النفـى فى بلـدهم ... الخ .

الإتجاه الذى سارت عليه القصة القصـيرة إذاً هـو نفس اتجـاه الرواية وهو الذى أطلق عليه الكثيرون اسم الواقعيـة الأجتماعيـة (أو الواقعيـــة النقديـــة ،كترجمـــة منـا ، للمصطلـــح الأسبـــانى Realismo Social وأطلـــق عليـــه البعـــض الآخـــر Realismo socialista الواقعية الاشتراكية ، وعلى أى حال فـأن هذا المصطلح أو ذاك إنما يشيران إلى تركيز الكاتب على النقد الأجتماعى وتركيزه بشكل أساسى على الواقع الاقتصادى المتمثل فى الحرمان والفاقة والمتاعب الاقتصادية التى تعانى منها فئات كثيرة من المجتمع الأسبانى .

ولقد ظل هذا الاتجاه منتشراً خلال فترة الستينيات والعناوين الخاصة بالمجموعات القصصية هى خير دليل على ذلك ومنها :

القيود سنة ١٩٦٠ للمؤلفة كارمن مارتين جايتى ، "إلى أى مكان" سنة ١٩٦١ لخوسيفينا رودريجيث ، "الليالى السوداء" سنة ١٩٦٤ لألفونسو ساسترى ، "حكايات حقيقية" للكاتب فرانثيسكو جارثيابابون، "التمرد الإنسانى" سنة ١٩٦٨ لريكارد دومينتش ...الخ(٣٠)

عقدا الستينيات والسبعينيات :

شهدت فترة الستينيات (خلال نهاية الخمسينات وبداية العقد التالى دخول مجموعة أخرى من كتاب القصة القصيرة الى الساحة الأدبية نذكر من بينهم

١٩٣١ Daniel Suerio، ١٩٣١ Aclino Duque، ١٩٣٥ Francisco Umbral، ١٩٣٤ Luis Gaytisolo، ١٩٣٥ Ricardo Domenesh ١٩٣٦ Isac Montero، ١٩٣٧ Felix Grande، ١٩٣٧ J.M.S. Juan ١٩٣٧

كما شهدت هذه الفترة المزيد من مساحات الحرية المتاحة أمام الكتاب والنقاد وذلك بفضل قانون الصحافة الشهير بقانون فراجا ، كما بدأت تظهر ثمار لخطط خمسية للتصنيع وتحديث البلاد على كافة فئات المجتمع الأسبانى .

الإتجاه السائد فى الإنتاج القصصى هو سيطرة الواقعية النقدية

أو الأجتماعية والتى أطلق عليها البعض الواقعية الاشتراكية . ورغم الاختلافات الجمالية بين الكثير من كتاب هذا النوع من الإنتاج القصصى فإن هناك الكثير من نقاط الإلتقاء أبرزها: هو أن الطريقة المثلى لرصد الواقع إنما تكمن فى الوصف المباشر للظروف الأجتماعية والسياسية للبلاد ، وطبيعة هذا الوصف هى طبيعة وصفية إخبارية تعكس عدم المساواة ليس على المستوى الفردى بل على أنها مشكلة ذات طابع جماعى الأمر الذى أدى إلى انزواء الخيال لدرجة أنه كاد يختفى من هذا النوع من الإنتاج الأدبى وبالتالى قلة الثراء الفنى والأبداعى اللهم إلا فى القليل من هذا الكم الهائل (٣١).

هناك حل آخر للأزمة التى أخذ يدخل فيها الإنتاج القصصى وهو أن الهدف من الواقعية الأجتماعية أو الاشتراكية هو التوجه الى هؤلاء البسطاء من العمال والفلاحين وباقى أبناء الطبقة المعدمة وخلق رأى عام لآثارتهم ضد النظام الفرنكوى إلا أن هذا الهدف لم يتحقق أو لم تصل القصص والقصص القصيرة إلى هؤلاء وبالتالى لم تحدث تأثيرها المنشود واقتصرت قراءتها على أبناء الطبقة المتوسطة والطلاب الجامعيين كما أن الأحوال المادية لطبقة المعدمين المشار إليهم أخذت تتحسن تدريجياً .

ويمكن أن نضيف عنصراً آخر للتدليل على الأزمة التى يعيشها الأنتاج القصصى وخاصة الواقعية الأجتماعية أو الواقعية الاشتراكية

ألا وهو دخول الإنتاج القصصى لأمريكا اللاتينية الى الساحة الأدبية بأتجاهاته الجديدة ومافيها من ثراء فنى وخيال إبداعى يكاد يصل لدرجة الجموح . ومن ملامح الإهتمام بالإنتاج القصصى فى أمريكا اللاتينية هو حصول الكاتب ماريو بارجاس يوسا (من بيرو) على جائزة قصصية هامة هى : جائزة المكتبة الوجيزة الصادرة عن دار النشر Seix Barral، وهذا فى حد ذاته اشارة الى ظهور جمالية جديدة تختلف عن القيم الجمالية السائدة فى أسبانيا .

لكن ملامح الآزمة وضرورات التغيير فى المسار ظهرت مبكراً على الساحة الأدبية.ومن الطريف أن بوادر التجديد أو ضرورة إحداث التجديد لم تأت فقط من الخارج أو من الأجيال التالية للجيل الشهير - جيل أطفال الحرب - بل نبعت من هذا الجيل نفسه .

نشير بذلك الى قصة "زمن الصمت" سنة ١٩٦٢ للكاتب لويس مارتين سانتوس ، فقد استخدم لغة تتميز بالرقى الثقافى ووظفها لخدمة حكاية متخيلة لاتهدف الى أن تكون وثيقة جزئية وفورية ، بل الغرض منها القيام بشرح واف لشخصية اسبانيا . أما من ناحية مضمون القصة فهو جد بسيط إذ أنه عبارة عن التغيرات الداخلية التى تحدث لشخصية البطل "بدرو" ومواجهتها للعالم المحيط بها وهو الطبيب الشاب الباحث الذى يجد نفسه مجبراً على المشاركة فى عملية اجهاض غير قانونية أفضت إلى وفاة . بعد ذلك أخذ يميل الى

عالم الأدب وحضور الندوات التى تعرف من خلالها على فتاة هى ابنة لصاحبة بنسيون ، وطد علاقته بتلك الفتاة ولكن تم اغتيالها بعد ذلك انتقاماً منه لمشاركته فى عملية الاجهاض ، وباكتشاف أمره أقاله مركز الأبحاث الذى يعمل به ووسط هذا الموقف المثير للبلبلة يقرر ممارسة مهنة الطب فى القرى (٣٢).

ظهرت أيضاً قصص أخرى مثل : "يومان من سبتمبر" لخوسيه ماريا كابابييرو ، فى سنة ١٩٦٦ ظهرت قصة "الملامح الذاتية" لخوان جويتسيولو .

ومع نهاية هذا العقد - الستينات - أخذ بعض الكتاب الشبان وخاصة من ولد منهم بعد سنة ١٩٥٣ اتجاهاً يمكن أن يطلق عليه الأتجاه التجريبى أى الأهتمام بالبنائية فى الأنتاج القصصى وتكنيك القصّ وتركيز الأهتمام على البحث من خلال اللغة وبالتالى زاد الأهتمام بالتيارات الأجنبية وخاصة تلك الشخصيات التى أدخلت تجديدات فى الشكل مثل : جيمس جويس ، جيد ، بيكيت .

وتعكس المختارات الخاصة بالقصة القصيرة هذه الأزمة ومحاولات الخروج منها : ففى مقدمتة للطبعة الثانية "مختارات لكتاب القصة القصيرة المعاصرين فى أسبانيا" يشير المؤلف فرانثيسكو جارثيا پابون إلى أن طبيعة النشر على الساحة هى طبيعة "وظيفية" فى خدمة الأفكار ، وزاد الأهتمام بالمغزى الأخلاقى

والأجتماعى الذى يتسم بالهجوم والنقد .

وتأخذ اتجاهات البعض الآخر مسارها فى عالم الخيالات العلمية وتكهن الوضع فى المستقبل وهذه الطبعة نشرت سنة ١٩٦٦ [٣٣].

وفى عام ١٩٧٠ نشر كتاب مختارات بعنوان "القصة القصيرة فى أسبانيا اليوم" [٣٤] ويضم الكتاب بين دفتيه ثلاثة وعشرين قصاصاً هو فى مجملهم يمثلون الأجيال المختلفة المتواجدة على الساحة الأدبية آنذاك ، ويستشف منه سيطرة الأتجاه المسمى بالواقعية الأجتماعية ومع ذلك هناك إشارات واضحة تعبر عن اتجاهات تبتعد عن الواقعية الأجتماعية . هناك مختارات أخرى بعنوان "أثنين وعشرين قصاصاً اسبانياً اليوم " قدم له القصاص والشاعر فيلكس جراندى ، وهو كتاب يعكس أيضاً التيارات العديدة التى يمكن أن تسير فيها القصة القصيرة فى أسبانيا .

هـذه المختـارات :

يلاحظ القارىء أننا ركزنا الأضواء على مايسمى بجيل "منتصف القرن" أو جيل الخمسينيات ومنهم خيسوس فرنانديث سانتوس ورفائيل سانشيث فيرلوسيو وكارمن مارتين جايتى وخوان جارثيا أورتيلانو وفرانثيسكو جارثيا بابون وميداردو فرايلى وأنا

ماريا ماتونى .كما أن القصة القصيرة فى أسبانيا خلال هذه الفترة قد حازت ببعض العناية وخاصة من قبل دور النشر سواء التابعة للدولة أو دور النشر الخاصة كما أنشئت الكثير من الجوائز الأدبية ، وتمت محاولة عقد الكثير من المؤتمرات بشأن القصة القصيرة فى هذا المقام .

وقد جمعنا الأسماء السابقة الذكر لابشكل عشوائى وإنما على أساس أهميتها فى عالم القصة القصيرة كما أنها تجمع بين تيارين - فى نظر بعض الكتاب [٣٥]- هما تيار "الواقعية الجديدة" والذى يمثله فى نظره - خير تمثيل هو: ألديكوا وخيسوس فرنانديث سانتوس وكارمن مارتين جايتى ... الخ أما التيار الآخر فهو "القصة الأجتماعية" أو "الواقعية الأجتماعية" وهو تيار حسبما أشرنا مسبقاً ، يعرض فى تناوله الواقع للقضايا الأقتصادية والأجتماعية فى المقام الأول وبشكل جماعى ويطرح حلولاً - ذات طبيعة حزبية - للأشكاليات الأقتصادية وغيرها من الجوانب التى يعتبرها هامة على أرض الواقع ومن أبرز ممثلى هذا الأتجاه فى نظر بعض الكتاب [٣٦] جارثيا أو رتيلانو وخيسوس لوبث باتشيكو والفونسوجروسو . ويمكننا أن نضيف أيضاً أسم الكاتب المسرحى ألفونسو ساسترى والذى ترجمنا له إحدى قصصه القصيرة .

تضم هذه المختارات بعض أفراد الأجيال التالية لجيل الخمسينيات ومنهم ريكاردو دومينتشن ودانيل سوير وحتى يتسنى

للقارىء أن يلمح ولو بشكل جزئى إلى حد كبير بعض ملامح التنويع والتطوير فى هذا الفن القصصى .

كما قمنا بالترجمة للجيل السابق مباشرة على جيل الخمسينيات ومن أبرز الكتاب كاميلو خوسيه ثيلا وكارمن لافوريت وميحيل ديلبس ، هذا بالأضافة إلى كتاب آخرين مثل صموئيل روس ... وربما لم يكن لبعض من الكتاب الذين ترجمنا قصصاً لهم في هذه المختارات ، باع طويل فى عالم القصة القصيرة، لكن دجتنافى هذا المقام هو تميزهم فى ميدان الأنتاج القصصى وخاصة الرواية وحصولهم على العديد من الجوائز الأدبية أو أن بعض أعمالهم كان له أثر واضح فى توجيه دفة الفن الروائى فى أسبانيا خلال الفترة التى تناولناها بالدراسة .

وليغفر لنا القارىء المتخصص أننا لم نشر إلى أول تاريخ لنشر الكثير من هذه القصص القصيرة فى الصحف والمجلات الأسبانية فربما كان هذا ضرورياً إذا ماكانت المختارات القصصية لكاتب واحد ومحاولة منا لرأب جزء من هذا الصدع الذى لامناص منه - لقلة المراجع الضرورية - فقد قمنا بترتيب القصص المترجمة حسب تواريخ الميلاد لكل واحد من الكتاب ، بادئين بالأكبر سناً ومنتهين بأكثرهم حداثة فى السن ألا وهو ريكارد دومنيتش (١٩٣٨) .

الهوامش

(1) Rodriguez M. Diez " Antologia del cuento literario " Pag 14 Alhambra - madrid , 1988 .

(2) Ibid Pag 130 .

(3) Ibid Pag 15 .

(4) Bareloana , Laber , 1964 - Pag : 19 - 34 .

(5) Cuento espanol de posguerra - Pag : 13 - 1986 . (Catedra - Madie).

(6) Tigeras Eduardo : Ultimos Rumbos del cuento espanol . Pag : 9 .Columba - Buenos Aires (1969).

(7) Garcia Pavon F. Antologia de cuentistas . Pag : 8.Geredes - Madrid 19 , 1984 .

(8) Sanz villanueva - Santo H. de le literatura Pag : 144.

(9) Ultimos Rumbos . ob . cit . Pag : 13 : 14 Ariel - Barcelona 1985 .

(10) Pavon F. Garcia . Pag : 8 .

(11) S.Villa Santo .ob. : cit . Pag : 51 .

(12) Cachero Jose Maria : H. de novela espanola . Pag:65 - (Castailia - 1980 Madrid) .

(13) I bid . Pags. : 55 g 65 .

(١٤) لاننسى أن النظام الفرنكون كان من أنصار دول المحور وخاصة ألمانيا وإيطاليا رداً لدين المساعدة التى حظى بها خلال الحرب الأهلية الأسبانية .

(15) De Nora Eugenia . La novela espanola contemporanea - segunda edicion - Pag: 61 g 62 . Credes - Madrid , 1968 .

(16) Villanueva Santos . ob . cit Pag : 51 .

(17) Cachero J. M. op . cit . Pag : 73 .

(18) Lo novela espanola contemporanea III ob . cit . Pag.: 130 y 55 .

(19) Cachero J. M. Pag : 73 .

(20) Banero perg. - Oscar - El castalia didecticea - Madrid , 1989 . cuento Espainol - 1940 - 80 - Pag.:11 .

(21) Ibid . Pag. : 15 y 16 .

(22) Ibid . Pags : 9 y 55 .

(23) Cachero J. M. ob cit . Pag . : 154 .

(24) Atraves de cachero . I bid Pag . 155 .

(25) Dscar - ob . cit . Pag. : 19 y 20 .

(26) Sobejano G. ob. cit . Pag : 54 .

(27) Ibid Pag : 55

(28) Sanz Villanueva . ob. cit . Pag . : 106 .

(29) Froide . M. ob . cit . Pag : 26 .

(30) I bid Pag . : 27 .

(31) Villanueva . S. S. op. cit . Pag : 119 .

(32) I bid . Pag . : 160 .

(33) Pavon . F. Antologia de cuentistas espanoles contempo raneos . tercera edieion . Pag. 13. Gredos Madrid , 1982 .

(34) Madrid . Santillana .

(35) Villanueva S.S. Histanic de la novela social ob . cit Pag . 319 y 55 .

(36) I bid pag 382 y 55 .

SAMUEL ROS

ساموييل روس

ولد فى فنلسية عام ١٩٠٤ - وتوفى فى مدريد عام ١٩٤٤ من بين أعماله "مختارات" (١٩٢٣ - ١٩٤٤) مدريد ١٩٤٨ . بازار (١٩٢٨) السير للخلف (١٩٣١) حكايات ساخرة (١٩٤٠) مختارات قصصية (١٩٢٨ - ١٩٤٢) .

عمل بالصحافة وكتب القصة والقصة القصيرة وبعض الأعمال المسرحية . ومن بين رواياته "الأحياء والموتى ١٩٣٧ ".

باتلس إخوان : شركة محدودة الأسهم *

أنا واحد من الذين يمكنهم التأكيد على أنهم تلقوا رسالة هامة مرة واحدة فى حياتهم على الأقل . لكن ليس من الممكن أن يتوفر لدى المرء الصبر الكافى للتعليق على هذا الموضوع فى صيغة أدبية جيدة كما يستحقها الموقف .

عندما يبتكر الكاتب موضوعاته يكون سهلاً عليه وأقول ربما لزاماً عليه أن يتسلى فى تكوين الشكل ويكمله كصيغة فنية دون إهمال أية تفاصيل . وعكس هذا يكون عندما يشعر الكاتب أنه مشدود للأحداث والواقع ، فكل شىء يلح عليه وبالتالى لايكاد يسرد بشىء من التناسق هذا الذى حدث . إذن فما يتعلق بجانب الأسلوب لايكون إلا عبارة عن قناع جميل عندما لايكون هناك شىء يقوله المرء أو يخترع أكذوبة حتى يمكن من خلالها قول شىء . وعندما تحدث أمور مثل التى سأحكيها فلا مناص من عدم الألتزام بالأسلوبية .

الرسالة التى تلقيتها كان نصها التالى : -

"سيدى المحترم / علمنا نبأ المصيبة التى حلت بكم ، وإنه ليشرفنا أن نتوجه لسيادتكم بعرض لسنا نشك فى أنه سيحوز رضاكم.

بعد الأطلاع على ملفاتنا ، يطيب لنا أن نحيطكم علماً بأنه بإمكاننا أن نقدم لكم فى ظل أفضل الشروط فتاة مماثلة لتلك التى فقدتها سيادتك قبل الزفاف بليلة واحدة .

وإذا ماحاز إقتراحنا إهتمامك فإننا سوف نرسل لك بناء على تعليماتك أحد مندوبينا لأيضاح مزيد من التفاصيل ، أو يمكن لسيادتك، إذا مارغبت ، التفضل بزيارتنا فى مقرنا حيث ستجد كافة الضمانات وقائمة كاملة بأسماء عملائنا الذين يمكن أن يؤكدوا لكم أهليتنا التجارية كشركة .

وإذ نحن فى إنتظار الرد ، نعبر لكم عن أننا رهن إشارتكم وتلقوا أطيب تحيات الأصدقاء الذين يشدون على يدكم .

باتلس إخوان : شركة محدودة الأسهم

وكما يمكن الأفتراض فإننى ذهبت فوراً إلى العنوان الكائن على ظرف الرسالة وقلبى يدق من الفضول . وأى إمرىء قد مر بظروف فقدان إنسان عزيز عليه سوف يدرك جيداً السر فى أننى لم أتوقف متأملاً فى إمكانية عرض شركة بامكس اخوان – ش .م. فرغبتى الوحيدة هى أن أعود لأعيش الساعات السعيدة لفترة خطوبتى حتى النهاية التى لامناص منها .

شركة باتلس إخوان كان مقرها فى أحد الأبنية الكائنة بميدان

القديس بدرو بمدينة برشلونة بجوار محلات متخصصة فى بيع العديد من المنتجات .

منذ أول وهلة لاحظت أن المبنى المكون من طابق أرضى ينقسم الى شقتين . كان مخصصاً بأكمله لنفس الهدف العجيب الذى حملنى إلى هناك . فى كل مكان ترى العين خزائن فهارس قديمة وحديثة وعدد هائل من قصاصات الصحف .

وفى النهاية وبعد طول إنتظار ذهبوا بى الى مكتب الأخوة باتلس: المكتب عبارة عن صالون واسع غير متناسق هناك زوج من المكاتب المتماثلة وصورتان مكبرتان فوق كل واحد ، يوجد كرسيان من الكراسى الهزازة ذات القاعدة الخيرزانية وهذا دلالة على أقصى درجات الراحة فى الأقليم الشرقى المطل على البحر الأبيض ، بالإضافة الى الفهارس الكبيرة والقديمة التى تكاد تنفجر من كثرة مابها . وكذا عدد هائل من قصاصات الصحف .

الصور المكبرة كانت عبارة عن رجلين متشابهين إلى حد كبير كل منهما له لحية لكنها مختلفة الأطوال .

قدمت نفسى بتقديم الرسالة التى بعثوا بها إلىّ ، وبعد أن دعونى إلى الجلوس على أحد الكراسى الهزازة أخذ الأخ الأصغر سناً يعرض مقترحاته بينما الآخر يقوم بالتأكيد على كل مايقوله أخوة بإيماءة برأسه:

أسس هذا البيت ، ياسيدى ، جدنا - أشار الى الصورة المعلقة فوق مكتب الآخر - الذى كان له شرف إكتشاف العلاج الفعال لأشد الالام الأنسانية : وهو الالم الناجم عن موت عزيز على الأنسان . إنها أجمل أفكار الأنسانية ياسيدى ! أعتذر لك ياسيدى عن هذا الأطناب الذى لايهدف إلا أن يبين لك بوضوح شديد أن مصيبتك لها علاج وذلك العلاج موجود بالتحديد فى أيدينا .

واصل ياسيدى من فضلك - طلبت ذلك منه وأنا منفعل - أعرف أننى جئت إلى هنا ينتابنى بعض من خيبة الأمل .

- هذا طبيعى ، وهذا مايحدث للجميع - رد على الأخ الأكثر .

- لكن بدأت ياسيدى فى الثقة بنا اليس كذلك ؟ - سألنى الأخ الأكثر شباباً - نعم أكدت الرد بثقة - لاتدخر جهداً فى الأفصاح عن كل تفاصيل هدف هذه الدار .

كما قلت مسبقاً فأن جدنا ، الذى تتأمل سيادتك صورته هناك - عاد للأشارة للصورة من جديد - كان ذات يوم فى كازينو مانريا - وهو من مواليد هذه القرية - وقام بمراهنة صديق له مراهنة غريبة والذى كان شريكاً أيضاً فى هذا الكازينو ... لاتستغرب ولاتفقد صبرك ... ! فسرعان ماتكتشف أننى أتحدث عن أصل مؤسستنا ... لم يعش الناس دوماً فى حالة اللامبالاه الحالية ، والواقع أن جدنا لأسباب ليس لها

علاقة بموضوعنا كما أنها تستغرق وقتاً طويلاً ... أقول إن جدنا راهن كما قلت لك صديقة بأنه قادر على أن يجد أنفين متماثلين تماماً فى هذا العالم وأنه ملزم بأن يقدم الأنف المماثلة لأى أنف يحدده الصديق . وتم الأتفاق على أن الأنف الذى إختاراه هو أنف رئيس الملهى فى قرية مانريا.

- هل فاز جدك بالرهان ؟ - سألت بلهفة .

- تماماً ياسيدى ، لقد فاز جدى بعد مرور أربع سنوات وقبل أن تنقضى المهلة المحددة بعام كامل . وفاز بالرهان بعد إجراء كافة الأختبارات المتعلقة بالطول والأتساع وكان آخرها هو القالب ، ذلك البرهان الذى لايدحض ... ذلك الرهان جعل هذا الرجل العظيم يبدع نظريته عن وجود مثيل للمرء ... الصعوبة كانت ببساطة فى التنظيم التجارى للإستفادة الاقتصادية، أى فى فهرسة كافة البشر والبحث عن توأم لكل . وهذه مهمة بدأها كما قلت لك جدنا وواصل عليها والدنا وأخيراً تتوجت بالنجاح فى عهدنا .

- هل كان العمل شاقاً ؟ - لاحظت ذلك .

- نعم ، لكن لاشىء يصعب أمام الأرادة . هذا هو شعارنا التجارى بالاضافة الى ذلك الآخر الذى قول " كل شىء أسهل مما يبدو " ذلك أنه فى ذلك الرهان السعيد الذى كان نقطة البداية فى هذه الشركة

حدث شيء هام يفسره .

- وكان ؟

- كان أن جدنا بعد أن طاف بنصف الدنيا فى رحلة البحث عن الأنف المماثل لأنف السيد الرئيس عثر عليه فى نفس الدار التى بها الرئيس ولم يكن أنف آخر غير أنف زوجته

- هذا غير معقول ! - قلت متعجبا

- هذا صحيح ياسيدى . إذ قام جدنا ببيع أنوال النسيج التى إشتراها من مانشستر وأسس بثمنها وبما فاز به فى الرهان هذه الشركة التى نديرها حالياً .

- فى جوهر الأمر - سمحت لنفسى بالكلام - هذا هو شيء شبيه بالممثل القرين وهو التكنيك الذى يستخدمه الأمريكان فى السينما .

- لكنه أكثر كما لاياسيدى . فهذه الدار لاتعنى فقط بالشبه الجسدى بل تتجاوز هذا الى الشبه الأخلاقى بين للبشر إذا ماكان ذلك ممكناً . ومن جهة أخرى فإننا أصحاب الفكرة من الناحية التاريخية ، وإذا ماكان من الممكن الحصول على براءات الأختراع فى بعض الأمور فإن شركتنا هى الأجدر بأنه تقدم خدماتها لأمريكا .

وفجأة فتح الأخ الأكبر أحد أدراج مكتبه وإلتقط منه صورة وقذف بها إلىّ مصحوبة بسؤال كأنه طلقة مسدس :

- من هذه ... ؟ قل !

- إنها إليسا ... عزيزتى إليسا ... خطيبتى التى فقدتها ... المرأة غير الطيبة .

- ها ! ... هذه الفتاة ليست إليسا ، لكن يمكن أن تكون كذلك إذا ما أردت سيادتك .

- أتقول إنها ليست إليسا ؟ ... أليست هى ؟! - الححت .

- لا ليست هى . ها أنت ياسيدى تكتشف عظمة عملنا وجلال فكرة جدنا التى شجعته على أن يؤسس هذه الدار ... هذه الفتاة التى يمكن أن تراها والتى هى صورة طبق الأصل من أليسا تعيش فى كندا ، وفوق هذا فإن طبعها أكثر شبهاً من الوجه الذى يماثل تلك التى عشقتها سيادتك ... هذه الفتاة يمكن أن تكون زوجتك إذا مارغبت وأمكننا التوصل إلى إتفاق .

- كم ؟ - طلبت بجفاء .

- تكلفك حتى ميناء برشلونة - بكافة التكاليف - حوالى ستة وثمانين ألف بزيته .

- لكن .. ومشكلة اللغة ؟ - جرؤت على إثارة الأمر .

- تكلفة اللغة تختلف ياسيدى رغم أنه يمكننا أن نتولى تعليمها

المتحدث بالأسبانية بطلاقة وذلك مقابل مبلغ إضافى تتفق عليه فيما بعد . وإذا ماكانت السيدة إليسا الحقيقية قد توفيت فإن السعر سوف يرتفع كثيراً . وتخصص هذه الدار هو الفقدان الذى لايعوض .

وقعت شيكاً فى الحال وأخذت نسخة من صورة إليسا الجديدة التى قدّماها لى . ومما قصصت فأننى تزوجت منذ عشر سنوات وعند ثلاثة أبناء كلهم حيوية : إبن وإبنتان . ورغم أننى قد لا أعرف كيف ستكون إليسا الحقيقية اليوم ، فأننى متأكد أن زوجتى مثلها . وقد أظهرت لى السنون أن الأمر ليس بالصعوبة التى تصورتها فيما يتعلق بالتشابه بين أمرأتين . والأكثر من هذا صعوبة ربما كان ماواجهه جو الأخوة بانْلس فى العثور على أن مماثل لأنف رئيس النادى الثقافى والترفيهى بقرية مانريسا . والذى إنتهى بأن وجد الأنف المماثل لأنف السيد الرئيس .

أما فيما يتعلق بالمبلغ الذى دفعته مقابل زوجتى ، فأننى غير نادم ، ولزاماً على الأعتراف ، دحضا لأية تحفظات ، بأننى أعتبر ذلك أفضل عملية تجارية فى حياتى . وإذا ماتم التدبر فى أن يبقى حموى المجهولين فى كندا ذلك البلد البعيد ، فأننى أرى أن هذه العملية لن تكون مثار إنتقاد أى رجل .

★★★

لم أكن لأتذكر هذه الواقعة من حياتى التى قصصتها عليكم لولا

الزيارة غير المنتظرة التى كانت هذا المساء . وبالطبع فكما توقعتم حضراتكم كانت الزيارة من قبل الأخوان بامكس ش.م. ... وهم الذين لم أرهم منذ تلك الفترة الطويلة التى تاهت فى الذاكرة . إذ كنا كأسرة تتناول وجبة حقيقة بعد وجبة الغداء عندما جاء الخادم وأعلن عن وصولهما . وإنتابتنى الحيرة للحظة ، من يكون هؤلاء ؟ أدخل الصالون الذى ينتظرانى فيه وإستمعت إليهما فى صمت . الأخوة باتلس (ياه !) فقدا الرمز الخاص بالشركة ش.م. والذى كان مثار فخرهم وشهرة لقبهم . مساكين لقد أفلسا تماماً وقد إعترفا بذلك بكل صراحة منذ بداية الحوار طالبين منى أن أقرضهما مبلغاً كبيراً من المال ليبدأ عملاً جديداً . وبكل إهتمام أسألهما عن أسباب أفلاسهما التى أعجز عن فهمها وإعترفا لى بالأسباب بصراحة ووضوح ، والأعتراف بصدر دوماً عن الأخ الأصغر .

- فى البداية - أخذ يقول - نجحنا نجاحاً كبيراً وحالة سيادتك تؤكد ذلك ، لكن بمرور الوقت إضتح لنا أن جدنا المسكين لم يكن أبداً على حق ، بل كان حالماً ... كان مخطئاً فى تقديره للأسف . فالمبدأ كان غير حقيقى وهو كيفية طرح المشكلة الأنسانية التى أراد إيجاد حل لها.

- كيف ذلك ؟ - أسأل - أين كان موضع الخطأ فى هذه الفكرة الجميلة ؟

- الخطأ ياسيدى هو فى الأعتقاد أن البشرية تريد أن تباعد عن نفسها آلام الفقدان . لايمكن للبشرية أن تستغنى عن أحد صفاتها وهى

تلك المتمثلة فى البكاء على الفقدان خاصة إذا كان فقدانًا لايعوض . وهذه هى أكثر الصفات التى يعشقها الأنسان - إلا أنه - أقول معترضاً - لسنا جميعاً سواء لايمكن لى القول بأننى إستثناء دون الناس جميعاً ... وحضراتكم إعترفتم بالنجاح .

- نعم . لكن هذا النجاح إستمر لوقت قصير . فلم نلبث أن إكتشفنا بعض الأمور غير المفهومة ظاهرياً . فعلى سبيل المثال عرفنا بعض الرجال الذين فقدوا زوجاتهم رفضوا أن يدفعوا لنا مبلغ خمسمائة بيزتِه مقابل نساء مماثلة تماماً لزوجاتهم اللاتى توفين .

كانوا شديدى الأحساس بالتعاسة وبأهمية قيامهم بوضع الزهور على قبور زوجاتهم ...! وفوق هذا بدأت تنهال ضدنا البلاغات ذلك أنه لم يُجْدِ لأى من زبائننا أن ما "أرسلنا" له به مماثلاً للشخص الذى فقده . ولم يُجْد إحتجاجنا عندما أخذنا نؤكد لهم أن الزمن يغير الناس ، وأن من فقدوهم ليس من الممكن أن يظلوا على نفس الصورة التى ثبتت فى الذاكرة ... ويمكن أن أؤكد لسيادتك أن أحد الأزواج وصل به الأمر الى رفع دعوى قضائية ضدنا أمام المحاكم يطالب فيها بتعويض ضخم عما لحق به من أذى وأضرار .

- ماذا يمكن أن يكون قد حدث لذلك الرجل حتى يتخذ موقفاً كهذا ؟

- ماهو طبيعى ... لكنه لم يشأ أن يفهم ذلك ... هذا الرجل خانته زوجته التى "أرسلناها" له . أما هو فكان يجزم بأنه لو كانت الأخرى التى فقدها لما خانته على الأطلاق ... ورغم أن ما أقول يبدو أكذوبة فلم أي وسيلة إنسانية لإقناعه بعكس ذلك وكان علينا أن ندفع التعويض ... كيف يتأتى لأى إنسان ، وهو حى ، أن يكون بمنأى عن إرتكاب هذا الذى يسميه الناس سبة ، وكثيراً مايتضح أنها ليست كذلك. ألا تظن ذلك ياسيدى ؟ بعد صمت يعبر عن مشاركتهما فيما أصابهما ، أحاول مواساتهما معرباً لهما أننى سعيد . وأعترف أمامهما أن مابى من سعادة يرجع إلى شركتهم ، وفى البداية والنهاية يمكن لجدهم المسكين أن يكون راضياً عما فعل ، فرغم كل شيء فهناك كسب وذلك بفضل فكرته الجميلة فى إيجاد علاج لتعاسة رجل : تعاستى .

ولما كنت دوماً لا أفعل شيئاً إلا بعد إستشارة زوجتى ، فإننى تركت الأخوة باتليس جالسين فى الصالون للحظة لأطلعها على طلبهما بغية أن يبدأ حياتهما من جديد .

رسمت لإليسا الكارثة التى حلت بالأخوين وأذكرها بصوت فيه شجن بما نحن فيه وما نحن مدينون لهما بسعادتنا الحالية وأبنائنا . لكن ... إمرأتى متشبثة برأيها ولها أفكارها الخاصة بإدارة المنزل والتى لايمكن أن أغيرها .

ذهبت كل حججى سدى ، وليس هذا فحسب بل كانت مثار

تأنيبها لى - حسب العادة - ولطبعى.وحسب رأى إليسا فأنا لست إلا مبذراً ، ورجلاً غير قادر على مواجهة الحياة وعلى إستعداد أن أدفع مبلغ مائة مقابل شىء يدفع فيه الآخرون واحداً فقط . المسكينة طيبة معى وتحبنى بشدة ، وتعتقد أن قلبى ضعيف يحركه أى مُسافرللحياة ، وأن مهمتها فى الحياة هى حمايتى .

أعود مهزوماً إلي جوار الأخوة باتلس ، وأعتذر لهما بكل ما أمكننى . كانت حالتهما مثيرة للشفقة لدرجة أننى لم أجد مغبة فى أن أعطيهما كل مافى حافظة نقودى ، ولأعوضهما بعض الشىء عن عونى المادى الضعيف أخذت أسألهما عن العمل الجديد الذى يعتزمان القيام به.

بدا أنهما لم يتأثرا كثيراً برفض الأسهام بشىء فى رأسمال الشركة الجديدة ، وكان هذا عكس ماتوقعت . وعرفت أنهما تحدث فيما بينهما أثناء غيبتى لأستشارة زوجتى عن الأمل فى أن تضاف الآحرف ش .م الى إسم الشركة فهذا كان قمة أملهما كأنهما طفلان .

وعندما سألتهما عن طبيعة العمل الجديد الذى يفكران فى عرضه على . نظر كلاهما للآخر وقد شعرا بالرضا وأجابا على فى وقت واحد بصوت واثف ومقتنع .

- "مواكب جنائزية " ياسيدى .

CAMILO JOSE CELA

كاميلو خوسيه ثيلا

ولد عام ١٩١٦وهو أحد أشهر القصاصين الأسبان المعاصرين وتأكدت شهرته وازدادت إنتشاراً بحصوله مؤخراً جائزة نوبل فى الآداب . ويعتبر بالفعل أحد أبرز الكتاب الأسبان المعاصرين فى رسم طريق الأنتاج القصصى فى أسبانيا خلال الأربعينيات والخمسينيات . وماترجمناه له هو إحدى قصصه القصيرة . ونأمل - إن شاء الله - أن تقوم بنشر مختارات من القصص القصيرة على حده .

له العديد من القصص الشهيرة مثل "عائلة باسكوال دوارتى" ، "الخلية" "رحلة إلى القرية" ... إلخ .

أما أهم مجموعاته القصصية فهى :

(١) الغاليسيى وفريقه وبعض الملاحظات المدونة عن بينونيا

Ricardo Aguileraz - Madrid 1949

(٢) "هذه السحب التى تمضى" (١٩٤٥) - Mesa Redende

(٣) جريمة الشرطى الجميلة وإبتكارات أخرى (١٩٤٧)

(٤) البرتقال فاكهة الشتاء (١٩٥١).

(٥) صفحاتى المفضلة (١٩٥٦)

(٦) حكايات من أسبانيا (١٩٥٧)

(٧) القديسة بالبينا ٣٧ غاز فى كل منزل (١٩٥٢)

(٨) طواحين الهواء وقصص قصيرة أخرى (١٩٥٦).

(٩) عجلة التسالى (١٩٦٢)

(١٠) أسرة البطل (١٩٦٥)

(١١) سرب الحمام (١٩٧٠)

(١٢) لا مانشأ فى القلب والعين وقصص أخرى (١٩٧١)

(١٣) مقهى الفنانين وحكايات أخرى (١٩٦٩)

(١٤) قصص قصيرة وحكايات (١٩٧٥)... الخ

الغاليسيي وفريقه *

فى محافظة طليطلة ، وفى شهر أغسطس يمكن للمرء أن يقوم بشواء شرائح اللحم على الاحجار المتناثرة فى الحقول أو فوق الكتل الحجرية الكائنة فى أرض شوارع القرى .

يقع الميدان فى منحدر وفى وسطه هناك شجرة وواجهة . تسد السيارات أحد جوانب الميدان أما الجانب الآخر فتسده حواجز . الجو حار والناس تنزوى منه ما أمكنها وعلى جنود الشرطة أن يقوموا بإنزال الفتيان من على الأشجار ومن فوق الواجهة . إنها الخامسة والنصف مساءاً وسوف تبدأ فوراً مباراة مصارعة الثيران وسوف يقوم الغاليسيى بقتل الثور الشاب (١) بطعنة واحدة (٢) برأس سيفه وسيكون الثور من مزرعة السيد لويس جونثاليث من مدينة ثيوداد ريال .

لون الغاليسى أبيض مثل الجير وسيخرج الى حلبة المصارعة من خلال باب صغير مجاور لباب خطيرة الثيران المتاخمة للحلبة . ينظر مساعدوه الثلاثة إلى الأرض فى صمت . يصل العمدة إلى الشرفة المخصصة للبلدية . وعندما يراه قائد الحرس يقترب من مصارعى الثيران.

---

* المصدر Cuente Esp. - ibid

(١) الثور الشاب يطلقون عليه Novillo وهو ثور مدرب يبلغ من العمر ثلاث سنوات .

(٢) لكفرة واحدة : هى أن يقوم المصارع بغرس السيف فى صدر الثور فى محاولة واحدة فيقتله.

- عليكم بالخروج .

لاتوجد موسيقى بساحة مصارعة الثيران والمصارعون الذين لايرتدون حلتهم الحريرية المخصصة للمصارعة فأنهم سيخلعون جاكتتهم ويخرجون الى الحلبة : يتقدم صف المصارعين ثلاثة : الغاليسيى و الشيتشا، وكاسكرو . وخلفهم ظهر خيسوس مارتين من مدينة سيجوبيا.

وبعد الجولة الأستعراضية فى الحلبة يطلب الغاليس الأذن من العمدة ويخلع جاكتته ، إذ يستطيع أن يصارع بشكل أفضل وهو مرتدياً القميص فقط رغم أن القميص قد يكون مخططاً أزرق وأبيض كأنه قميص بحار .

أما المصارع الملقب بالشيتشا فأسمه أدولفو الرب . ويسمونه أيضاً أدولف ، يقول مظهره إنه يبلغ من العمر أربعين عاماً ، به بعض الحول وبعض السمنة لكنه ليس شديد الطول . أمضى سنوات عديدة ينتقل من حلبة إلى أخرى بين عدة قرى . وذات مرة ، قبل الحرب ، ضربه الثور بقرنه فى قرية كويادو ميديانو، لكنها كانت معجزة أن أحشاءه لم تخرج من بطنه بسبب هذه الضربة . ومنذ ذلك الحين وهو شديد الحذر .

المصارع كاسكرو هو من أبناء قرية شابينيريا من أعمال محافظة مدريد وأسمه / فالنتين ثيبوبيدا . ظل فترة فى سجن مدينة سبتة بسبب أمور حدثت ، وخرج من السجن وهو وضع على صدره وشما عبارة

عن صورة آنسة تحتل مساحة صدره وهى تقوم بتصفيف شعرها الطويل وتحت الصورة عبارة تقول : لوليتا جارثيا أجمل إمرأة فى المغرب - تحيا أسبانيا .

كاسكرو وهو رجل صغير الحجم ، صلب وعلى معرفة دقيقة بهذه المهنة . وعندما يقوم الثور الماكر (٣) بالمضايقات وإستخدام قوته أكثر مما ينبغى يتبعه ويقوم دوماً بخداعه مغيراً موقعه حتى يستطيع فى النهاية أن يخدع الثور ويجعله يصطدم بحائط الحلبة أو الساتر الخشبى أو بأى شىء آخر .

- بهذه الطريقة يتم تطويعه - كان يقول .

خيسوس مارتين من سيجوبيا هو مصارع مهمته الأجهاز فى النهاية على الثور (٤). طويل القامة ونحيف البدن ، وجهه دميم ، به ندبة تمتد بطول وجهه وعندما ينطق يلاحظ أنه به بعض التلعثم .

التشيتشا وكاسكرو وخيسوس مارتين يكونون دوماً مع بعضهم وعندما يصلهم نبأ حصول الغاليسيى على مباراة للمصارعة . يذهبون ويقدمون أنفسهم له . الغاليسيى إسمه كاميلو ، وهو إسم شائع بعض الشىء فى موطنه . وعندما ذهب أعضاء فرقته لرؤيته قالوا له :

---

(٣) هو نوع من ثيران المصارعة يتسم بالخيانة والصعوبة وسوء المقصد .

(٤) يطلقون عليه فى عالم المصارعة Puntillero.

- لاتقلق سيادتك ياسيد كاميلو نحن دوماً على إستعداد لتلبية ماتأمر به .

التشيتشا وكاسكرو وخيسوس مارتين كانوا يعاملون المصارع بإحترام . ولم يغيروا من عبارتهم "حضرتك" التى يوجهونها له دوماً . يرتدى الغاليسيى دوماً رابطة العنق وعندما كان شاباً درس فى كلية الصيدلة بضع سنوات .

عندما إنتهى المصارعون من إستعراضهم نظر العمدة إلى قائد الحرس وهذا بدوره إلى الحراس القائمين على باب خطيرة الثيران وقال :

- إفتح له :

كان من الممكن سماع صوت عصفور يطير . صمت الناس ، ومن باب الحظيرة خرج ثور ملون (٥)عجوز ، انسيابى الجسم . قرناه طويلان وشبه مستقيمين . وعندما ظهر الثور فى الحلبة عاد الناس لجلبتهم . خرج الثور ببطء وهو يشم الأرض كأنه يعاف المصارعة . أثار فالنتين حماسه من بعيد ، فدار الثور دورتين فى الحلبة وهو يجرى كحمار صغير.

قام الغاليسيى بفكّ العباءة الحمراء وإستخدامها كيفما تمكن فى ثلاث أو أربع لقاءات،إرتفع صوت من تحت المظلات قائلاً :

---

(٥) اللون الأشقر هو لو ن الثور الذى يحمل هذه التسمية .

- عليك بالأقتراب من الثور أكثر أيها التعس !

عندئذ إقترب التشيتشا من الغاليسيى وقال له .

- لاتلق بالاً لذلك ياسيد كاميلو ، وإذا ماأراد فليقترب والده . ماذا يعرفون هم ! هذه هى طريقة المصارعة قديماً. وهو الفيصل .

ذهب الثور إلى الساتر وأخذ يشرب . نادى رئيس الحرس على الغاليس وعلى أحد مساعديه وقال له .

- حان وقت وضع السهام المزركشة للثور .

قام التشيتشا وكاسكورو بوضعها وقد كلفهما ذلك جهداً مضنياً . قام كل واحد منهم بغرس زوجين من السهام . كان الثور يقفز فى البداية ثم بعد ذلك يسكن كأن شيئاً لم يكن . ذهب الغاليسى للعمدة وقال له :

- سيدى العمدة لازال الثور به الكثير من القوة . هل يمكن أن نغرس فيه زوجين آخرين من السهام ؟

رأى العمدة عدم موافقة من كانوا يرافقونه فى الشرفة بإيماءة من رؤوسهم .

- إترك الثور هكذا . حان وقت إستخدام السيف وإقترب من الثور فلهذا أدفع لك أجرك .

سكت الغاليسيى ذلك أنه يجب أن يتسم المرء بالتواضع الشديد والأحترام اذا ماكان يعمل وسط الجمهور . أخذ متعلقاته الخاصة بالمصارعة وأغلن تقديم هذه المباراة على شرف العمدة وترك قبعة ذات حواف على الأرض بجوار الساتر الخشبى .

تقدم نحو الثور وهو يحمل العباءة فى يده اليسرى ملوحاً بها، لكن الثور لم يتحرك . وضع العباءة فى يده الأخرى عندئذ تحرك الثور قبل الأوان . طار الغاليسيى فى الهواء وقبل أن يتمكنوا من الأبتعاد به عاد الثور من جديد وضربه بقرنه فى رقبته . نهض الغاليسى على قدميه وأراد مواصلة المصارعة . قام بمواجهة الثور ثلاث مرات أخرى ، لكن لما كان ينزف دماً كثيراً قال له قائد الحرس .

- عليك أن تخرج

قال العمدة ذلك لقائد الحرس، وهذا بعد أن أبلغ الطبيب العمدة . وعندما عالجه الطبيب قال له الفاليسى

- من أخذ السيف بعدى ؟

- إنه كاسكورو

هل قتل الثور ؟

- لا ، ليس بعد

وبعد هنيهة قال الطبيب للغاليسيى :

- أنت محظوظ ، كنت ستقضى نحبك لو كانت الضربة نافذة أكثر من ذلك بسنتمتر واحد لم يجب الغاليسيى . فى الخارج تسمع جلبة عالية. على مايبدو فإن كاسكورو لم يكن محظوظاً .

- هل قتله ؟

- ليس بعد .

مر وقت طويل والغاليسيى مضمد العنق . أطل قليلاً من الشبكة فرأى الثور وهو يقعى على مؤخرته بجوار الساتر الخشبى بلا حراك وقد خرج لسانه من فمه وقد غرست وراء كتفيه ثلاثة سيوف حتى إن مقدمة أحد هذه السيوف قد نفدت قليلاً من الجانب السفلى بين رجليه الأمامتين. بينما كان يردد أحد أفراد الجمهور أن هذا ليس عدلاً ، وهذا ممنوع . كان وجه كاسكورو قد علاه الأحمرار ويود لو يزيد من الطعنات الموجهة للثور . كان هناك ستة من الجنود بالقرب من المدرجات لمنع الناس من النزول إلى الحلبة .

RAFAEL GARCIA SERRANO

رفائيـل جارثيـا سيرانـــو

ولد عام ١٩١٧ فى مدينة بمبولونة . شغل منصب رئيس تحرير جريدة Arriba من بين قصصه "إيوخينيو أو إعلان الربيع" "مشاة الجيش الأمناء" "عندما ولد الآلهة فى إكستر يمادورا" " ميدان القلعة". الأعين المفقودة أما مجموعاته القصصية فنبرز منها "ثيران إيبريا" "مساء الأحد" .

مجد قديم *

قال صاحب جهاز التسجيل (الماجنيتفون) أن كل شيء جاهز وعندما سمع خوان دومينجيث عبارة "بالنسبة لى ، تمام " إبتلع بعضاً من ريقه . وعلى الآلة الكاتبة الموضوعة فى مكتبه - وهو مقر صغير كان يدير منه ، منذ زمن ، الورشة والمحل - كان أحد زواره يكتب بغير خبرة. كما أن المسئول عن الآلة الكاتبة أبلغ بأن "ذلك جاهز" ووضع أمام أنف المذيع ، الملاحظات التى كتبها بسرعة .

تنحنح خوان دومينجيث بخفة ورأى كيف أن هناك بعض الأولاد يميلون برؤسهم على زجاج فترينة المحل الكبيرة ، والأطفال دوماً هم أفضل من يشم رائحة شيء هام سوف يحدث . لم يزر صحفيو مدريد خوان دومينجيث منذ المباراة النهائية للكأس التى تمت قبل الحرب ، نعم كان يزوره صحفيو المحافظات المتاخمة لمحافظته حيث كانوا يذهبون من حين لآخر ليسألوه - "ماهو فى رأيك ، الفرق بين لاعب الأمس ولاعب اليوم " - " فى نظرك ، من هو لاعب كل العصور ؟ - و - "ماهو أسعد حدث فى حياتك الرياضية ؟ " وكان خوان دومينجيث يجيب وهو شبه نائم - " المزيد من التكنيك ، والقليل من الجرأة ، المزيد من اللعب الجماعى والقليل من الفردية" - ثامورا ، هو ريكاردو ثامورا بلا جدال "

---

* المصدر Cuento Espanol de Posguerra (Pag 112)

و " ليس فانلة الفريق القومى " . بعد ذلك كان يشترى الصحيفة ويقرؤها بعناية ثم بعد ذلك يقص نص المقابلة الصحفية ليلصقها فى ألبوم ذكرياته. تحولت حياته هناك إلى هواية جمع الفراشات الجافة، بعضها مكسور الأجنحة وبعضها الآخر متآكل ، وإلى تلك الرائحة العفنة والهرم ، كل ذلك هو رائحة حياته نفسها .

إنها رائحة متدينة عجوز أو ربما رائحة الجنديه أيام مأساة حرب المغرب . تصفح الألبوم يثير فيه نوع من الحزن، فعناوين الصحف المحلية فى البداية وكذا سطورها كانت تتحدث عن "الصاعد الواعد فى منطقتنا"، وبعد ذلك ابرزت الصحف المحلية بشكل مثير "دومينجيث الذى يصعد نجمه بقوة" وفجأة فجرت الصحافة الأسبانية كلها ينبوع صفات من التقريظ والمديح تشريفاً لدومنجيث "آس من الفوران" . كان الألبوم يحوى قصاصات من بوبنوس أيرس وفلورنسا ودوبلين وباريس وفيينا وبودابست ومنتيفديو ولشبونة وروما وهامبورج . بعد ذلك الصمت الطويل بسبب الحرب ، ثم الوصف المرح لتلك المباراة التى لعبها أصدقاؤه، بشكل غير كامل الجدية ، وذلك بمناسبة إفتتاحه لمحل الأدوات الرياضية ، والاعلان الضخم الذى نشره فى الصحف المحلية والذى يظهر فيه كل من ثامورا ، وثيرياكو ، وكينكوثيس ، وبالاروفا ، وجويبرو ، وروبيو ، ولاثكانو ، وساميتيير ، وبيرجارا ، وميكيو ، رأوسيس ، وأوريجا(١) وآخرين غيرهم وهم يوقعون على أتوجرافات لأول زبائن

---

(١) كل هؤلاء هم عمالقة كرة القدم فى أسبانيا خلال العشرينيات.

المحل. كان الأمر مسلياً وكثير الجدوى . بعد ذلك يضم الألبوم حوالى دستة من الأحاديث الصحفية ، حيث يُطلب منه فيها رأى "التاجر خوان دومينجيث ، المُمَجَّد القديم لكرة القدم الأسبانية" فى عدد من الموضوعات .

سمع خوان دومينجيث أشياء كثيرة طوال حياته كرياضى ، على سبيل المثال فإن "رينزى قارنه بالسيد[٢]" أما خاثينتو بيكلارينا فكان يطلق عليه "قنصل باراكالدو" وكان هناك صحفى غير مهذب يكتب فى صحيفة من صحف العاصمة مدريد فى موضوعات خاصة بتجارة الرقيق الأبيض ، هذا الصحفى عندما كان يشير إليه يقول عنه "القسيس البدائى" "ولاعب منطقة التاميرا" ، ذلك لأنه عندما تبدأ المباراة فإن خوان دومينجيث يشير بيده يصنع علامة الصليب على صدره . وفى أحد الأيام قام أحد أصدقاء اللاعب من شديدى التدين بأنتظار ذلك الصحفى ووجهوا له عدة ضربات كأنها علامة الصليب بعصا ، إذ وجه له ضربة فى الجبهة وأخرى فى الفم والثالثة على صدره ، ويبدو أنه أتحفه بعد ذلك بعده ضربات كأنها صلبان دون أن يتوقف لقراءة أسماء القديسين . ومن المدرجات تأتى الهتافات لخوان دومينجيث ، أو يهتفوا بأسم ابائه وشجرة العائلة . كل ذلك بالطبع كان مرتبطا بمدى رجحان كفة ميزانه . وفى الحقيقة أن كل تلك الهتافات لم تنفذ إلى أعماق خوان دومينجيث.

---

(٢) "السيد" هو إسم بطل الملحمة الشعرية الأسبانية التى تحمل نفس العنوان وهى تتكون من ٣٧٠٠ بيت تقريباً .

- جاهزون ؟ - سأل المذيع

أعطى دومينجيث إشارة الموافقة ، صدرت أصوات عن جهاز التسجيل كأنها أزيز . رفع المذيع أحدى يديه ، فقام من كان يكتب على الآلة الكاتبة بتحريك ذراع التسجيل بمهارة ودقة . سمعت رنة جرس صغير . وهى الرنة التى كانت تسعد أيام كان خوان دومينجيث عندما كان أغربا . وبدأ المذيع يتحدث بسرعة شديدة كما لو كان ينقل الأحداث التى تسبق مباشرة تسجيل أحد الأهداف : -

- هذا الذى استمعتم إليه أعزائى المستمعين هو صورة ضوئية لمحل الأدوات الرياضية الجميل الذى يملكه خوان دومينجيث المندفع ، لاعب خط الهجوم خلال العديد والعديد من الأمسيات المجيدة لكرة القدم الأسبانية . هذا المحل هو فى جامبو [٣] تلك المدينة الصناعية المزدهرة واللطيفة ، حيث نحن الآن لننقل لكم المباراة التى ستقام هذا المساء بين النادى المحلى . الذى بدأ فيه خوان دومينجيث أولى مراحل شهرته، وبين نادى ريال مدريد ، وهو فى الحقيقة النادى الذى قضى فيه خوان دومينجيث آخر مراحل حياته الكروية الزاهرة أيها السادة : فى صباح الأحد ، وأى أحد ، إنها الساعة السماوية لتناول المشهيات - مشهيات تشينا،لاتنسوا ، مشهيات شينا - جئنا لندردش مع خوان دومينجيث فى محله المتخصص فى الأدوات الرياضية ، أى أننا الآن نتحدث معه وهو

(٣) هو الأسم الذى يطلقه المؤلف على مدينة بمبلونة الأسبانية الشهيرة .

فى جوه المعتاد ، حتى تتمكنوا أيها السادة من الأستماع والأستمتاع بتصريحاته حول مسلسل "الأمجاد القديمة تعيش بيننا" فى تسجيل مذاع ، أثناء فترة الراحة بين الشوطين ، وهذا تقدمه شركة "تشينا" للمشهيات . لاتنسوا ، مشهيات تشينا . هى المشهيات التى يتناولها عمالقة الرياضة .

نظر المذيع نحو الصحفى ، ثم بعد ذلك نحو الفنى والمضيفين، ثم غمز بعين لدومينجيث، صدرت عن الصحفى إشارة صغيرة تعنى "ولاحتى الراحلة ماريا جيريرو تلك الممثلة الدرامية تستطيع أن تقرأ جيداً نثرى" . أما صاحب جهاز التسجيل "الماجنيتفون" فلأسباب مهنية وأسباب أخرى تتعلق بالمنافسة ، كان هاوياً للأفلام الأمريكية وبالتالى صدرت عنه إشارة "أوكى O.K. فإبتسم دومنجيث بوجه فيه بلاهة . وأقبل المذيع بأسلوبه الخطابى .

- محل الأدوات الرياضية الذى يملكه خوان دورمينجيث هو محل كبير، فى وسطه هناك صندوق زجاجى رائع مضاء ، موضوعة فيه الكئوس . والنياشين التى فاز بها أمس "الغضب الأسبانى" طوال معاركه(٤) فى ملاعب كرة القدم فى كافة أنحاء العالم . يقع المحل فى مكان هام فى مكان هام فى وسط المدينة ، مكان معروف مثله مثل مشهيات تشينا ، لاتنسوا ، مشهيات تشينا . المشهيات التى يتناولها

(٤) أتسم الفريق القوى الأسبانى لكرة القدم آنذاك بالقوة والأندفاع .

عمالقة الرياضة . خوان دومينجيث زاد وزنه بعض الشىء عما كان عليه - هل تتذكرون أيها السادة ، أيها المحنكون ؟ - لكنه لايزال محتفظاً بطايفة عزمه وأندفاعه مثل تلك الأيام البطولية . لم يعش - إلا قليلاً - تلك الأيام الخوالى التى كان اللاغبون فيها يحملون على الأكتفا ، ويحمل الجمهور الخشبات الثلاث للمرمى ، لكنه عاش الأيام التى كانوا يقولون فيها "الضربة الركنية = نصف هدف" والضربات الركنية التى عادة ماتتحول إلى هدف يحققه هذا الرجل بغضبه ، والذى يبيع الآن الكران ومضارب كرة تنس الطاولة ، وأجهزة التزحلق على الجليد ، والعصى التى تستخدم فى الجبال وغيرها . لنرى ياخوان دومنجيث ، نود لو ترد سيادتكم على بعض الأسئلة التى يتوجه بها إليك هواء مشهيات شيئا ، المشهيات التى يتناولها عمالقة الرياضة وسيادتك تحتل بينهم مركز الشرف ؟

- نعم ، نعم ...

- إرفع صوتك ياخوان دومينجيث فالميكرفون لايعض ، هه ...

يضحك الجميع كثيراً ، يضحك المذيع والصحفى وفنى التسجيل والمستمعون هذا المساء سوف يضحكون أيضاً .

- نعم سوف أرفع صوتى - قال خوان دومينجيث والذى كان قد ضحك أيضاً - لكنى غير معتاد على رفع الصوت ، أتعرف ؟ ...

- لنرى نسأل خوان دومنجيث : متى بدأت لعب الكرة

- كان ذلك أيام المدرسة ...

(كان خوان دومينجيث يراه جيداً، يرى فناء المدرسة كما لو كان يعيش الآن تلك اللحظة وهو يشوط الكرة المطاطية فى إتجاه صف المراحيض . كان يعرف أى الأبواب يمكن أن تقاوم إرتطام الكرة وتكمن مهارته بالتحديد فى هذا ، أى فى مهارته - أكثر من لعب كرة القدم - فى إصابة الأهداف الخشبية فى الفناء . كان يخاف من خشونة زملائه وهذا القطيع من اللاعبين الخشنين ، وكان يتخلص بسهولة من الكرة ، لكنه كان يحب اللعب ، يحب اللعب أكثر من أى شىء آخر ، يحبه أكثر من حبه لحفظ قائمة الملوك القوط المقررة عليهم فى المدرسة وأكثر من المعادلات والتفاعلات الكيماوية المعقدة والمنطق وعدد الأبناء غير الشرعيين للكاتب المسرحى لوبى دى بيجا . ولما كان يعشق اللعب أكثر من أى شىء وأكثر أيضاً البحث عن المغامرات ومحاولة معاكسة بنات مدرسة القلب المقدس ، أو قصائد الغزل ، كان يشوط الكرة بشكل يجعلها تعود إليه من جديد رغم أنه كان بعيداً على الجانب الآخر ، دون أن يضايقه أحد، وكان الزملاء ، بما فى ذلك الفرق الدراسية الأعلى من فرقته ، والبوابون والمدرسون وحتى الناظر الذى كان رياضياً فى إقليم الباسك ، كلهم يقولون "يالمهارة دومينجيث الذى لاتبتعد الكرة عن قدميه").

يقول خوان دومينجيث أن البداية كانت فى المدرسة ، واصل ، واصل،نحن متلهفون لسماع حكايته .)

لم يدرك خوان دومينجيث أن فترة صمته كانت طويلة ، لكنها كانت كذلك. أخذ يرمق الصندوق الزجاجى الذى يحوى النياشين ويفكر فى أن الكئوس الجميلة كانت خاوية ، وأنها لم"يصبّ"فيها النبيذ أبداً ، ربما حدث ذلك ذات مرة بأن"صُبّت"فيها الشمبانيا ، ولاكلمة أخرى . كانت حياته الخاصة حياة جميلة أيضاً لكن ظاهرياً لكنها تعسة وفارغة وقاحلة وباردة وبلا حياة وعفنة من الداخل . لدرجة أنه يمكن القول أن حياته كانت تحتوى أيضاً على شىء من الفضلات المهملة والعفن، وشىء من الطحالب وبقايا تراب ، تماماً كما هو الحال بالنسبة لبعض الكئوس كان يتحدث دون أن يعرف حتى ماهية مايتحدث فيه ، لكن الأمور لاتسير سيراً سيئاً وهذا ما إستشفه من الأبتسامة المشجعة والواضحة لكل من الثلاثة الذين يعملون فى الأذاعة .

ـ ... أنا لم أكن أريد الدراسة ، فبدلاً من الدراسة كنت ألعب فى ثلاث فرق فى وقت واحد : أحدها فريق المدرسة ، والآخر فريق الشارع الذى أعيش فيه والثالث فريق القرية المجاورة . كنا صبية تتراوح أعمارنا بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة . كانت الفرق يلاعب بعضها البعض من خلال الجرنان : " مجموعة الأسود تلاعب مجمموعة ديفر الجيزويت وذلك على ملاعب ألاميدا يوم الأحد القادم فى الحادية عشرة

صباحاً . تتم المراهنة على أحد عشر ريالاً . فى حالة الموافقة على ذلك ترجى الأجابة على ذلك من خلال نفس الصحيفة" . بعد ذلك إزدهرت أحوالى ، كنت ألعب مع فرق وكان الرهان على إحدى عشرة بيزتة ، أو إحدى عشرة وجبة وأحياناً يكون على أحد عشر سندوتشاً وأحد عشر لتراً من النبيذ . كان عالماً مثيراً للفضول ، يمتص المرء ويستهلك كل وقت . وعندما يكون لدى فسحة من الوقت ولو ساعة كنت أذهب إلى الملعب لألعب كرة المضرب .

- حسن ، حسن ، حسن ، تستمعون أيها السادة لما يقوله "آس" الغضب ، عملاقنا خوان دو مينجيث ، إنه يقص عليكم شيئاً من طفولته ويفاعته الرياضية وذلك بفضل ظرف شركة مشهيات شينا . المشهيات الخالية من الكحول التى يفضلها الرياضيون . قل ياخوان دومينجيث ، قل لنا من فضلك ، ماهو أول فريق قوى لعبت معه ؟

- حسن ، الجميع يعرف ...

إبتسم بتواضع رائع ليصحح ماقال .

- معذرة ، كانوا يعرفون . فأنا الآن عجوز

- هل حضرتك عجوز ؟

- نعم ، عجوز . كان أول فريق قوى لعبت معه هو فريق جامبو لكرة القدم ، هو فريق محافظتى ...

(كان يتذكر - وهو يقول عبارات لامعنى لها ، عبارات خاوية لاتقول شيئاً ، إذ تحكى ماسبق قوله مرات ومرات - كان يتذكر أن والده، فى البداية ، قد إقتصر على وصفه له بأنه"جلف"، ثم تذكر كيف أن قطع عنه المصروف الهزيل الذى كان يعطيه له يوم الأحد من كل أسبوع ، أما إدارة المدرسة فلم تصدر قراراً بطرده ذلك أنه تحول إلى إنسان مجد وأصبح يجلب شهرة للمدرسة لدرجة أن الصبية كانوا يفضلون الألتحاق بالمدرسة التى فيها دومينجيث وليس بتلك المدارس التى تفتقر إلى لاعبين ممتازين فى خط الهجوم،كان المعهد الذى هو فيه ينافس بشدة المدارس الأخرى حتى لاتأخذه إدارة المدرسة التى على الجانب الآخر من الشارع . وبالتالى فإن الأباء القساوسة الذين كانوا يقومون بالتدريس ساعدوه كثيراً ، ويفضل توجيهاتهم حصل دومينجيث على الثانوية بسهولة ويسر . لكن كان هناك مدرس صلب معه ، يرتدى عباءة حرية التفكير ، لم يرد حتى أن يستمع لنصائح القساوسة الطيبين فى جامبو - هذا إذا ما إستثنينا الأباء الأغسطيين الذين كان يشعر نحوهم بعظيم التقدير منذ أيام المصلح الكنيسى مارتن لوثر - لكن شاءت الظروف أن يكون هذا الأستاذ ، الذى يتسم بحرية التفكير ، نباتياً ، ويؤيد الأفكار الفوضوية ومن أشد أنصار نادى جامبو لكرة القدم ، وهكذا فقد أعطى دومنجيث درجة النجاح فى مادته ، وذلك بفضل مهارة اللاعب فى تسجيل الأهداف.

لازال يسيطر عليه خوف شديد ، ويواصل أيضاً التخلص من الكرة بكل ما أستطاع وكثيراً ماكان يصوب على المرمى معجلاً الموقف ، وإذا ماكنت هناك لعبة من اللعب تتطلب إستنفاد كافة الوسائل لأدائها بمهارة وجرأة ، فإن الخوف كان يواتيه ، فلا يستمر فى اللعبة : "ذلك هو أفضل الأمور : وهو أن تستطيع أن تشوط الكرة من مختلف الزوايا وفى أى وضع أنت فيه " .

كان الناس يرددون هذه العبارة ، وفى اليوم الذى قال فيه معلق رياضي – له خبرة بالعلوم الأنسانية لكونه قسيساً سابقاً – بأن مدفعية خوان دومينجيث يمكن أن نطلق عليها مقولة أونامونو " أن تشوط أولاً ثم تصوب بعد ذلك " رآها الناس عبارة تنطبق تماماً . كما أنه كان محظوظاً وسجل العديد من الأهداف . إشتهر برباطة الجأش وقارنه لنقاد بلاعبى إمبويس وباللاعب يرمو . كانت هذه الشهرة مثار شعوره بالرضا وأنها ممتعة وطيبة طوال أيام الأسبوع ، فقد وصل به الأمر إلى الأعتقاد بأنه شجاع جداً لكنه يوم الأحد يتصبب عرقاً . ورغم ذلك كان الحظ حليفه دائماً . لم يشأ الألتحاق بالجامعة ووصل الأمر إلى أن والده كان على وشك طرده من المنزل ، لكن حال دونه تدخل الأم وماقام به أعضاء النادى من البحث عن عمل صغير له يدر عليه راتباً شهرياً قدره ٢٥٠ بيزته وبالتالى تمكن من البقاء فى المنزل ، رغم كل ذلك فإن والده لم يكن يبادله الحديث إلا نادراً . ثم رويداً رويداً تكونت عنده عقدة منه حتى إنه

عندما رأى شهرة إبنه الكبيرة كان يقول " رغم طبيعتك البلهاء، فأنت إنسان محظوظ جداً) .

(اللعب هو أفضل مايروق لخوان دومينجيث ، كان يجد سبب وجوده فى المساحات الخضراء، وعندما يفلت من مراقبة إثنين من المدافعين فى تمريرة الموت يشعر وكأن السماء قد أصبحت مستطيلة ومغطاه بالحشائش ، يحوطها خط جيرى ومحاطة بملائكة يصيحون وهم يأكلون "أبو فروة" المشوى وجب العزيز والبرتقال المستدير الحمضى . كان أسرع اللاعبين فهو أشدهم خوفاً ، وإذا ما أصيب أحد لاعبى الفريق المضاد بأية كدمات كان يهب لمساعدته ويقضى الوقت وهو يقوم بتدليك ظهر خصومه وكان يصافحهم ويهدىء من مشاعر الغضب ولذلك أخذ الصحفيون يطلقون عليه "مقدام جامبو" وأخذت تتكون من حوله أسطورة الفروسية التى أسهمت فى الدفاع عن أخطائه الصغيرة، كما وصل الأمر إلى تصوير الهجوم على خوان دومينجيث بأنه طعنة توجه إلى القديس فرانثيسكو دى أسس ، أو كأنه عرقلة الراهبة الدومينكانية الشهيرة إيميلدا أو كأنه إغتصاب كابيروثيتا روفا . إرتفع صيته بشكل كبير، فدفع له النادى المزيد من المال وبحث له عن وظيفة محترمة ، كما أخذت الأندية الكبرى تهتم بأمره، وعامله علية القوم فى المدينة بمزيد من الأحترام وساعدوه فى بعض الصفقات التجارية ووضعوه على أكفهم ، ولأعوام طويلة لم يعرف حتى معنى أن يضع يده فى جيبه ليدفع حساب

وجبة تناولها أو فنجان قهوة ، أو أشياء أخرى كثيرة . لكن والده كان يقول له أنت أبله ذو حظ عظيم" وهذا ماكان يؤلمه).

- عظم ياصديقى خوان دومينجيث ، حقاً إنه هام وعظيم كل هذا الذى تقصه علينا . لكن الوقت يمضى بسرعة ، حسن ياعزيزى دومينجيث ، لتعذرنى ، بنفس سرعة لاعب خط الهجوم المجيد الذى فاز عن جدارة بلقب " مقدام جامبو" فإننا نريد أن نسأله سؤالاً هاماً ... لماذا إعتزلت ياسيدى ؟

- يجب أن يعرف المرء كيف ينسحب فى الوقت المناسب . فأنا ، كما تعرف ، لم أكن كبيراً فى السن عندما إعتزلت ، لكنها كانت السنوات الثلاث للحرب ... ، ماعلينا ، كانت ثلاثة مواسم ضائعة ، وكان على المرء أن يعيد تنظيم حياته ...

{ كان من السهل أن يحكى ما أعتاد قوله دائماً ، ورغم أنه قد يكون نسى هذه العادة إلا أنه لازال من السهل قول ماعتاد سرده . إذا كان الكذب يبدو عنده سهلاً وبسيطاً . لكن خوان يعرف السبب الحقيقى لاعتزاله . فهو لم يشعر لحظة واحدة أنه قد تقدمت به السن . كان يؤمن بأنه ولد ليلعب حتى آخر أيام حياته وربما بهذا لايجافى الحقيقة كثيراً . فالحرب هى المتهم الأول فى إعتزاله . إنها الحرب التى قلبت حياة الجميع، إنها الحرب التى أفصحت للناس عن مخاطر أكبر بكثير من تمريرة الموت، أو الأصابة فى الملعب ، هى الحرب التى جعلت تدليك ظهر اللاعب غير

ضرورى ، هى الحرب التى جعلت سجل حياته قديماً ، هى الحرب ملأت علاقات البشر بالصرامة فبين براثنها يرى الجميع الحقائق واضحة جلية وأن اللعب قد صغر حجمه وأصبح الحجم النبيل : ألا وهو التسلية الشخصية ، والتباهى بالتسلية بما فى ذلك ذكرى المعارك التى كان الموت فيها هو الحكم .

وفى الشهور الأخيرة للحرب تم تجنيده ، واشترك فى المعارك وكان فى مقدمة الكتائب المهاجمة لأقليم قطالونيا . وتنتشر الكتيبة فى شكل حرب عصابات ، كل ذلك كان يذكره بالساعات التى كان يلعبها فى الملاعب ، وأحياناً ما كانت المجموعة المتقدمة مكونة من ثلاثة : الجناحين ولاعب وسط الهجوم ، أما لاعباً خط الوسط فيبقيان فى المؤخرة بعض الشىء ، عموماً كانوا جميعاً يلعبون جيداً دون أن يأخذ الموضوع إهتماماً زائداً عن الحد . وعندما أخذه أحد قادته إلى المعسكر تنفس الصعداء ، لكنه فقد الفرصة فى معرفة أن الشجعان يخافون أيضاً.لا ، لن يعود إلى اللعب فكل شىء سيكون مختلفاً عما سبق . ولأن رياضته سوف تظل تشد إهتمام الناس، ولكن بطريقة مختلفة، وبدون الربح السابق فلا أحد بقادر على أن يأخذ ذلك التمويه مأخذ الجد . وعندما أراد أن يتراجع - عندما أدرك أن الحياة هى نفسها دوماً - كان الوقت متأخراً ، إذْ فقَدَ ليس فقط سنوات الحرب الثلاثة بل عدة شهور من السلام . كان ذلك عندما إفتتح محله وإكتشف أن حياته كانت خطأ جميلاً وعظيماً ورهيباً ومثيراً للشجن } .

- عظيم ياخوان رومينجيث ، نتقدم بالشكر الجزيل بأسم المستمعين لخوان دومينجيث لكلماته الهامة، ونخص بالذكر مشهيات شينا . المشهيات الخالية من الكحول ، مشهيات أفضل الرياضيين وهى المشهيات التى ترعى هذه الحلقة التى سجلناها لكم فى برنامج "الأمجاد القديمة تعيش بيننا" وهو البرنامج الذى تقدمه مشهيات شيناً كل أحد . لاتنسوا إنها مشهيات عمالقة الرياضة . والميكرفون الآن مع لويس ريبرا سيسرد عليكم أهم أحداث الشوط الأول حتى يخرج اللاعبون مرة أخرى إلى أرض الملعب . أمسية سعيدة وأن يفوز الأفضل . وماهو الفريق الأفضل؟ الأفضل هو مشهيات شينا ، مشهيات بدون كحول ، مشهيات عمالقة الرياضة .

توقف أزيز جهاز التسجيل

- كل شيء تمام ؟

- نعم كل شيء تمام .

- أنت ياسيد دومينجيث كنت ممتازاً ، من غير الشائع أن يكون هناك رياضيون يجيبون بسلاسة ، وخاصة الملاكمين . كما أنى لم أقل إلا طيباً ، ومايقال دوماً ، ومايريد الناس أن يسمعوا .

- أحقاً ذلك ؟

- الغضب ، فانلة الفريق القومى ، والنادى الذى تعشقه ، وهو

حوش المدرسة ، والولاء للمشجعين ، الكلام المعمم الجيمل ، إنه الأسطوانة ياسيدى ، الأسطوانة الجيدة .

- حقاً ، أعتقد أننى قلت مايريد الناس أن يسمعوه ، يبدو لى ذلك ، أننى قلت مايريد الناس أن يسمعوه . الناس يريدون نفس الشيء دوماً . أليس كذلك ؟

- هذا ماكنت أقوله أنا منذ لحظة .

- أخرج زجاجة نبيذ .

- سنتناول كأساً ...

- وهو كذلك يادومينجيث ، شريطة ألا تكون المشهيات هى شينا. فنحن على إستعداد لنشرب كثيراً ."شوف"يادومينجيث إذا أردت أن تعيش عمراً مديداً فخذ بنصيحتى ولاتقرب هذه الماركة القذرة . فمشهيات شينا هى منتج يقف فى خط وسط بين المنتجات السامة ومنتجات زيت كبد الحوت . إنها منتجات عفنة - توجه المذيع بالكلام للفنى قائلاً - هيا أعد علينا ماسجلناه .

أعاد جهاز التسجيل ترديد صوت الجرس والتردد الأولى فى الصوت ، أخذ جهاز التسجيل يكرر ماقاله خوان دو مينجيث ، أى مايريد أن يسمعه الناس ، صوت خوان دومينجيث بدا فى نظر خوان دومينجيث أنه صوت خوان دومينجيث آخر لايكاد يعرفه . التسجيل

ممتاز . وبينما هو يستمع فتح زجاجة النبيذ وصب منها فى الكئوس . تبادلوا النخب ، وشرب الجميع : سواء المذيع الذى قام بالتقديم أو فنى التسجيل ، وشرب خوان دومينجيث أيضاً . كان ينظر للنياشين الموضوعة فى الفترينة الزجاجية وجاءه الحزن من الكئوس كأنه نبيذ مر ومريح . ثم قال بعد ذلك "إذا لم تكن لديكم أية إلتزامات أخرى فأنى أدعوكم لتناول الغذاء " ووافق الآخرون وهم سعداء بالدعوة فكر خوان دومينجيث فى أن يشرب أكثر من المقدار ، ثم يعود بعد ذلك للمحل وحده وأن يأخذ زجاجة إلى مكتبة الصغير وأن يخرج الكئوس من الفاترينة ويشرب فى كأس منها . الأولاد لازالوا هناك علي الجانب الآخر من الفاترينة وأنوفهم ملتصقة بالزجاج وقد ملأهم الفضول . وفى المساء عندها يلعب فريق جامبو مباراته مع ريال مدريد ، فإن خوان دومينجيث سيشرب حتى الثمالة . هيا - قال لهما - أعرف مكانا سوف يسعدكما.

FRANCISCO GARCIA PAVON

فرانثيسكو جارثيا بابون

ولد فى أحدى القرى التابعة لمدينة "ثيوداد ريال" عام ١٩١٩ - عمل أستاذاً فى كلية الآداب والفلسفة جامعة مدريد عمل أستاذاً للأدب فى المدرسة الملكية العليا لفن الدراما بالعاصمة مدريد. نشر أكثر من خمسين مؤلفاً . وهو أحد من أبدعوا فن القصة البوليسية على الطريقة الأسبانية وأحد أفضل مؤلفى القصة القصيرة الأسبان . ومن بين الجوائز التى حصل عليها مايلى : جائزة النقد (١٩٦٧) جائزة نادال (١٩٦٩) الحصالة الذهبية (١٩٧٥) المخصصة للقصة القصيرة .

من بين مجموعاته القصصية : حكايات ماما (١٩٩٢) حكايات جمهورية (١٩٦١) الليبراليون (١٩٦٥) حرب الألفى عام (١٩٦٧) حديقة أغطية الرأس (١٩٨٠)- الأعمال القصصية الكاملة (القصة القصيرة) (١٩٨١) .

أما القصص التى نشرها فبرز منها "بالقرب من مدينة أو بيدو (١٩٤٦) العربات الخالية (١٩٦٥) أسبوع ممطر (١٩٧١) السبت الأخير (١٩٧٤) الأحد مرة أخرى(١٩٧٨) مستشفى النائمين (١٩٨١) ترجمت بعض أعماله إلى الرومانية والدانماركية والروسية والفرنسية والأيطالية والبولندية .

باولينا و جومر سيندو *

كانت واجهة المنزل عبارة عن حائط صغير تكسوه طبقة من الجير وتتوسطه بوابة واسعة ليس إلا . خلف البوابة هناك فناء كبير به أشجار التين والعنب، هذا بالأضافة إلى بئر وأصص,والغريب أن به كومة تراكمت عليها الحشائش ويتباهى فوقها الدجاج . تشير باولينا الى هذه الكومة قائلة: " عندما أقاموا المنزل والكهف منذ عشرات السنين بقيت هذه الكومة من التراب . ولما نمت فيها الحشائش والزهور قال والدي "فلتتركها وهكذا يكون عندنا جبل فى المنزل .

فى الفناء أقيم بناء ضئيل الأرتفاع هو عبارة عن المطبخ ومخدع الزوجية والأصطبل الذي به "تانكريدو" وحظيرة صغيرة للخنزير .

وفى بعض الأمسيات ، بل وفى الكثير منها نذهب مع أمى أو الجدة لزيارة الأخت باولينا . وإذا ماكان الوقت صيفاً نجدها جالسة بين الأصص بجانب البئر وهى تقرأ عدداً من أعداد الصحف لأيام سبقت وهى الأعداد التى تجلبها لها الجارات ، أو نجدها وهى تقوم بالحياكة .

عندما ترانا قادمين تخلع نظارتها الفضية وتترك مافى يدها وتقول لنا بإبتسامة مشرقة .

- كيف حال الأسرة الكبيرة ؟

---

* المصدر : Siete narradores de hoy

ودائماً تبدأ بى ، بالتربيت على ساقىّ وتضم وجهها لوجهى . هناك ذكرى من تلك المعانقات الصدرية : شعرها الناصع البياض، قرطها الذهبى الكبير والزائدة الجلدية الكبيرة والوردية اللون على جبهتها ...

تفوح منها رائحة السفرجل أو زيت الزيتون أو مشهد حالم وتنظر إلى أكثر بابتسامتها أكثر منه بعينيها الواضحتين المتعبتين التى تحيط بهما التجاعيد الوردية .

فى الوقت الذى نلعب فيه معشر الأطفال فى الفناء أو تقوم بالتزحلق على الجبل الصغير تتحدث هى مع أمى . يطيب لهما تذكر الأحداث القديمة لهؤلاء الذين ماتوا ، والشوارع التى كانت من طراز آخر والكرمة التى إستؤصلت والجبال التى كانت تزرع بالكروم والمهرجانات الشعبية إحتفالاً بالقديسات العذراوات ، والتى لم تعد تعقد اليوم . وعندما تتحدث ترفع عادة أحد مواجبها أو ذراعها كأنها تشير لأشياء تختلف عن هذا الزمان، وعندما تضحك تغطى فمها بيدها وتطاطىء رأسها (آه لتلك الأمور التى مضت يا إبنتى) . وإذا ماكانت تقص أموراً محزنة ترفع إصبعها السبابة وتحملق فى عين أمى (ذلك كان من الضرورى أن يكون هكذا ، من الضرورى أن يموت مثلما سنموت نحن).

أما فى الشتاء فكانت تستقبلنا فى مطبخها بجوار المدخنة وهى تراقب طهى الطعام الذى وضعته فى الأوانى . وإذا ماكانت وحدها فأن ضوء اللهب - مصدر الضوء الوحيد فى الحجرة - ينعكس على الأكواب

الكبيرة الموجودة فى أرفف الخزانة وعلى المرأة الوحيدة المتآكلة الموضوعة فى إطار نحاسى . ووسط الصمت تسمع دقات المنبه التى ترتفع حتى تغطى على كل شيء . وتصمت إذا ماتكلم الجميع ، "إذا توقف المنبه عن العمل فإنى أنزعج رغم أنى قد أكون فى الطرف الآخر للفناء أو فى منزل إحدى الجارات" . هكذا كانت تقول الأخت باولينا . وفى ليالى البرد الشديدة تغطى المنبه بقطعة قماش " عندما يتغيب جومر سندو فالمنبه هو رفيقى الوحيد ، وعندما يخاصمنى النوم أسمعه فأشعر بالطمأنينية".

فى الجو البارد كنا نلعب فى المطبخ على مائدة مغطاه بمفرش خشن ذى لون أحمر ، أو كنا نذهب إلى إصطبل تانكريدو .

عندما تنتهى من إحدى حكاياتها تظل صامتة هنيهة وهى تحملق فى النار المشتعلة ويديها ممتدتان تتلمسان الدفء ... لكنها تبتسم بعد ذلك لتوارى بعض الذكريات الأخرى وتهز رأسها ، ثم تنظر لأمى وتبدأ حكاية أخرى. فإذا ماكانت الحكاية طريفة ومسلية تقول لنا "أقتربى أيتها الأسرة وإسمعى هذه الحكاية". وتمسك بخصورنا وتبدأ فى السرد وهى تنظر تارة لهذا وتارة لذلك وثالثة لأمى ... وإذ كانت الحكاية تتعلق بمن مات من أهلها تنتهى بصوت يصحبه سكون شديد، تمسك الدموع فى مآقيها وترفر زفرة عميقة - "آه ياربى" ! - وتظل بضعة ثوان تنظر ليديها المعقودتين على الجوئلة ... فتقول لها أمى " أتتذكرين ياسيدة باولينا...؟" فتبتسم وتهز رأسها وتغوص بكلماتها الحانية فى الزرقة

العميقة للذكريات .

ولما كان الحديث يدور كثيراً فى تلك الأيام عن النظام الجمهورى، قصت علينا فى إحدى الأمسيات كيف كان حال الجمهورية الأولى، عندما كان الجد بيثنتى بوبيلاس يشغل منصب العمدة ، إذ عقد إجتماعاً مع أعضاء المجلس البلدى ليتقلد المنصب ، وأول مافعله الأعضاء هو أداء صلاة الشكر على ماحدث . " أؤكد لك أنها إذا عادت الآن فلن يؤدى أحد صلاة الشكر" . وعندما خرجوا من الكنيسة ألقى الجد بيثنتى خطبة من شرفة المبنى القديم للبلدية وقبل العلم ودعا الناس إلى تناول مشروب مثلج .

حكت لنا أيضاً حكاية "ثورة الأستهلاك" من نوافذ منزل بانادريا"أطلقوا النيران على الشعب الاعزل " الذى قام بعد ذلك بمهاجمة المكاتب وبعثرة الأوراق والمستندات . قتلوا ثلاثة وأتت القوات ليلاً من منطقة مانشا ناريس وقامت بأشعال النيران للتدفئة فى شارع المهرجانات أما أعضاء المجلس البلدى والأستهلاكيين فقد هربوا وتجمعوا فى مقر "بنك التسليف الجديد" .

وأحياناً أخرى تقص أحداث وباء الكوليرا : "كانوا يحملون الموتى فى عربات كأنهم أشجار جافة" أو عندما قتلوا "تاخا" أو السيد "فرانثيسكو مارتينيث" والد الأختين لاورا . أو تتحدث عن عام الجوع عندما كان "الناس المساكين يأكلون لحوم الكلاب والقطط" .

عندما تحين ساعة رحيلنا تفتح خزانة الطعام وتقول وهى تبحث فيها :

- والآن حان موعد تقديم هدية الأخت باولينا

فتقول أمى

- لكن باباولينا ...

- إسكتى ياشابة .

وحسب فصول السنة تخرج إما طبقاً من العنب أو البندق أو الترمس، أو الكعك الصغير بطعم الينسون ، أو ماهو أفضل من كل ماسبق : "قطوف" لقمة لذيذة تسميها وريدات . أحياناً أخرى عيش "التوست" وهو من القمح المقلى والملح . أو اللب . وعندما نشعر بالعطش صيفاً تقدم لنا مرطبات الخل اللذيذة ، وعندما تنظر إلينا ونحن نتناول ما تقدمه تقول مبتسمة .

- أليست طيبة المذاق ؟ أليس كذلك أيتها الأسرة ؟

طوال سنوات عديدة شهد الأجداد ونحن بعدهم نفس الأحداث صباح كل يوم إثنين . فمنذ الصباح الباكر ويصبر وأناه يقوم جوميرسندو بأعداد التجهيزات فعلى ناصية الشارع هناك "تانكريدو" وهو مربوط فى العربة، إنه حمار جمع بين اللونين : البنى والأسود ، له أذنان أفقيتان وعينان مخضبتان بالدموع تغطى بطنه طبقة من الشعر القديم الرمادى،

أما على "الكَفَل" نجد دوماً إسمه مكتوباً بالمقص وبالخط العريض "تانكريدو" . وأول شيء يصنعه جومرسندو على صندوق العربة الكارو هو الأكياس معبأة ، وقربة النبيذ وإبريق المياه المصنوع من الفخار وأجولة العلف والبطاطين ، فى كل مرة تساعده باولينا فى حملها. أما هو ففى صمت ودقة يضع كل شيء فى مكانه المحدد له . وفى النهاية يقوم بربط المحراث فى المؤخرة ويتأكد من وجود لمبة الأضاءة الخلفية ويبقى شارد الذهن .

- هل أخذت معك الخل ؟

- نعم ياباولينا .

- والبيكربونات ؟

- نعم ياباولينا .

- والمسامير الجديدة

- نعم أيتها الطيبة

- والألواح الخشبية

- نعم ياعصفورتى

عندما يكتمل كل شيء ينظر جوميرسندو فى ساعته ويصنع على رأسه الطاقية التى صنعها من الحشائش ثم يأخذ يرى زوجته ويقول لها

كزوج عاشق .

- لاتنسى إغلاق الباب بالمزلاج أثناء الليل حتى لايفكر أحد المجانين فى إستغلال وجودك وحيدة .

فكانت تقول له مبتسمة : إطمئن ، فبستانك فى مأمن .

ثم يقترب منها جوميرسندو ويقبلها قبلتين طويلتين بصوت مسموع. ثم يركب العربة الكارو وهو عصبى وغير قادر على أن يرمقها بنظرة .

- هيا ياتانكريدو !

كان الحمار يبدأ فى جر العربة ببطء شديد فى شارع / مارتوس ، أما باولينا فتتبعه سيراً على الرصيف .

- كفى ياباولينا ... كان يقول لها ذلك مديرا رأسه ، بينما الأخت ياولينا تمضى مبتسمة .

- عودى ياباولينا

لكن باولينا تواصل السير حتى شارع / الأستقلال . وتظل هناك لبعض الوقت حتى تتلاشى عبارته " عودى ياباولينا " فى أذنيها .

تظل باولينا تنتظر عودة زوجها طوال الأسبوع حتى يعود مساء السبت . كانت تنتظر . تنتظر وبعد لعودة جو ميرسندو . تنتظر

وتستقبل صديقاتها .

أما جوميرسندو فيظل وحيداً فى مزرعة العنب الصغيرة التى تبعد عن القرية حوالى عشرة "فراسخ" ينتظر أيضاً لكن دون صداقات يستقبلها "هناك وحيداً يصارع الأرض ، ياله من مسكين" .

عندما تتلبد السماء بالغيوم تجول باولينا بنظراتها القلقة وهى على الباب المطبخ ، - "ياإلهى" - وفى أيام العواصف تظل بجانب مصدر الضوء تردد صلوات وأدعية قديمة تعود على تدريدها الكاثوليك .

لم تتصور أبداً أن لجومير سندو أعداء إلا تقلبات الطقس . وعند الحديث عن رياح الشمال ونزول الجليد والصقيع وهبوب العواصف أو المطر الثلجى تحول كل هذه الظواهر إلى مخلوقات صخمة ذات سحنة مخيفة. فالشعاع مثلاً هو فى نظرها أمير الملائكة المتمردين الذين يهيمون على وجوههم فى الحقول . "أيتها القديسة باربارا ، أرسلى بنورك إلى كل مكان - أيتها القديسة باربارا حرريه من كل شر- أبعدى الشعاع عن الحظيرة وعن السنابل ، أرسليه إلى غير المؤمنين - إلى الشاطىء الآخر للبحر" . أو أن تتلو الدعاء التالى الذى يقف فى طريق وسط بين التقليدية وخيالها "أيها القديس إيسيدرو إرع زوجى جومير سندو - وأن يروى الماء الأرضى - ولايتحول إلى طوفان - وأن يسقط الثلج أيام الآحاد - وأن يكون سقوط الثلوج يوم الأثنين - بعد مطلع الصباح بقليل- فلتجعل أيها القديس إيسيدرو - حبات المطر الثلجية الغليظة

خفيفة رقيقة " .

يظهر جوميرسندو يوم السبت حوالى السادسة بعد الظهر وهو يقود تانكريدو بيده اليمنى ويسير فى شارع الأستقلال . أما باولينا ، فقبل السادسة بكثير ، كانت تقف على الناصية وعيناها على الميدان .

- ماذا ياباولينا ؟ أتنتظرين زوجك .

- بلى ! يجيب وفى نبرتها شىء من الخجل

- أنظروا ، باولينا تنتظر فارسها .

- نعم !

عندما تملح العربة الكارو لاترد على التحايا فعيناها الصافيتان اللتان هدتهما السنون والأنتظار كل يوم سبت والوداع كل يوم إثنين ، تنظران إلى من تعرفه هى جيداً دون أن ترفع عينيها عنه .

تبدأ قامة جومير سندو فى الظهور بين الغبار الذى تثيره عربات الكارو الكثيرة إنها قامة نحيفة يابسه تقود تانكريدو من الناحية اليمنى، يعرف الحمار طريقه جيداً إذ يمشى بخفة وإنتباه تدل عليه أذناه المنتصبتان إلى الأمام ، وكأن هناك إبتسامة ترتسم فى مآقبه المبللة .

قبل أن تصل العربة إلى ناصية شارع / مارتوس تتقدم باولينا نحو وسط الشارع ثم تقترب من جوميرسندو وتأخذ وجهه بين يديها

وتقبله كطفل .

- هيا ياباولينا هيا . ماذا يقول الناس ؟ - يقولها وهو خجل ويدقعها برقة(كانت تنبعث منه إما رائحة هواء الخريف والشمس الواهنة، أو رائحة عصير العنب وأغصان الكرم إذا ماكان زمان قطف العنب) . بعد ذلك يضرب الحمار عدة ضربات بيده قائلاً "هيا ياعجوز!".

كانا يشاهدا فى الشارع وهما يسيران متشابكا الأيدى - كما تقول هى - يتبعهما تانكريدو وهو واثق من مقصده . دائماً كان يأتى لها ببشائر مايزرع وماقد يجده مثل أول عناقيد عنب تنضج أو شقائق النعمان التى تفتحت قبل موعدها ، أو عصفوراً أو سنابل القمح التى جفت لتحميصها أو عش عصافير . وذات مرة أتى لها بطائر الحبارى - دائماً ماكانت تذكر ذلك - إذ إستطاع جوبمير سندو أن يصيده بطلقة واحدة .

يحل تانكريدو من العربة ويضعه فى الأصطبل ، تأتى باولينا لزوجها بالطشت والصابون والملابس النظيفة وبالماء البارد الذى يخرجه من البئر لينظف نفسه بالطريقة التى إعتادها بينما تنتظره هى حاملة الفوطة ثم تأخذ الملابس المتسخة . ثم يجلسان بعد ذلك على المائدة الموضوعة تحت العريشة إذا ماكان الجو طيباً ويتناولان الأطعمة التى أخذت تفكر فيها طوال الأسبوع . يأكلان فى ظل الحب والرفقة، ويبدآن السمر الذى يستمر طوال يومين إثنين . يقص عليها بالتفصيل كل

مايفعله ومايصادفه وفى أى مكان فى الحقل قام بعمله، وكيف سيكون حال المحصول، ومن طافوا به هناك . وما إذا زاد أو قل شيء مما يحمل من الزاد، إذا كان الجو بارداً أو حاراً أو رطباً ، ما إذا كانت الليالى شديدة الظلمة أم لا ، وماذا قالوا له وماهى إجاباته .

يخصص جزءاً مهماً من حديثه عن تانكريدو فيما إذا كان جيداً فى أدائه أو تعرض لشيء سيء مثل أعشاش الزنابير أو ذبابة الحيوانات، وفيما إذا إندمل الجرح الذي حدث له الأسبوع الماضى . وفيما إذا كان قد قام بتشحيم مقص تقليم الأشجار أم لا وما إذا كان النبيذ قد كفاه حتى العودة أم لا ...

بعد ذلك يأتى الدور على باولينا التى تقص عليه الأحداث الجديدة فى القرية ، ومن الذين زاروها وما تحدثوا معها فيه ، وإستعراض الأمراض الشائعة والمواليد والوفيات بين الجيران والمعارف . والخوف الذى عاشته يوم الخميس ، عندما تلبدت السماء بالغيوم وكان الرعد تجاه "الحمراء" أو الأهتمام بتخزين القليل أو الكثير من شحم الخنزير أو ما إذا كان النبيذ قد تفاعل مع نواتجه أم لا .

وأثناء الأيام التى يقضيها جومير سندو فى القرية لايقرب أى منا منزل باولينا "كيف حال جومير سندو..." يرى الزوجان وحدهما جالسان بالباب فى الصيف ومنهمكان فى السمر. أما فى الشتاء فيجلسان فى المطبخ بجانب المدفأة ، ويتحدثان وهما ينظران الى اللهب . ومعظم

حكايات باولينا وجوميرسندو تدور حول ماحدث خلال سنوات خلت وعمن ماتوا وأحداث لايكاد يذكرها المسنون . أو حكايات طريقة قصيرة، وطرائف ومواقف قصيرة . وأحياناً يتحدثان عن نظرة أو إشارة أو فكرة كانت فى الخفاء ولم تر النور . ونظراً لأن باولينا تكثر وتطنب فى سردها فأنها تعطى الأمور أبعاداً غير متوقعة . (والآن أدرك كيف أنه كان يتخلل كل حكاياتها وسمرها مكرا مستتراً بالأضافة الى قصد رفيق لم أكن أعرف سره آنذاك ، وبعد ذلك بأعوام ، وعندما ذكرتنى أمى بباولينا وقعت فى العمق الفريد لسمرها).

لم يفصل بين موت جوميرسندو وباولينا إلا بضعة أسابيع . لم يكن ممكناً إلا هكذا . ففى أحد أيام السبت رأت باولينا وهى فى شارع/ مارتوس عربة الكارو وهى تسير فى شارع / الأستقلال كعادتها. لكنها إستغربت شيئا ما . إذ لم يكن جوميرسندو قادماً سيراً على قدميه يقود تانكريدو طبقاً لما إعتاد عليه طوال خمسين عاماً . فاتجهت نحو العربة نافذة الصبر وإلتقت بالعربة عند منزل آل فلورس . أوقفت تانكريدو، كان جوميرسندو ملفوفاً بالبطاطين وشبه مستلقى وقد أخرج يده ليسمك اللجام، أصفر الوجه ، أثرت عليه الحمى تأثيراً شديداً وعيناه شبه مغمضتان.

- ماذا بك ؟

- لقد أصابنى الداء الأليم بابا ولينا ... لقد مرضت كليتى من

"ريح الشمال" التى هبت أمس . فغطته هى بشكل أفضل وأخذت تقود تانكريدو وسارت وعيناها الصافيتان ثابتتان بلا حراك .

سألها الجيران

- ماذا حدث بابا ولينا

تسير هى دون جواب وهى تنظر إلى بعيد ممسكة جيداً بتانكريدو

لم تسمح باولينا بأن يمس زوجها أحد فهى التى غسلته وكفنته وهى التى وضعته فى التابوت بمساعدة نساء أخريات ، وهى التى ألقت عليه النظرة الآخيرة دون أن تدمع عيناها الصافيتان حتى أغلقوا التابوت. وتمت إجراءات الجنازة دون نواح أو كلام . كنا نحن معشر الجيران ننتظر فى الغناء ونحن ننظره إلى البئر والعريشة وشجرة التين والجبل المغطى بالحشائش والعربة الكارو فى جانب .

عندما حملوا التابوت إلى سيارة دفن الموتى التى كانت تنتظر فى الشارع بدأت باولينا - وسط دهشة الجميع - تسير خلف التابوت ، وينظر القساوسة إليها وقد فقدوا القدرة على التصرف ، وظلوا يتلون الصلوات . سارت وحدها فى مقدمة الجنازة وذراعاها متشابكتان وقد غطت رسأها بمنديل أسود من الحرير وقد تسمرت عيناها على مشهد الموت . وهكذا وصلت حتى تقاطع شارع / مارتوس مع شارع / الأستقلال ، وعندما إتجهت السيارة إلى الميدان توقفت هى على الناحية

ورفعت ذراعيها مودعة كعادتها .

بقيت أمى وبعض الجارات إلى جوار الأخت باولينا التى ظلت تحرك ذراعها حتى دخلت الجنازة الميدان . عندئذ عادت والجارات يحملنها على أذرعهن ، وهى تشعر بالفراق الكامل وتبكى بأنين لاينقطع، أنين مكتوم ليس له مخرج إنتهى بموتها بعذ ذلك بعدة أيام.

لست أعرف ماهية المشاكل بين الورثة والتى جعلت منزل باولينا مهجوراً هكذا . أحيانا ما ألقيت نظرة من خلال فتحة المفتاح ورأيت الفناء وقد ملأته الحشائش الضارة والأشواك . ومهما حاولت أن أتذكر وأعود بذاكرتى إلا أنى لا أستطيع إسترجاع الحياة العذبة لباولينا ، بل أتذكر فقط الأنين المكتوم الذى لاينقطع - كأنين الحيوان الجريح - والذى إستمر فى هذا المنزل حتى الحشرجة الأخيرة للحياة العذبة .

MIGUEL DELIBES

ميجيل دليبس

ولد فى مدينة بلد الوليد عام ١٩٢٠ . درس القانون والتجارة . عمل كأستاذ للقانون التجارى فى مدرسة التجارة .

من بين أشهر قصصه La Sombra del cipres es alargada (١٩٤٧) لم يمض النهار بعد - الطريق - يوميات صياد قناص - يوميات مهاجر - الورقة الحمراء - الفئران - الأعمال الكاملة (١٩٦٤) حرب أجدادنا (١٩٧٥) .

أما عن مجموعاته القصصية نذكر منها "الرحيل" (١٩٥٤) القيلولة فى ظل رياح الجنوب (١٩٥٧) ... إلخ .

حصل على عدة جوائز منها Nadal(١٩٤٧) .

الأرنب *

وكل مرة يرى فيها خوانُ الحدادَ يقول له

- متى ستعطينى الأرنب يابونى

وكان بونى ، الحداد يرد عليه سائلاً :

- هل تستطيع العناية به

وكان خوان ، الطفل ، يرد عليه :

- طبعاً

لكن أدولفو، الطفل الأصغر يكمل ، وهو ينظر نحوه بعينيه الزرقاوين والصافيتين :

- ماذا يفعل الأرنب ؟

فيحدد خوان بتوده

- هو ... يأكل وينام ويلعب ...

- مثلى ؟ إستقصى أدولفو .

أما الحداد ، فأضاف دون أن يتوقف عن طرق الحدوة

* المصدر : El cuento español - castalia didactica (1989)

- ويلد زيادة على هذا

كان خوان يمسك الصغير من يده :

- الأرنب الذى سيعطينا إياه بونى سيلد أرانب صغيرة وعندما يكون لدينا كثيراً منها سوف تعطينى واحداً منها لـ "فيكو" .

- نعم - قال أدولفو

الحداد بونى رغم أنه كان ينظر للأطفال فإن دقاته كانت تنزل فوق المكان المطلوب .

- هل حقاً تريد الأرنب ؟

- طبعاً - أجاب خوان .

- وهل تعرفان العناية به ؟

- نعم - قالها الطفلان بصوت واحد

- إذن غدا عند الظهيرة سوف أنتظركما فى المنزل - أضاف الحداد

وعندما إتجه الطفلان نحو الطريق يمسك كل منهما بيد الآخر قال لهما صائحاً :

- وإذا ما إعتنيتما به جيداً سوف أعطيكما أحد الأفراخ

وسأل أدولفو خوان :

- أحد الأفراخ ؟ مامعنى ذلك ؟

- حمامة صغيرة - أجاب خوان

- وتطير ؟ - قال أدولفو

- كل الحمام يطير - قال خوان

وعندما مرا بالميدان رأيا مجموعات من الناس ورأيا سباستيان ، وروبين ومعهما الشموع وإمرأة تبكى بدون صوت . وقال ايفيليو صاحب المطعم .

- حدث لها ذلك منذ فترة ، وإن لم تكن قد قالت شيئاً للطبيب فأنها لم تشأ أن تكشف له عن صدرها .

" هرش" إستبيان - تباع الطاحونة - قفاه :

- الأمر مفهوم فى حالة إمرأة عازبة .

تجول خوان وأدولفو وكل منهما يمسك بيد الآخر بين مجموعات الناس دون أن يلفتا إنتباه أحد حتى أتى القسيس ونظم سلسلة عبارات غير مفهومة فقامت القسوة بالأشارة بعلامة الصليب على صدرورهن ونزع الرجال قبعاتهم وأخذوا يديرونها بين أصابعهم دون أن يتركوها . ترك خوان يد أخاه ونزع غطاء رأسه وأخذ يدير قبعته مثلما يفعل الرجال تماماً . وعندما رآهم يخرجون ذلك الشىء من المنزل قال لأدولفو هامساً .

- إنه ميت

- أين هو الميت . قالها أدولفو بصوت واضح .

وقال الرجال

- هس ياغلام !

وفتح أدولفو عينيه الزرقاوين أكثر وخفض صوته وقال لخوان

- أين هو الميت ياخوان

وأجاب خوان

- موضوع فى ذلك النعش

ونظر أدولفو أولاً للصندوق الأبيض ، وبعد ذلك لأخيه ، وبعد ذلك إلى الصدوق الأبيض مرة أخرى.وأخيراً مد يده الصغيرة ليمسك بيد أخيه وأخذ كلاهما فى السير خلف الجنازة بينما واصل القس تلاوة جمل غير مفهومة . وعند المرور بمحل الحدادة إلتزم بونى الحداد الصمت وتوقف عن العمل ووضع طاقيته بين أصابعه وهو يرى مرور الموكب الجنازى . وعندما رأى خوان فى نهاية الموكب غمز له بعين وقال له :

- إلى أين تذهبان ؟

- للدفن - قال خوان - إنه ميت .

- والأرنب ؟

- غداً - قال الطفل

وضع الحداد طاقيته من جديد على رأسه وثبت القماطة للحصان وأخذ القادوم وقال لخوان ، وهو بين ارجل الحصان مشيراً إليه بأيماءه برأسه ، المنحنى الذى إتجهت إليه الجنازة :

- لنرى فيما إذا عنيت به وألا يحدث له مثلما حدث لـ " إيؤلاليا"

رفع أدولفو عينيه الزرقاويين :

- هل كانت إيولاليا تستطيع الطيران؟ - سأل .

- "هُس"! - أجاب خوان وإنضما للموكب . توقف الموكب الوقفة الأولى وأستقر النعش . وأخذ القسيس يغمغم بعبارات غريبة وبنبرة تنم عن صوت رصين جداً وأخذ الرجال يتقدمون الواحد تلو الآخر وضعون نقوداً فى الصينية التى أمسك بها ميلتشورين ، ومزيد من النقود ، وكان العملات المعدنية تحدث فرقعة عند إصطدامها بالصينية ، وأدولفو تزداد حدقتا عينيه إتساعاً ويقول :

- ياخوان ، لماذا يعطون فلوساً لـ ميلتشورين ؟

وخوان يوضح له :

- حتى لايموت مثل السيدة ! يولاليا .

وإستمر الأمر على هذا الحال خلال وقفات ثلاث حتى وصل الموكب

إلى أعلى الهضبة حيث يعلو شجر السرو وسط "القرافة" الصغيرة . كان سيكون هناك بجوار الحفرة وهو يحمل الجاروف ، وثوسيمو ، الشرطى ، يحمل على كتفه فأساً كبيرة . بين كومة التراب الناتج عن الحفر ظهرت عظام متآكلة . وضغط أدولفو على يد خوان وسأل

- ماهذا ؟

- إسكت - أجابه خوان - إنها جمجمة ، لكن لاتخف

- هل تطير ؟ - أصر أدولفو

لكن لم يجب خوان . إذ كان ينظر بإنتباه إلى الحاضرين وهم يقومون بإنزال النعش فى الحفرة بالحبال ، وكيف أنه بعد ذلك قام سِيكُون وثوسيمو بانزال التراب وبقايا العظام البيضاء فوق الحفرة ، وبعد ذلك قام ميلتشورين بوضع الصينية وأخيراً لاشىء .

وعندما حان وقت الغداء قال خوان لوالده .

- يابابا

لكن الأب لم يسمعه . إذ كان ينصت للحوار الدائر بين إخوته الكبار وينظر باستلطاف وضاح إلى أدولفو الذى تؤنبه والدته لأن ملابسه وقعت عليها بعض البقع . وهكذا فإن خوان كرر النداء " يابابا" لأربع مرات ، وعند المرةالرابعة توجه إليه والده قائلاً :

- بابا ، بابا ، لاتختفى أبداً هذه الكلمة من فمك . ماذا تريد ؟

قال خوان بخوف .

- سوف يهدينى بونى الحداد أرنبا.

- حقاً ؟ - قالها الأب وهو متشاغل .

- الأرنب لأدولفو ولى أخاف خوان

- لأدولفو أيضاً ؟ - ضحك الأب - ولماذا تريد أرنبا ، هل يمكن أن أعرف ؟

- حتى يطير - قال أدولفو .

تدخل خوان

- حتى يلد . فالحمام هو الذى يطير . يقول بونى ....

- أسكت أنت ، إترك الطفل - أضاف الوالد .

- الأرانب لها أجنحة - قال أدولفو

وضحك والده . وضحكت والدته ، وضحك أيضاً الأخوة الكبار .

وفى صباح اليوم التالى أتى خوان بأرنب وليد يجمع بين اللونين ، الأبيض والبنى ، وقد وضع الأرنب فى قفة صغيرة وقال :

- ياماما ، هل عندك صندوق خشبى؟

لكن الأم كانت تتشمس وهى، فى إعفاءة، على الشيزلونج ، ولم تجب . فعاد خوان للسؤال مصراً وهو يحرك القفة كأنها بندول حتى فتحت الأم عينيها بعض الشىء وغمغمت :

- هذا الطفل يأتى دائماً فى الوقت غير المناسب ، فى الكهف هناك صندوق على ما أعتقد . ونزل خوان إلى الكهف وصعد ومعه الصندوق ، وإهتم لويس بالأرنب فأخرج شنطة العدة وجهز الصندوق بشبكة معدنية وصنع به بابا صغيراً ليدخل منه الأرنب ويخرجه . وعندما رأى خوان أخاه يعمل بجد وحماس قال له :

- سيلد هنا وهو "مبسوط". إليس كذلك يالويس ؟

لكن لويس المشغول بمهمته لم يكد يسمعه :

- جميل ذلك الأرنب الذى أعطاه لى بونى ، أحقاً يالويس ؟

وقال لويس فى النهاية بطريقة روتينية .

- نعم جميل

إقترب أدولفو من خوان

- هل هذا بيت الأرنب ؟ - سأل

- نعم ، إنه بيت الأرنب . أيعجبك ؟ - قال خوان

- نعم - قال أدولفو

وفور إنتهاء لويس من عمله جذب خوان القفة بحرص وفتح الباب ووضع الأرنب بالداخل . كان الطفل ينظر للحيوان وهو يقوم بأحداث تجاعيد متوالية فى فمه ويغير وضعه ، ويحرك أذنيه ، ويقول

- إنه سعيد فى هذا البيت ، إليس كذلك يالويس ؟

- نعم ، إنه سعيد - يقول لويس

- وسوف يطير ؟ - سأل أدولفو

مال خوان برأسه إلى مستوى رأس أخيه وقال له :

- الأرانب لاتطير ، ياأدولفو . فما يطير هو الحمام . وإذا ماعنيت جيداً بالأرنب فأن بونى سوف يعطينا حمامة .

- نعم - قال أدولفو

جرى خوان نحو لويس الذى أخذ يتجه نحو البيت وهو يحمل شنطة العدة فى يده :

- يالويس - قال له -هل تصنع لى بيتاً آخر إذا ما أعطانى بونى حمامة ؟

- حيوان آخر ؟ - همهم لويس .

نظر إليه خوان وهو مبتسم ، لكن به بعض التبرم . قال

- بونى سوف يعطينى آخر أفراخ الحمام، إذا ما إعتنيت جيداً

بالأرنب

- حسن ، سأرى - قال لويس .

وعاد خوان حيث ترك الأرنب وأخذ يرى كيف يحدث الأرتعاشة فى فمه الوردى وكيف يدق قلبه بين ضلوعه . بعد ذلك أخذ أدولفو من يده وأتى إلى حيث والده

- يابابا - قال - ماذا يأكل الأرانب ؟

إتجه إله الوالد وهو يشعر بالمفاجأة

- لست أدرى ! - قال - الخضرة ، على ما أظن

- نعم - قال خوان وهو خائف ، وجرى إلى حيث والدته وقال :

- ياماما - مامعنى "خُضرة" ؟

- يايسوع ، ياله من طفل ثقيل - قالت الأم - "خُضرة" ، لكن من أى نوع ؟

- يقول والدى إن الأرانب تأكل "الخضرة" ، ولكننى لا أعرف مامعنى "خضرة" .

- آه "خضرة" ! - أصابت الأم - إذن هى الحشائش

فى المساء ذهب الطفل إلى الحداد

- يابونى - قال له - ماالذى تأكله أرانبك ؟

انتصب بونى الحداد بعد جهد وهو يضغط على كليتيه بيده ، لكن لم يعتدل تماماً .

- حسن ، حسن -قال - الأرانب شهيتها جيدة . تأكل أى شىء - وبداية يمكن أن تطعمه الكرنب والخس ، فإذا ما أكل جيداً فاعطه جزراً للتحلية .

- أخذ خوان يد أدولفو . فقال أدولفو .

- أنا لايعجبنى ذلك

- ماذا ؟ - إستفهم خوان

- ذلك - قال أدولفو .

كل صباح يحمل خوان للأرنب طعامه من الكرنب والخس ، ويضع له بعض الأيام الجزر كذلك لكن الأرنب لايكاد يقضم جزءاً صغيراً ثم يتركها .

- لايطيب له ذلك - يقول أدولفو - فيشرح له خوان بهدوء أن معدة الأرنب مليئة بالكرنب والخس وليس هناك مكان للجزرة . كان أدولفو ينفى ذلك بشدة بهز رأسه :

- لايطيب له ذلك - يقول .

فى البداية كان الأرنب خائفاً ، لكنه سرعان مالاحظ أن الصغار

كانوا يأتون ليضعوا له الطعام وبالتالى كان يجلس مقعياً ليأخذ أوراق الكرنب ويأكلها أمامها . لم تعد أضلعه ترتعش عندما يأخذه الأطفال، وكان يروق له أن يرقد ممدداً تحت الشمس فى أحد الأركان وذلك عندما كان خوان يخرجه من الكهف لتهويته . على أى الأحوال كان خوان يبعد الأرنب عن البيت ذلك أن أمه قالت فى اليوم الأول أن "هذا الحيوان له رائحة مقززة ".

بانتهاء الصيف بدأ المطر ، المطر البطىء وغير المنقطع وكان خوان يهرب من الرقابة عليه كل يوم من أجل البحث عن الخس . وكل مرة يعود بحزمة منها ، وكان الأرنب ينتظره مقعباً ومتلهفاً فيقول له خوان .

- أنك جائع ،"هه" ؟

وبينما يأكل الأرنب ، يضيف خوان

- لم يأت أدولفو لأنهم لم يتركوه ، أتعرف ؟ إنها تمطر وعندما يتوقف المطر سوف أخرجك للشمس .

وتوقف المطر فى اليوم الرابع بشكل مفاجىء . شهد خوان زرقة السماء وهو على سريره ، فأخذ يجرى حافياً نحو الكهف لكن الأرنب لم يستقبله مقعباً ولاحتى واقفاً على أربع فى أحد الأركان كما كانت عادته فى الأيام الأولى لكنه كان مستلقياً على جانبه وهو يتنفس بصعوبة . وضع الطفل يده من خلال الشبكة المعوجة وداعبه ، لكن الحيوان لم

يستجب ولم يفتح عينيه

- قال أنت مريض ؟ - سأل خوان

ولما لم يكن هناك رد فعل من الحيوان ، فتح خوان الباب بسرعة وأخرجه ، إستمر الحيوان مستلقياً دون حيوية : رعشة خفيفة على فمه وتنفس سريع وغير منتظم . وضعه خوان على الأرض وجرى بجنون نحو المنزل :

- ياماما ، ياماما ! - صاح - الأرنب مريض جداً .

نظرت إليه الأم وهى مغتاظة :

- دعك من الأرانب الآن وإلبس حذائك - قالت .

إنتعل خوان الشبشب وبحث عن أدولفو :

- أدولفو - قال له - إن الأرنب يموت .

- لنرى - قال أدولفو .

- تعال - قال خوان وهو يأخذه من يده

كان الأرنب المدد على جانبه فوق الحشائش عبارة عن قبضة من القطن لايكاد يتحرك :

- هل يغالبه النوم ؟ - سأل أدولفو .

- لا - أجاب خوان برصانة شديدة .

- لماذا لايفتح عينيه ؟ - سأل أدولفو .

- لأنه سيموت - قال خوان

وفجأة ترك يد أخيه وجرى إلى دكان الحداد :

- يابونى - قال له - الأرنب بحالة سيئة .

وضع بونى الحداد يديه على كليتيه قبل أن يعتدل

- ربما لايكون الأمر خطيراً .

- نعم - قال خوان - لايريد المشى ولاحتى أن يفتح عينيه .

- ياسلام - قال بونى - حقاً إنك كنت مهتماً به .

لم يجب الطفل . أخذ بيد الحداد الساكنة وداعبه وشده من يده قائلاً

- هيا بنا يابونى

- هيا بنا ، هيا بنا - قال الحداد محتجاً - وماذا ستقول أمك ؟ أنت تعرف أن أمك لايروق لها ألا يتدخل أهل القرية فى شىء هناك

لكنه سار مع الطفل ، وعند الوصول إلى الباب قال محذراً .

- هيا أحضرو الأرنب . فأنا لن أدخل .

وعندما عاد الطفل يحمل الأرنب كان أدولفو يجرى متعثراً خلفه ،

وعندما رأى الحداد قال له :

- هل سيطير يابونى ؟

تأمل الحداد الحيوان بتمعن :

- يطير ، يطير .... نعم إن الحيوان فى وضع الطيران - عاد بنظره إلى خوان - هل تغير له السرير ؟

- أى سرير ؟ - سأل الطفل

- هل تريد أن يكون الأرنب ذكياً مثلك وبالتالى لاترتب له السرير؟

- أنا لم أكن أعرف - قال خوان بتواضع .

إزداد الحداد إصراراً

- ستكون قد قدمت له الطعام وهو مبلل .

وافق خوان :

- كان المطر ....

- تمطر ، تمطر - واصل الحداد - وليس عندك مطبخ لتجففه ؟ خذ بالك ، عليك أن تعرف أن الخس المبلول هو بالنسبة للأرانب كالسم

- السم ؟ - غمغم خوان مذعوراً .

- نعم ، سم، هو ذاك . يتخمر فى معدتها وتنتفخ حتى تموت . وها أنت الآن تعرف، إعتدل الحداد، وكان خوان ينظر له فى حيرة وقال فى النهاية :

- هل يمكن علاجه ؟

- علاج علاج - قال الحداد - طبعاً يمكن علاجه ، لكنه ليس سهلاً، والأسهل منه أن يموت .

قاطعه خوان :

- أنا لا أريد أن يموت الأرنب يابونى .

- ومن يريد الموت يابنى ؟ إنها أمور مكتوبة - عقب بونى .

- مكتوبة ؟ من يكتبها يابونى ؟ سأل الطفل بشغف .

نفد صبر الحداد :

- ياله من سؤال ! - قال بجفاء .

كان أدولفو ينظر من قريب لدرجة أنه يمكن أن يشم الأرنب . وبعد هنيهة وهو جالس القرفصاء رفع نظرته الزرقاء ، الشاحبة والتى تكاد تكون شفافة .

- إنه يشعر بالنعاس .

- نعم - قال الحداد - كثير من النعاس والأمر الشىء أنه لن

يصحو .

طأ طأ سريعاً وربت على عضد خوان وقال له :

- إنظر يابنى ، أول شىء تفعله لهذا الحيوان هو أن تضعه فى سرير جاف .

إتعشت جبهة خوان :

- سرير جاف ؟ - قال مستقصياً .

- أى كومة صغيرة من القش .

- يغالبه النعاس - قال أدولفو - يغالبه النعاس

- إغلق فمك ! - قال الحداد مقاطعاً - وبعد ذلك لاتعطه أى طعام طوال النهار وحتى الغد ، فأذا مارأيته قد إسترد بعض قوته تعطه الطعام ... وربما آتى أنا . وإذا ما إسترد بعض قوته فأبلغنى بذلك إما عن طريق بورى أو أن تأتى بنفسك . وعندما أخذ بونى يسير فى الطريق المرصوف أخذ خوان الأرنب بعناية وأراحة على جنبه وفتح باب الحديقة. قال لأدولفو وهما يسيران فى الشمس المسية بنباتات الخريف :

- سوف يكون الأرنب فى صحة جيدة . قال ذلك بوبى

نطر إليه أدولفو :

- وسيطير ؟ - قال

- لا - واصل خوان - الأرانب لاتطير .

بعد ذلك وضع القش فى الدرج ثم وضع الأرنب فوق القش ، لكن لويس كان يرى مايفعل ، وعندما أغلق خوان باب الدرج قال

- إن هذا الأرنب يموت .

- لا - إحتج خوان - قال بونى إنه سوف يشفى

- هذا لاتحكه لى - قال لويس

فى هذه اللحظة أخذت تنتاب الأرنب إنتفاضات غريبة :

- أنظر ، إنه يجرى ! - صاح أدولفو .

- إنه أفضل حالاً - قال خوان - لم يكن يتحرك قبل ذلك .

- إنه فى النزع الآخير - قال لويس - وفوق هذا يضايقنى كثيراً رؤية الحيوانات وهى تعانى . سوف أقتله .

فتح الباب ، فتعلق خوان برقبته وصاح :

- لا . لا . لا ..!

- إذهبوا من هنا بهذا الأرنب

- إنه يحتضر - قال لويس - الحيوان وحده يعانى

- إقتلوه - قالتها الأم بصوت رحيم .

أمسكه لويس من رجليه الخلفيتين ورأسه إلى أسفل .

- لا ، قالها خوان ولكن بصوت واهن - يقول بونى إنه سيشفى .

- نعم ، إقتله - قال أدولفو بعنف سابق لأوانه يبدو فى عينيه الزرقاوين ولويس ، بدون مزيد من التردد ، ضربه ثلاثة مرات "بسيق" يده خلف أذنيه . إتعش الأرنب إتعاشة خفيفة وأخيراً لوى رقبته نحو جسده . ثم ألقى به فوق الحشائش :

- خلاص .. قالها وهو يفرك يديه كأنه ينظفهما .

إقترب خوان وأدولفو من الحيوان :

- يريد النوم - قال أدولفو .

- نعم ... إنه ميت ، قال خوان وهو ينحنى ويداعبه بلطف .

كانت عيناه مبللتان وإستمر فى المسح على جسده حتى صاحت فيه والدته :

- خذوه بعيداً ، بحيث لاتشم رائحته ! إدفنوه !

نهض خوان فجأة :

- هاهو ذلك ياأدولفو - قال - هيا لندفنه

هبت عليه فجأة سعادة قوية .

- نعم - قال أدولفو .

- ذلك - أصر خوان - هيا لنقوم بعملية الدفن

دخل الكهف وخرج وهو يحمل الفأس على كفته ، وبعد ذلك أعطى لأدلفو قطعة من ورق الكرتون وقال له :

- على هذه الورقة يضع الناس النقود . أتعرف ؟

- النقود ، هو ذاك - قال أدولفو بفرحة .

وأمسك خوان الأرنب من رجليه الخلفيتين وأخذ يسير فى الممشى المُسيَّج بنباتات الخريف ، يحمل الحيوان فى يد والفأس على كتفه وهو يترنم بأغنية غير مفهومة . وسار خلفه أدولفو بمسافة قصيرة وهو يحمل قطعة الكرتون كما لو كان يحمل صينية ، وصاح فجأة .

- إنه يتبول ، إن الأرنب يتبول .

توقف خوان ورفع الأرنب إلى أعلى ورأى السائل الذى أخذ يسيل على جلده الأبيض ويسقط على بلاط الممشى . نظر من جديد وهو غير مصدق ، وهنا صاح وهو يدير رأسه نحو المنزل :

- يابابا ، ياماما ، يابورى ، يالويس ، إن الأرنب تبول وهو ميت !

لكن لم يجبه أحد .

CARMEN LAFORET

كارمن لافوريت

ولدت فى برشلونة (سبتمبر ١٩٢١) - ربة بيت حازت شهرة كبيرة بروايتها NADA "لاشىء "والتى حصلت بها على جائزة "نادال" عام ١٩٤٤ . ومن بين أعمالها القصصية الأخرى مجموعتها "جزيرة الشياطين" ومجموعتها "النداء" .

حصلت على عدة جوائز منها الجائزة الوطنية فى الآداب - سربانتس عام ١٩٥٦ .

ونشرت لها العديد من القصص القصيرة فى المجلات الأسبوعية والشهرية كما طبعت بعض مجموعاتها ولكن على نطاق ضيق .

العــودة *

كانت فكرة سيئة . فكر خوليان بينما أخذ يضرب بجبهته فى الزجاج ويشعر أن برودته الطرية تصل حتى إلى عظامه المتناسقة والمرسومة بدقة تحت جلده الشفاف . كانت فكرة سيئة تلك المتمثلة فى إساله إلى البيت ليلة عيد الميلاد المجيد . وفوق كل هذا أنه أرسل به ليعيش فى البيت بصفة دائمة وقد شفي تماماً . كان خوليان رجلاً طويل القامة وُضِعَ فى معطف جيد أسود اللون . كان رجلاً أشقر ، عيناه وعظمتا صدغية بارزتان كأنها أمور تميز نحافته . إلا أن خوليان يتمتع الآن بمظهر جيد . وكثيراً ماتقوم زوجته برسم علامة الصليب بيديها كلما رأته مر وقت كان فيه خوليان عبارة عن حفنة عروق زرقاء وسيقان كأنها عصى طويلة ويدين كبيرتين كأنها أغصان . كان ذلك هو حاله منذ عامين عندما أدخلوه تلك الدار التى وإن بدا أنه غريب عليها إلا أنه لم يرغب فى الخروج منها .

- غير صبور على الأطلاق . أليس كذلك ؟ ... سرعان ماسيأتون للبحث عنك . وقطار الساعة الرابعة على وشك الوصول . بعد ذلك يمكن لحضراتكم تناول وجبة الخامسة والنصف ... وستكونان هذه الليلة فى المنزل للإحتفال بعيد الميلاد المجيد ، يطيب لى ياخوليان ألا تنسى أن

* المصدر : El cuento espanol de posguerra ibid.

تأخذ أسرتك إلى قداس الميلاد عند منتصف الليل . كنوع من التعبير عن الشكر ... آه لو لم تكن هذه الدار بعيدة .. كم أن الأمر سيكون طيباً أن يكونوا جميعاً هنا هذه الليلة ... فى أطفالكما رقة وعذوبة ياخوليان ..."واحد"منهم وخاصة الصغير يبدو وكأنه المسيح فى المهد أو أنه القديس خوانَيتو ، بخصلات شعره المجعدة وعينيه الزرقاوين . أعتقد أن سيكون خادماً كنسياً فوجهه يفصح عن إنسان ذكى .

كان خوليان ينصت إلى دردشة الراهبة وهو مشدود إليها بشدة . كان خوليان يحب كثيراً هذه الراهبة ماريا دى أسونثيون ، كانت إمرأة بدينة وقصيرة ، وجهها مشرق ، ممتلئة الخدين كأنهما تفاحتان . لم يشعر بها وهى قادمة فقد كان غارقاً فى أفكاره ، وقد إستعد للرحيل جالساً فى صحالة الزيارات الضخمة الباردة ... لم يشعر بها وهى قادمة ، ويعلم الله وده كيف يمشين هؤلاء السيدات ، بأحجامهن وملابسهن ، برشاقة ودونما ضجيج كأنهن مراكب شراعية . عندما رآها شعر بالسعادة . وهو آخر إحساس بالسعادة يمكن أن يواتيه فى هذه المرحلة من حياته . إمتلأت عيناه بالدموع ، وهذا هو حاله دوما إذ لديه ميل للعاطفية ، لكن هذا الميل تحول خلال هذه المرحلة من العمر إلى مايشبه المرض .

- لكن يا أخت ماريا دى لا أسونثيون ... أريد أن أستمع إلى قداس منتصف الليل هنا مع حضراتكن . أعتقد أن بأمكانى البقاء هنا حتى صباح غد ... ويكفى أن أكون مع أسرتى يوم عيد الميلاد المجيد

... كما أنكم أسرتى بشكل آخر . أنا ... أنا رجل شكور .

- لكن يابنى ! ... هيا ... هيا لاتقل أشياء غير منطقية . فزوجتك قادمة لتأخذك معها الآن ، وعندما تكون بين أهلك مرة أخرى وتنخرط فى العمل ستنسى كل هذا وسيبدو لك كأنه حلم ...

ذهبت الأخت ماريا دى لا أسونثيون وبقى خوليان وحده من جديد يعيش هذه اللحظة المرة التى تمر به ، ذلك أنه يؤلمه أن يترك مستشفى المجانين . هذا المكان الذى يعتبر رمز الموت وفقدان الأمل بدا لخوليان ملاذاً طيباً ونجده حسنة ... وربما كانت الدار دار سعادة خاصة فى الشهور الآخيرة عندما شعر كل من حوله بشفائه . ويمكن القول أنه شفى لدرجة أنهم تركوه يتولى القيادة ! لم يكن ذلك دعابة إذ أنه أخذ كلا من الأخت الرئيسة والأخت مريم دى لا أسونثيون إلى المدينة لشراء بعض الحاجيات . كان خوليان يدرك جيداً أنهما بحاجة إلي جرأة كبيرة حتى يتركا نفسيهما - واثقتين - فى يد مجنون ... أو مجنون سابق ثائر . لكنه لم يكن ليخذلهما، إذ قاد السيارة بحكمة بيديه الخبيرتين ، حتى أنهما لم يشعرا بأية مطبات فى الطريق . وعندما عادتا هنأتاه بينما شعر هو ببعض الأحمرار فى الوجه كدليل فخر على مافعل .

- خوليان ...

أمامه الآن الأخت روسا صاحبة العينين المستديرتين والفم المستدير

أيضاً . لم يكن يحب الأخت روسا كثيراً ، ويمكن القول أنه لم يحبها على الاطلاق، فدائماً ماكانت طلعتها تذكره دوماً بشيء غير سعيد فى حياته . لم يكن يدرى ماهو . وقد حكين له أنه فى الأيام الأولى لتواجده هناك حاول الأعتداء عليها أكثر من مرة . وبدا دوماً على الأخت روسا خوفها من خوليان . أما الآن ، وعندما رآها فجأة ، فقد أدرك وجه الشبه الذى يجمعها بأخرى . إذ كانت تشبه زوجته المسكينة إيرمينيا التى كان يحبها كثيراً . إلا أنه مع ذلك ، أو ربما بسبب ذلك لم تنزل لخوليان من حلق أبداً .

- خوليان ، لك مكاملة تليفونية ، أرجو التفضل بالذهاب إلى جهاز التليفون ، فقد طلبت الأم الرئيسة أن ترد بنفسك على المكالمة .

كانت "الأم" هى الأم الرئيسة بذاتها . فكلهن ينادينها هكذا . إنه لشرف أن يذهب خوليان للرد على المكالمة .

كانت المكالمة من طرف زوجته إيرمينيا ، كان صوتها يأتى مرتشعاً من الطرف الآخر للخط بأن طلبت منه أن يقوم هو بالسفر إليها بالقطار إذا لم يكن هناك مانع .

الأمر أن أمك مريضة بعض الشيء ... لا ، لا شيء يستحق ، الأمر أن بها آلام الكبد المعهودة ... ولم أجرؤ أن أتركها وحدها مع الأطفال . ولم أتمكن من الأتصال بك تليفونياً قبل ذلك لهذا الـ[illegible]ـبب ...

حتى لا أتركها تتألم وحدها ... لم يفكر خوليان فى أسرته أكثر من هذا، رغم أن سماعة التليفون فى يده . فكر فقط أن الفرصة مواتية لديه ليبقى هنا تلك الليلة ، وأن يسهم فى إضاءة الأنوار الخاصة بالمشهد المجسم لميلاد المسيح ، وأن يتناول العشاء اللذيذ فى ليلة عيد الميلاد المجيد ، وأن يكون أحد أفراد الكورس فى غناء أناشيد الميلاد. كان ذلك يعنى الكثير بالنسبة لخوليان .

- ربما لن آتى إلى المنزل إلا غداً .. لاتنزعجى . لا ، ليس الأمر لشىء ماحدث، فالأمر هو أنه عندما لم تأت أنت فأنه يطيب لى أن أساعد الأمهات هنا فى شىء ، فلديهن مشاغل كثيرة فى هذه الأعياد ... نعم ، سوف أكون فى المنزل ساعة الغداء ... نعم سوف أكون ... نعم سوف أكون فى المنزل يوم عيد الميلاد المجيد .

كانت الأخت روسا بجانبه تتأمله بعينيها المستديرتين وفمها المستدير . كان هذا هو الشىء الوحيد الذى لايروقه ، والذى يسعد بأنه سيتركه نهائياً ... نزل خوان ببصره إلى أسفل وطلب بتواضع حجم الحديث مع "الأم" فهى التى كان عليه أن يطلب منها هذا الطلب الخاص.

فى اليوم التالى كان القطار يقترب بخوليان من المدينة فى جو رمادى ملىء بالمياه والجليد مثلما هو الحال أيام أعياد الميلاد . كان يجلس فى إحدى عربات الدرجة الثالثة محشوراً بين الديوك الرومى والدجاج وأصحاب تلك الطيور الذين بدا أن وجوههم تفيض بالبشر.

والثروة الوحيدة التى كانت لدى خوليان هذا الصباح هى شنطته التعسة ومعطفه الجيد المصبوغ باللون الأسود، والذى أمده بالدفء . وكلما إقترب القطار من المدينة كانت رائحتها تقترب من أنفه ، ويصدم عينه تعاسة الأحياء الصناعية الضخمة ومنازل العمال . أخذ خوليان يشعر بتأنيب الضمير لاستمتاعه كثيراً بالليلة السابقة ، وتناوله كثيراً من الطعام ، وأنواع الحلوى المختلفة ، وأنه غنى يمتلك النغمة الشجية التى كثيراً ماكانت مثار عزاء فى كثير من ساعات الضجر والحزن التى كان يعيشها زملاؤه فى الخندق أثناء فترة الحرب الأهلية .

لم يكن لخوليان الحق فى ليلة عيد ميلاد هانئة ودافئة ، ذلك أنه طوال سنوات عدة إفتقد هذا العيد أى معزى له فى منزله . فالمسكينة إيرمينيا كانت ستشترى بعض الحلوى غير محددة المذاق والمصنوعة من عجينة البطاطس المضاف إلهيا الألوان الصناعية . أما الأطفال فقد كانوا سيمضون نصف ساعة يحاولون مضغها بلهفة بعد تناول الطعام الذى إعتادوا أن يتناولوه كل يوم . وأبسط الأمور فهذا هو ماكان عليه الحال فى آخر مرة كان فيها هناك . ذلك أنه قد مضت عليه شهور طويلة بدون عمل . كان زمن قلة وقود البنزين كانت مهته مهنة جيدة ، لكن ساءت الأمور فى تلك السنة . أخذت إيرمينيا تعمل فى مسح السلالم . تقوم بسمح الكثير من السلالم كل يوم لدرجة أن المسكينة لم تكن تجيد إلا الحديث - لدرجة الهوس - عن مسح السلالم، وعن الطعام الذى لاتجده .

كانت حاملاً لمرة أخرى فى تلك الفترة . كانت شهيتها للطعام قوية . هى إمرأة نحيفة ، طويلة القوام ، شقراء اللون مثل خوليان . طيبة الطبع تضع نظارة سميكة على عينهيا رغم شبابها ... لم يكن خوليان يستطيع تناول طعامه عندما يراها وهى تلتهم شورية السوائل والبطاطا . الشوربة والبطاطا ، كانت هى الطعام اليومى فى الصباح والمساء فى منزل خوليان خلال شهور ذلك الشتاء . أما الأفطار فإذا بقى شىء فهو للأطفال . كانت إيرمينيا تنظربنهم الى اللبن الذى يتناوله الأطفال ساخناً قبل ذهابهم إلى المدرسة ... أما خوليان الذى كان أكولا ، حسب رواية أهله، فقد أحجم عن الطعام تماماً ... وكان ذلك أسوأ بكثير على الجميع فقد أخذت رأسه تدور وأصبح عدوانياً . وذات يوم وبعد أيام ظل فيها على قناعه بأن منزله أصبح جراجاً للسيارات وأن الصناديق المحشورة فى المنزل ماهى إلا سيارات فخمة - كان على وشك أن يقتل إيرمينبا وأمها، بعدها أخرجوه من المنزل بقميص مستشفى المجانين و ... حدث له كل هذا منذ فترة ... فترة قصيرة نسبياً . وهو الآن يعود وقد شفى ، وتم شفاؤه من عدة أشهر . لكن الراهبات قد أخذتهن الشفقة به وسمحن له أن يبقى المزيد من الوقت ... حتى عيد الميلاد المجيد . وفجأة أدرك أنه كان جباناً عندما حاول ذلك . الطريق إلى منزله كان مزداناً بواجهات المحلات ومليئاً بالكثير من محلات الحلوى .

توقف أمام أحد المحلات ليشترى تورتة . كان معه بعض النقود

التى إدّخرها لهذا الأمر . يكاد ينفر من الحلويات من كثرة ماتناوله فى تلك الايام ، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لأسرته .

صعد سلم المنزل وهو يبذل جهداً يحمل شنطته بيد والحلويات باليد الأخرى . كان المبنى مرتفعاً ، والآن واتته رغبة مفاجئة فى الوصول إلى المنزل ، فى أن يعانق والدته ، تلك العجوز المبتسمة دوماً ، التى دائماً ماتخفى آلامها طالما إستطاعت ذلك .

كانت هناك أربعة أبواب متهالكة مدهونة باللون الأخضر منذ زمن طويل . أحد هذه الأبواب هو باب منزله . طرق الباب.

رأى نفسه محاطاً بصبحات الأطفال ، وبين ذراعى إيرمنيا النحيفتين . ومحاطاً أيضاً ببخار دافىء قادم من المطبخ ينبىء عن طعام جيد .

- يابابا إننا نطهى ديكا روميا . !

كان هذا أول شىء يقولونه له . نظر إلى زوجته وإلى أمه التى ظهرت عليها علامات الشيخوخة المتقدمة وكانت شاحبة اللون بسبب الآلام الأخيرة التى إعترتها ، لكنه متشحة بكوفية جديدة من الصوف . أما في حجرة الطعام الصغيرة فكانت هناك سلة مليئة بالحلويات المختلفة.

- ماذا ... هل كسبتم اليانصيب ؟!

- لا ياخوليان ... عندما ذهبت أنت ، أتت بعض السيدات ... من الجمعيات الخيرية ، كما تعرف أنت ... لقد أحاطونا بالرعاية ، إذ هيأوا لى فرصة العمل وسوف يبحثون لك عن عمل جراج ...

- فى جراج ... ؟ هذا طبيعى ، إذ كان من الصعب أن يعمل مجنون سابق فى وظيفة سائق . ربما عملا ميكانيكياً . عاد خوليان ينظر إلى أمه ووجدها دامعة العينين لكنها مبتسمة ، مبتسمة كعادتها دوماً.

وفجأة سقطت على كاهله المسئوليات والأكدار . لقد جاء من أجل كل هذه الأسرة التى إجتمعت حوله ، جاء خوليان لينقذها من مخالب الجمعيات الخيرية . جاء ليجعلها تشعر بالجوع مرة أخرى بكل تأكيد. جاء لـ ....

- لكن ألا يسعدك هذا ياخوليان ؟ ... لقد إجتمع شملنا مرة أخرى . إجتمع شملنا فى عيد الميلاد المجيد .. وأى عيد هو ! أنظر !

- مرة أخرى أشاروا بأيدهم إلى سلة الهدايا وإلى وجوه الأطفال المتحمسة والفرحة . إليه هو . إلى ذلك الرجل النحيف بمعطفه الأسود وعينيه البارزتين ، الذى كان شديد الحزن . كان حالة مثلما كان فى يوم عيد الميلاد المجيد ذلك عندما خرج مرة أخرى من مرحلة الطفولة ليعود من جديد لرؤية الحياة بكل قسوتها الى تستكن تحت تلك الهدايا .

MEDAROO FRAILE

ميداردو فرايلى

ولد فى مدريد عام ١٩٢٥. عمل أستاذاً بكلية الفلسفة والأداب جامعة مدريد . له بعض الأعمال المسرحية الهامة فقد كان أحد مؤسسى الفرقة المسرحية المسماه "الفن الجديد" عام ١٩٤٦ . ومن بين المسرحيات التى قدمها : الأخ . كما قال بأخراج بعض المسرحيات وشغل منصب نائب مدير وناقد مسرحى فى مجلة Agora (١٩٥٧ - ١٩٦٤). ومن بين المجموعات القصصية التى نشرها : أقاصيص مع بعض الحب (١٩٥٤) تحت الضوء تتغير الأمور (١٩٥٩) أقاصيص حقيقية (١٩٦٤) وقد حصل بهذه المجموعة القصصية الأخيرة على "جائزة النقد" عام ١٩٦٥ .

يعمل منذ فترة أستاذاً ورئيساً لقسم الأدب الأسبانى بأحدى جامعات جلاسجو .

بنبـون الليمـون *

أقف بباب المنزل الذى تعيش فيه السيدة/ كوبوس ، وهى زوجة السيد / راميرو كوبوس العقيد الإدارى بالقوات الجوية . إنه بطل لولا هذه اللفظة : إدارى . تدق الساعة الثانية ظهراً والشمس تضرب بعنف. يتجه الناس - قلة هم الذين يسيرون فى الشارع فى هذه الساعة - مسرعين إلى منازلهم . إنى متعب . تأخرت فى بعض الأحيان حتى الساعة الثالثة لكن لم أشعر أبداً بهذا الألم العضلى فى خصرى ، وثقل سيقانى وخاصة قدماى وعدم الرغبة - نعم عدم الرغبة أيضاً - التى أعيشها هذه اللحظة . إنه يوم حار يكتم الأنفاس : فاليوم كئيب وساخن. أنظر الى حقيبتى - أطلق عليها هذا الأسم رغم أنها ليست كبيرة بل صغيرة - التى أحملها معى دوماً . الحقيبة ثقيلة أيضاً، وساخنة، ومصابة بقمة الضجر لدرجة أنها على وشك التمزق كأن بها مواداً متفجرة . لا . أو ربما نعم . لست أدرى . تحمل حياتى فى داخلها وهى حياة غيره متفجرة لكنها قاتلة أعمال التطريز والأبرة، ومفارش للموائد وزراير ، وشرائط من قماش ، ومناديل .. إنها فقاقيع . هذا هو ما أبيعه : مجرد فقاقيع . وأغلب الظن أننى لن أبيع غير هذا فى حياتى كلها .

---

* المصدر : Siete narradores de hoy.

البيع والشراء صعب مع السيد / كوبوس . فبعد ساعة من الحوار- حوار لطيف ومرهق - لا تستطيع إتخاذ قرار لإنفاق شلنين. معها يضيع الوقت . تجعل عقلى ولسان يقطران شهداً فهى تفعمنى بجمل حلوة لاتهضمها معدتى وربما طبيعتى .

نعم . تعبنا أنا والشنطة . ضربتنى الشنطة المسكينة فى ساقى ، ودون أن أشعر أخذنا طريقنا إلى المنزل .

الصباح ؟ أكان طيباً أم سيئاً ؟ لست أدرى . عموماً هذا لايهم كثيراً : ومايبدو أنه أهم هو أنه إنتهى ، لم يكن هذا يومى ولم يحدث أن كانه . عندما خرجت من المنزل كنت أعلم أننى أقترضت ذلك اليوم ، إذ كان للسيد العظيم ، ألا وهو العمل الذى يملك جانباً من كل إنسان . حسن . والدردشة - رغم أنها تكون مع النفس - كانت فى صالحى دوماً. الأمر الآن هو أن معى فى جيبى - هل أعد - سبعون .. إثنان وثمانون بيزتة . ليست كلها ملكاً لى فمن هذا المبلغ يجب أن أستقطع مستحقات الرئيس . الخصم ليس أمر سيئاً . العملية الحسابية الوحيدة التى أجيدها هى الخصم، فالرياضة بالنسبة لى هى إستخراج نسبة مئوية معينة وهذا أمر هين . كانت الرياضة - منذ عدد من السنوات؟ - الشغل الشاغل لوالدى الذى كان يردد على دائماً " تعلم الحساب والهندسة والمحاسبة" . والدى المسكين ، بذلك الشارب وتلك اليدين البارزتى العظام الكبيرة ، وبهذا الصوت الخشن بعض الشىء . ياللوجه الذى

يصلح للأرقام الحسابية لست أدرى . هل أسير فى هذا الشارع . فعلى الناصية تعيش أسرة مورا . لا . سأعود اليوم من هذه النقطة ، وسوف أسير فيه يوماً آخر لأعرف ما الذى سيحدث .

لو قالوا لى إننى سوف أظل طوال حياتى أطرق الأبواب وأصعد السلالم وأتحدث بلطف وأرتبط بمواعيد وبالحقيبة النسوية والكفاءة التجارية ، لما صدقت ذلك أبداً . لا . بالطبع لا . كنت فى صغرى أبحث عن أعشاش العصافير، وأضع شدات واقية على ركبتى . وأدخن سجائر من التبغ الأسود خلسة . أما الآن فلا أدخن . وأستخدم بندقية قتل الكلاب، ذلك أن يداى طويلتان مثل رعاة البقر فى الغرب الأمريكى. أنا. ها أنذا . أنا ذلك الأنسان المثقل الذى يعود إلى منزله وقد قوست الحقيبة ظهره وأخذته من يده كالكلب لكنها تسير اليوم مكدودة .

أعتقد أن حرارتى مرتفعة بعض الشىء ، فحلقى جاف . ربما كان السبب هو الدردشة مع السيدة "كوبوس" أو هى حرارة الشمس، فبعد الحلوى والعسل يجب شرب الماء .

– إسمعى ياجدتى ! أعطنى من فضلك ثلاث حبات من البنبون .

لن ينتهوا أبداً من إصلاح هذا الشارع ...

أظن أننى لم أشتر "كرملة" منذ وقت طويل . إنها غالية الثمن . ثلاثة بقرش ونصف كفى هذا . فالأولاد الآن عندهم نقود . وربما لايأكل

"الكرملة" هؤلاء الصغار الذريون كحبات الرمل نعم . ومايجب أن يكون - ولو بشكل نسبى - هو أن ينفق الصبى - أى صبى - نقوداً أكثر من الرجل . فأى طفل فى حوزته ريالان فى ثلاثة يشترى ثلاث حبات من "الكرملة" بينما الرجل لايكاد يجتمع فى حوزته ريالان بالإضافة إلى ريالين ثم ريالين ثم إثنين ... حتى أربعون ريالاً . هناك رجال يحصلون على ريالين أربعين مرة كل يوم . أى عشرين بيزتة بالأضافة إلى المرأة والأولاد وهو مبلغ لامناص من الحصول عليه إذا ماكان لدى المرء الزوجة والفقر . لايمكن أن اشكو ، إنها الحقيقة .

نعم ، لابد أنها الحمى . أشعر بحرارة شديدة ، وحتى يزيد الطعن بلة هو أن أسقط مريضاً يلازم كلانا الفراش . لابد أننى أصبت بنزلة برد ولذلك سوف أتناول كوباً من اللبن وكأساً من الكونياك . كأساً جيداً ، لكن من الأفضل ألا أقول شيئاً لبيلى فيما يحدث هو أننى مرهق .

تعترينى السعادة لأننى إشتريت بضع حبات من "الكرملة" والبعض منا يفتقد هذا النوع من المشتريات مدى الحياة ، كأن شراء الكرملة قاصر على الأطفال فقط، ولا نرى أبداً بشغف وحب اللون الأخضر أو اللون الوردى أو الأصفر أو الأحمر للكرملة . هذه الحلوى عند الأطفال هى بمثابة غواية شيطانهم الصغير مثل ذلك مثل امرأة الغير الشابة والجميلة عند الرجال . والجدة التى تبيع "الكرملة" نظيفة المظهر وشعرها مصفف تصفيفاً جيداً وتلبس فى ذراعها الأيمن نصف كم أبيض مثل باعة

منتجات الألبان . أو مثل بائعة الفطائر . لكن من الواضح أن نصف الكم هذا لاينفعها فى شىء ، ستكون قد فهمت أننى إشتريت "الكرملة" لأولادى . لكن لا . ليس عندى أولاد ياسيدتى .

إن الكرملة لى أنا ، قلت لها : " أعطنى ثلاث حبات من "الكرملة" يا جدتى" .. وأتحفتنى بواحدة بطعم البرقوق كأن الأمر سحب على جائزة، وأخرى بطعم الفراولة ، وثالثة بطعم الليمون . كل واحدة مرسوم على غلافها شكل الفاكهة التى تحمل طعمها بنضارتها ونضجها ورائحتها . هذه هذه "الكرملة" الحقيقية : تلك التى تجعل شدق الفم ينتفخ وتصارع الأسنان وتملأ الفم بالعصارة ، وليست الأخرى الناعمة التى لاتحدث صوتاً عن المضغ وتدخل بين الضروس مثل الموسيقى البطيئة ، صديقة التسوس، مثلها مثل كابوس تم تحلية طعمه . هذه الحبة بطعم الفراولة جيدة، وهى أرخص من البيرة . وهاهو كوب البيرة الذى أعتدت تناوله فى بار "فلوريدا" معرض للخطر الشديد ، إذ سوف أتحول إلى عالم الكرملة السابق . بها سكر : بها كربوهيدرات وهى مادة هامة على مايبدو فقد قرأت ذلك فى Reader's Digest . أما كوب البيرة اليومى فهو فى حاجة إلى ميزانية ، وتضيع البيزتات بسهولة دون أن يدرك المرء .

- فى رعاية الله ، ويوماً طيباً !

لا أعرف من ؟ ليست بيلى أيضاً . لقد سألت ذلك ذات مرة فقالت

لى إنها لاتعرفه . إنه رجل يخلط بينى وبين آخر لكننا نتبادل التحية . حسن ، ليس سيئاً أن يعرف المرء أناساً آخرين ، وسوف يكف ذات يوم عن تحيتى وهذا عندما يكون قد وجد الآخر ، ذلك الذى يعتقد أنه يحييه ، هذا الذى يعرفه حقاً . وربما كان رجلاً طيباً يلقى بالتحية على أهل الحى، ولم لا ؟ إنها وسيلة للذهاب إلى ماهو أعمق .

- أهلاً ياخوليا !

نعم هذه . أعرف من هذه ، إنها بوابة المبنى الذى أعيش فيه ، دائماً مسرعة ، تصعد السلالم وتفتح لى بابا المصعد ، وهذه عادتها دوماً. ورغم أن المبنى متواضع إلا أن به مصعداً وكذلك توصيلات الغاز فى كل شقة . ومن الواضح أن المصعد بطىء ، فقد تم تكوينه ببعض الألواح ويحدث ضجيجاً . ولو أن أزرة الأدوار فيه أحمر . وسرعان مايكتشف المرء أن المصعد ربما راقت له خدمة أناس آخرين وأن هذا المبنى لايعجبه . ففى داخله يشم المرء رائحة المقليات ، وأعلى سطحه بقايا السمك وقد علتها الأتربة ، كما تعلقت به بقايا متعفنة قشر البطاطس. ياله من مصعد مسكين الذى يعلو ويهبط فى المنور بدون أن يحمل أثاثاً مخملياً أو كنبة .

لنرى إذا ماكانت بيلارين أحسن حالاً تلازمها أعراض مرضية منذ زمن : آلام فى الخصر أى المبيضين . كما أن الحلق يؤلمها بعض الشىء . حقاً ،عندما نظرت إليها نظرة فاحصة هذا الصباح بدت وكأن هناك بقعة

بيضاء على الجانب الأيسر . إنها لوحة . من المؤكد أنها نهضت لتنظف البيت من الأتربة وأحياناً ما أظن أن ماتقوم به من أعمال النظافة ليس إلا نوعاً من الهوس . وأغلب الأيام عند عودتى تجعلنى أسير فوق بعض أوراق الصحف حتى لاتتسخ الأرضية . حاولت فى البداية إقناعها بأن ردهة المنزل ليست شيئاً مقدساً أو مرآة أو طبقاً، بل إنه طريق، مثل أى ممشى فى أى منزل يوطأ بالأقدام حتى ينتقل المرء من حجرة إلى آخرى . كان ذلك فى البداية ، منذ سنوات طويلة .

آه ! لقد نسيت أن أطلب المصعد. حسن ، نعم،حسن هاهى تنظر إلى من خلال الفتحة الصغيرة،البومة التى تقطن فى المواجهة . أمر مثير للفضول هذا الذى يتعلق بالتربية . فإنسان على خلق فى وسط ليس وسطه معرض للمتاعب، وهذا مايحدث لى . حتى يأتى يوم ويضيق ذرعاً بما حوله .

حسن ! لقد رأتنى جيداً ، هل أغلق بابى إذن؟ وإذا لم يكن كافياً أنتظر بعض الوقت . نهايته ، أسف . بعد إذنك ... ياللقرف !

- يابيلارين !

المسكينة وجهها ليس على مايرام .

- أتريدين ماءاً ؟ إنتظرى

أدخل المطبخ ، هناك أربعة أوانى غير مغسولة ، لابد أنها

متوعكة ، متوعكة جداً

- يابيلا ! يابيلوكا ! يابيلارين ! أنت لست على مايرام ، من الواضح أنك تريدين النوم . فلتنامى . نعم ، لاتشغلى بالك . نعم بامرأة، أدرك مايحدث ، قلت لك لاتقلقى . أعرف مكان كل شىء، وسوف أجدها. نعم أول شىء هو السمك وبعد ذلك اللحم ، وأيضاً السلطة نعم أعرف . الجو حار فى الخارج أتعرفين ذلك ؟ أنت هنا أفضل، فى الحجرة ، هكذا مع النافذة شبه مواربة يكون هناك بعض الهواء .

سيكون الوضع مثل المرة السابقة . إنها متهالكة جداً ...

السمك ! فلنأكل شيئاً . هاهو لايبدو أنه طازج وربما كان طعمه أو رائحته نفاذة ، ربما حمضية . لا أجد الخبز ، ماعلينا ، نعم ماعلينا لكن العثور على الخبز هو أمر ضرورى فإذا ما أدركت بيلى أننى آكل بدون خبز ستهب ناهضة من سريرها . سأتناول بعضاً منه فيما بعد فى حوالى السابعة .

والآن حان تناول اللحم والسلاطة . اللحم"ماسخ". يبدو كما لو كنت أمضغ قطعة مطاط ، إنه لحم خاوٍمن كل شىء أخذ يترك مابه من قيمة غذائية على ألواح المرمر فى الفترينات . إنه لحم ليس للأكل بل لندعه جانباً، لنواريه التراب، ومجرد مضغه يعنى نوعاً من العدوانية . لست أدرى لماذا، ولماذا أشعر بالدهشة لكن هكذا هو الأمر والسلاطة

لاتروقنى أيضاً . إنها غير مكتملة النضج نيئة وحزينة . أعتقد أن بين طبقاتها الكثير من مادة التلوين . ياللحزن ! تقفز دموعى من مآقبها، ومن الواضح أن الخضرة تؤذى عينى . هناك رمل على حافة الطبق ، لا أنه دخل من المنور عبر النافذة ، ماينقص هذه المائدة هو الخبز، لكن الأكثر من ذلك هو غيبة بيلى . يابيلى ، لماذا أنت مريضة ؟ بماذا تشعرين ؟ ما إسم مرضك ؟ وأين تشعرين بالألم ؟

بيلى مريضة . وعكة بسيطة . وتزول . لكن المرض يعلن عن نفسه وبيلى تطيع المرض وتلزم الفراش . تطيع الغموض ، كما لو كانت كلمة إمرأة تؤذى جسم الغموض . ربما أن بيلى لم تمرض ربما كانالأمر أننى تزوجتها وهى مريضة ؟

- لقد أحضرت لك يابيلارين حبات" كرملة" خذى : أما تريدين هذه بطعم البرقوق . حسن لقد تركت لى" حبة" بطعم الليمون ، سأرافقك هنا على السيرير الصغير فى صمت ، إنى متعب بعض الشىء .

السرير الصغير . أنام جيداً بعض الليالى عندما تكون متعبة . وعندما يكون المرء متزوجاً يكون من سعد طالعه أن ينام وحده على السرير الصغير . لم يرقنى الأمر فى البداية لكنه الآن صديق قديم ووفى وأجد نفسى أنام بحرية ، بحرية شديدة كبحار وحيد . أنى سعيد لوجود هذا السرير ، أما زوجتى فهى مبحرة فى سيرير الزوجية .

كم هو جيد ورق هذه "الكرملة" ، يثير البهجة ويطيب لى أن آراه وأود ألا أفسد ألوانه بيدى فعلى أحد جوانبه عند الحافة هناك شجرة ليمون فارعة مكتملة تمتد غصونها حتى وسط الورقة ، وتظهر ثمرة الليمون الصفراء بين الأوراق الخضراء وبينها زهرة بيضاً . الأصفر والأخضر . أخضر وأصفر وأبيض ... أما مذاق الكرملة فيذكرنى بشىء.

أعتقد أنه يعلنه لى ، كما لو كان هذا الطعم - منذ سنوات مضت - قد تذوقته فى يوم محدد وقابعاً هناك فى هذا الزمن ، فى هذا اليوم الذى كان فيه اللعاب ممتلئاً بطعم الليمون الحمضى ليضيىء اليوم ويكتشفه من جديد . فاللعاب يدخل الجسم وينساب فيه حمضياً دافئاً ويصل إلى نقطة فيها لوحة قديمة تائهة تضاء، يدخل إلى ركن كان ينتظر منذ سنوات عديدة هذا المطر اللزج ليتذكر . وتثير فقاعات الكرملة فقاعات مياه غازية ، وبوخزة حمضية فى الفك، بسبب صيحة المتعة تضيىء الشمس كل جوانبه . وتعود الأعصاب نللعمل ويقوم العقل بتأثيث مركز الذاكرة بالبيانات .

ذات صباح طويل فى تلك القرية والأطعمة تحرق الهواء الذى يحمل رائحة المطبوخات ويسخن الأرض والبلاط وحبات القمح فى الشقوق . صابون ، قداس ، لافتات ، عطر نسائى على الرصيف ، دخان رجال على النواصى ينفثون بخاراً من الحزن على الأطفال . بنطلون قصير مقلم

واسع جداً من الخلف ، وحذاء العيد يضغط على مؤخرة القدم مثل كلب صغير . يترك أثراً . وشعر مبلل يقطر ماء من خلال غطاء الرأس . إنها "لاورا" نعم أتذكر حكاية لاورا . لم أكن أريد ذلك وكنت حزيناً . كانت تقفل فتحات الضوء وتصلح هندامها فى الظلام فى حجرتها. كانت تقبلنى وتضغط على بين فخذيها حتى أفتح النافذة وأبدأ فى تسريح شعرى، ثم بعد ذلك كانت تصنع لى كعادتها كرة من المشمع على الموقد.

وذات يوم جاءت سيدة ، تقول أمى إنها إبنة أختها ، فقد كانت لأمى بنات الأخوة اللائى لم يكن بنات خئولتى ، وهن هؤلاء التى تطلق عليهن هذا اللقب فى الحمامات العامة أو أثناء إحدى الرحلات . " لا لم يكن الولد اليوم طيباً - كانت أمى تقول ذلك - لاتعطه شيئاً" . ورغم أن ذلك لم يكن حقيقة فقد كنت متأكداً أنى تصرفت جيداً . كنت طيباً لكننى كنت أفكر فى لاورا وتصعد فى حلقى غصة وتصعد حتى عينى وتنزل دمعنا محكوم عليه قديم ، لتبتل أهدابى أو تسقطان على الأرض كانت تبتسم إبنة خالتى ، تريد أن ترانى ، كنت أروق لها رغم أننى آتى ووجهى شاحب من الخوف كما إعتلته التجاعيد وإعتراه الحزن من الحجرة غير المفهومة لاورا. كان فمها جميلاً . وبعدما حدث ذلك ، كنت على إنفراد أقوم بتقليد فمها وحركتها أمام المرآة محاولاً إتقان هذه الطقطقة الجميلة باللسان مع سقف الفم ... فتحت حقيبة يدها وأعطتنى حبة كرملة. تلك الكرملة أحرقت فمى بعصارتها وملأت جسدى الصغير

بأحلام عظيمة. كنت آدم . هذا ماكانت تقوله لى أمى أحياناً كثيرة . لكنها لم تكن تشك أني فعلاً آدم الذى أذوب حبا فى لاورا ، وآدم شبه إلهى وعاشق لابنة أختها . وقذفت حقيبة يدها عندما فتحتها تنهيدة المطر ، هو نفسه الذى تركته فى إحدى يدى وهى اليد التى لم أغسلها عندما يحين وقت تناول الطعام . كم من الوقت إستمرت هذه الأمور؟ لم أعد أراها بعد ذلك أوربما رأيتها . ربما كانت "أماليتا" رغم أنها كانت كأخت لها .. أتذكر أماليتا جيداً إذ كنت أبلغ آنذاك الرابعة عشر أو الخامسة عشر من العمر .

عندما وقع ما أشرت اليه قبلاً كنت صغيراً ، أريد أن أقول موضوع الزيارة وحبة الكرملة . أتذكر فى تلك الآونة مباريات مصارعة الثيران ربما كانت فى ذلك اليوم مباراة مصارعة الثيران وهذا هو سبب الزيارة . كنا ذاهبين إلى منزل الجدة ونرى الناس المتجهين الى المباراة. وقبل المباراة بساعة كان الشارع تنبعث منه رائحة الدم والسيجار والعرق وروث الخيل . كان يطيب لى الذهاب إلى المشى المؤدى إلى الغناء حيث النساء يقمن بكى الملابس كما أن صوت أمى يكون أكثر بعداً عندما تنادينى . الم تكن أمى أكبر منى كثيراً ؟ كان يسمع صوت أبى وهو يصيح بعد ذلك واصفاً المصارع أرميتيتا كقاذف للسهام وهو يكاد يطير ملامساً ظهر الثور كايتانو ، أو واصفاً آخر بهلوانيات المصارع خوان بلمونث . وأخذ المساء يحل شيئاً فشيئاً وطارت آخر العصافير وبدأ يهل

أو ل الخفافيش ورويداً رويداً أخذت الأسلاك المددة لحمل الغسيل تبرد شيئاً فشيئاً ...

كرملة الليمون ! لقد ذابت بسرعة غير عادية لكن الغموض يستمر ولا أكاد أدرى لم أتت على الذاكرة الكثير من الذكريات . فى ذلك اليوم كنت قريباً من عالم أبتعدت عنه نهائياً . ألم أكن ذلك الطفل الذى يستعد فى تلك الأيام لكتابة "الفردوس المفقود" أو "الكوميديا الألهية"؟ لقد ضاع شيء ثمين فى تلك الآونة وحل محله أمر بسيط يواصل الطريق.

بالتأكيد هناك حبة الكرملة التى تذكرنا بليلة الزفاف والحبة التى تسير بذاكرتنا إلى ليالى أعياد الميلاد المقدسة حيث طرق الحظ الباب من خلال ورقة اليانصيب ، وحبة الكرملة التى تسهم أيضاً فى ميلاد ذلك الأسبوع الذى أصبحت فيه مديراً لشئون الأفراد .

آه لو تعرف بيلارين ما أفكر فيه ... لن أقول لها . فعندى إحساس أننى خدعتها بحبة الكرملة هذه . أنا لست على مايرام . أريد أن يداعب النعاس جفونى .

IGNACIO ALDECOA

إيجناثيو الديسكوا

ولد فى مدينة بيتوريا (يوليو ١٩٢٥) توفى فى مدريد عام ١٩٦٩. درس فى كلية الآداب والفلسفة بجامعة سلامنكا وجامعة مدريد.. تنقل بين العديد من الأقاليم الأسبانية وعاش فترات ليست بالقصيرة فى عدد من الجزر الأسبانية .

من بين أعماله الروائية الشمس الكبرى (١٩٥٧) جزء من حكاية (١٩٦٧) وكثيرة هى مجموعاته القصصية "ماقبل الصمت (١٩٥٥) إنتظار الدرجة الثالثة (١٩٥٥) القلب وثمار أخرى مرة (١٩٥٨) حصان مصارعة الثيران (١٩٦١) عصافير وخيال المآتة (١٩٦٢) ... وقد صدرت له الأعمال الكاملة فى القصة القصيرة فى جزئين دار نشر Alianza editarial مدريد عام ١٩٧٣ - وأعيد طبع هذه الأعمال ثمانى مرات حتى الآن . حصل على عدد من الجوائز المحلية الهامة .

ترجمت أعماله لعدة لغات .

السوداع *

كان المشهد سينمائياً من خلال زجاج باب الديوان ونافذة المشى، فضاء تجول فيه العين ، أما سرعة القطار فكانت تحدث أثر العمق، هناك اللون الأصفر للأراضى المزروعة قمحاً، واللون الرمادى، واللون الأكسيدى الأحمر للحقول التى تحددها الخضرة النضرة للكروم ، والتى تتتابع بشكل رتيب مثل إيقاع سير القطار .

كان الوقت أحد أيام الصيف بعد الظهيرة ، لايكاد الركاب يتبادلون فيه الحديث اللهم إلا نتفامن جمل . تضرب الشمس فى نافذة الديوان بينما قد أسدلت الستارة البلاستيك . إيقاع سير القطار يقوم بتجزئة الزمن وجمعه . كأنه ساعة وترنيمة ، يتأمل الركاب بعضهم بعضاً دون فضول ، والملل المرهق للرحلة جعلهم يغفلون عن علاقتهم الطارئة . تصرفاتهم شبه أسرية لكن كان فيهم البعد والتحفظ .

عندما أخذت تقل سرعة القطار نهضت الفتاة الجالسة بجوار النافذة وفى إتجاه السير ، وأخذت تصلح وضع القبعة وتضبط حزامها بحركة سريعة من يديها وهى تتمايل ، بعد ذلك أصلحت بيدها شعرها الهائج كأنها قد إستيقظت من نوحها .

---

* المصدر : - الأعمال الكاملة .

- أى محطة هذه ياعمتى - سألت .

أجابها واحد من الرجال الثلاثة الذين هم فى الديوان قبل أن يكون لدى المرأة الجالسة أمامها" للرد عليها .

- هل هناك كانتين ؟

- لا يا آنسة . فى المحطة القادمة .

صدرت من الفتاة تنهيدة يمكن أن تكون تعبيراً عن الضيق أو مجرد دعابة ذلك أنها سرعان ما إبتسمت للرجل الذى رد عليها . أما السيدة الكبيرة فلم ترض عن الأبتسامة بأن وضعت يدها اليمنى على صدرها المحمر القانى وتكورت "لببة" تحت ذقنها وضمت شفتيها وقطبت جبينها ذا الحواجب الكثيفة والطويلة .

- هل أنت ياسيدتى عطشانة ؟ هل تريدين جرعة من النبيذ؟ - سأل الرجل .

- هذا سيزيد من ظمأك ولن يزيل عنك العطش - قالت السيدة الكبيرة .

- لاياسيدتى ! فأن تناول النبيذ بأعتدال لهو أمر مفيد .

أنزل الرجل قربة النبيذ من رف الشنط وقدمها للفتاة .

- خذى حذرك حتى لاتتسخ ملابسك - حذرت

أخذت السيدة الكبيرة تقلب فى محتوى شنطة يدها وأخرجت منديلاً كبيراً كأنه فوطة سفرة - ضعى هذا - قالتها آمرة إذ يمكن أن تقضى على فستانك .

تأمل الرجال الثلاثة الفتاة وهى تشرب النبيذ . يبتسم الثلاثة بطريقة فيها خليط من البلاهة والمكر . أكفهم كبيرة ، مثل أيدى الفلاحين، وغير مضمومة الأصابع، مرتاحة على الركبة . كان فضولهم مسرحياً كأنه سيحدث شىء طريف متوقع . لكن لم يحدث شيئاً فقد إرتشفت الفتاة نقطة نبيذ كانت قد سألت على ذقنها وأخذت إتجاهها نحو رقبتها إلى حدود الصيف التى تلمح على صدرها بواسطة شريط باهت يوضع فوق تدويرة الفستان على الصدر ومتناقضًا مع لون الجلد الذى غيرته الشمس .

كان الرجال يستعدون للشرب بوقار وإهتمام عندما أخذ يزداد عنف إيقاع السير وأخذت تمتد الترنيمات . أمسك صاحب القربة بها بعناية كأن فيها حياة حيوان ، وضغط عليها بخفة كأنه يداعبها .

- ها نحن توقفنا - قال

- كم من الوقت يتوقف القطار هنا ؟ - سألت السيدة الكبيرة.

- سيقومون بتفريغ البضائع ولايعرف بعد . عادة مايمتد وقت الوقوف لثلاثة دقائق .

- ياللجو الحار ! - قالت المرأة الكبيرة شاكية وأخذت تحرك الهواء بعدد من مجلة سينمائية .

ياله من جو حار ويالها من مقاعد ! من القطار إلى السرير مباشرة...

- قبل ذلك كان الأمر أسوأ - قالها الرجل الجالس بجوار الباب - كانت المقاعد قبل ذلك من الخشب ويسيح الدهان . قبل ذلك كان المرء يسافر أربع ساعات حتى يصل إلى العاصمة إذا لم يكن هناك تأخير . قبل ذلك لم يكن المرء ليجد مكاناً وكان عليه أن يقف فى الردهة مع السلال . وبفضل الله تغيرت الأحوال . أما فى الحرب ... أظن أن سيادتك قد شهدت هذا القطار أثناء الحرب ، ففى كل فرسخ توقف وكان على الجميع مغادرة القطار . فى الحرب ... توقف برهة . سمع صوت فرامل القطار كأن الأمر تصادما .

- ياللحر ! - قالتها السيدة الكبيرة .

- الآن يمكن الشرب - أكد صاحب قربة النبيذ .

- هات ياسيدى - قالها بلهجة رقيقة وراجية الرجل الذى كان يتحدث عن الحرب - لابد أن يزيح المرء تراب الطريق عن حلقه ، ألا تريدين ياسيدتى ؟ - قدم القربة للسيدة الكبيرة .

- كلا ، شكراً . لست معتادة على الشرب .

- على مثل ذلك سريعاً مايتعود المرء .

قطبت السيدة الكبيرة جبينها - مابين حواجبها وتوجهت إلى الفتاة الشابة تسر لها شيئاً . هذه الوشوشة الشعبية كان لها بعدها المتمثل فى نوع من الازدراء للرجال الجالسين فى الديوان، عندما يكون هناك نوع جانبى من العلاقة الخاصة . تبادل الرجال القربة ، شرب ثلاثتهم وأصبحت بينهم صلة مؤقتة . كانوا يتحدثون عن المحصول القادم وكيف سيكون ، يلمح الأمل فى حديثهم . عادت السيدة الكبيرة لتروح عن نفسها بالمجلة السينمائية .

- قلت لك أنه كان من اللازم أن نحضر معنا بعضاً من الفاكهة - قالتها للفتاة - وقد ألحت أفكارنا على ذلك، لكنك أنت بصلابة رأيك .

- فى المحطة القادمة هناك كانتين ياعمتى .

- لقد سمعت ذلك

إنطفأ أحمر الشفاه بعض الشىء للسيدة الكبيرة وامتد خارج إطار الفم . كما أن ذراعيها لايكادان يغطيان بقعة العرق الكبيرة تحت إبطيها والتى تزينها قصة البلوزة ازاحت الفتاة الشابة الستارة البلاستيك . مبنى المحطة قديم وإهماله مخزن كأنه ساحة مهجورة . وفى الواجهة القذرة للمبنى تبزغ نافذة تظل منها بعض الزهور الموضوعة فى الأصص وبعض النباتات كأنها شلال ألوان . وفى أحد جناحى السقف الرمادى

الداكن هناك إطار خشبى متهالك ومهمل . فى أحد أجناب المحطة توجد المراحيض ، أما الجانب الآخر فهناك ركن مخصص لتشوين البضائع. كان رئيس المحطة يتمشى على الرصيف مشية مسيطر ومهيمن على الموقف كأنه ديك، وكان الكاب الأحمر الذى يضعه فوق رأسه نشازاً بين القبعات وأغطية الرأس ومناديل الرأس ذات اللون الأسود .

تبعد القرية عن المحيطة مسافة أربعمائة أو خمسمائة متر، شكلها أصفر اللون كأنه بقعة تلطخ الأرض وتمتد بغير إنتظام حتى تكاد تلتحم ببداية إرتفاع هضبة مجاورة . أما برج الكنيسة - أطلال منتصبة وبقاء غيرها مأمول - فيهدد السماء بقبوه . الطريق مترب وخاو ويمتد حتى السوق رابطاً كل ذلك بعزلة الحقول .

أدار من فى الديوان رؤسهم نحو الباب . هناك رجل مجهد ويلهث. يزداد صوت لهاثه كلما إقترب من الباب . ساعده رجلان ممن كانوا فى الديوان على أن يضع سلته والصندوق الكرتون المربوط، بحبل. إستند الرجل على إطار الباب وتأمل المسافرين . نظرته وئيدة متأملة ومتمعنة . وعيناه المبللتان والسوداوان ، كأنهما شيئاً هلامياً، وصلتا حتى سلته وصندوقه الكرتونى الموضوعان على الشبكة العلوية حاملة الشنط ، ثم نزلتا نحو الوجوه وإنتظر هنيهة قبل أن يتحدث . نزع قبعته ونفض ملابسه بيده الخالية .

- أعطاكم له الله الصحة والعافية - قالها الرجل ثم صمت برهة

- فأنا لم أعد أتمتع بالصحة التى تجعلنى أتحمل الأسفار .

إستأذن الحاضرين ليقترب من النافذة فأفسحوا له الطريق بضم سيقانهم . تنهدت السيدة الكبيرة تنهيدة إحتجاج وعندما إستقرت فى مكانها تمطت كأنها حمامة تتكور حوصلتها .

- معذرة ياسيدتى .

على الرصيف وبجوار نافذة القطار كانت هناك سيدة عجوز متهالكة يبدو عليها الأهتمام والأنزعاج . وجهها ممتلىء بالتجاعيد التى تكاد تغطى ملامحها، حادة العينين ، ويدان ناحلتان كأنهما جناحان .

- يامريم ! - صاح الرجل - كل شىء تمام .

- إجلس ياخوان ، إجلس - طارت بإحدى يديها حتى جبهتها لتصلح من هندام منديل الرأس وتتحسس قطرات العرق الناجمة عن الحر، ولتسيطر على بعض الأفكار - إجلس يارجل .

- لن يسير القطار الآن .

- لايناسبك أن تظل على قدميك

- لازلت قادراً على ذلك . أنت التى يجب ...

- عندما يذهب القطار ...

- عندما أصل سوف أذهب إلى السيد كانديدو . فإذا ما أعطونى

مكاناً غداً فهذا أفضل .

- عليه أن يفعل مابوسعه ، قل له كل شيء ، لاتمسك عن شيء

- حسن ياإمرأة

- إجلس ياخوان

- مابقي هو تفريغ البضائع . عندما ترين إبن السيد مانويل قولي له أن يبلغ والده أنني ذهبت إلى المدينة ، ولاتفصحي له عن السبب.

- سوف يعرف

- إهتمي بنفسك كثيراً يامريم . تغذى .

- لاتقلق . والآن عليك أن تجلس . إكتب لي عما يقولوه لك، سوف يقرأون لي الرسالة .

- سوف أفعل ، سوف أفعل . سترين أن كل شيء سيصبح على مايرام .

تبادل الرجل والمرأة نظرة في صمت . غطت المرأة وجهها بيديها. صفرت القاطرة . ورن جرس المحطة ، أما صوت الفرامل عند زوال أثرها فقد جعل القطار كأنه يتمطى قبل بدء السير .

- لاتبك يامريم ! - صاح الرجل - سيكون كل شيء على مايرام

- إجلس ياخوان - قالت المرأة هذه العبارة التي إختلطت بدموعها

- إجلس ياخوان - يملؤ صوتها المتهدج نبرات الحنان والحب والخوف والوحدة.

بدأ القطار سيره وأخذت يدا المرأة تلوح مودعة وقضت التجاعيد والنواح على مابقى فى وجهها من ملامح .

- فى رعاية الله يامريم .

تتجاوب يدا المرأة مع الوداع أما الجو المحيط فقد كان سكوناً مطبقاً. عاد الرجل عندما مر القطار بركن تشوين البضائع ودخل وسط الحقول .

- إجلس هنا ياجدى - قالها صاحب القرية وهو ينهض من مكانه.

أما السيدة الكبيرة فقد مدت ساقيها ، بينما أسدلت الفتاة الصغيرة ستارة البلاستيك . وأخرج الرجل الذى تحدث عن الحرب عليه دخان شكلها قاتم ، مفرطحة وناعمة كأنها الفرع

- خذ ياجدى .

أخذت المرأة الكبيرة تروح من جديد بمستخدمة المجلة السينمائية وسألت بنبرة غير واثقة

- هل المحصول جيد هذا العام ؟

نظر ثالث الرجال بتمعن الى العجوز - وهو الذى لم يتحدث مع

النساء اللاتى فى الديوان والذى شارك فقط فى تناول النبيذ والحديث عن الحقول - كانت نظرة تعاطف وود . قررت الفتاة الشابة أن تبدأ بالحديث عن الخصوصيات المتبادلة بين الحاضرين .

- هل ستجرى سيادتك عملية ؟

عندئذ شرب العجوز من القربة وقبل سيجارة وأخذ يحكى . كانت كلماته ترافق الحقول .

- المرض ... والشغل ... والأرض ... وقلة المال .... المرض ... الشغل .... الأرض .... المرض ... العمل ... المرض ... هذه أول مرة، هذه أول مرة نفترق أنا ومريم مرت به السنون كأنها إيقاع قطار .

CARMEN MARTIN GAITE

كارمن مارتين جايتى

ولدت فى مدينة سلامنكا (ديسمبر ١٩٢٥) - أنهت دراستها فى كلية الآداب والفلسفة .

من بين أعمالها القصصية القيود (١٩٦٠) بين الستائر (١٩٥٨) وقد حصلت بها على جائزة NADAL - إيقاع بطىء (١٩٦٣) .

ومن بين مجموعاتها القصصية المنتجع (١٩٥٤) .

الـدادة *

- هيا ياكريستينا ، إذا لم تتناولى عشاءك سوف تذهب الدادة، سوف تذهب إلى قريتها .

- أنا إنتهيت من عشائى يادادة . أخذ موزة ، أنظرى ، أقشرها أنا وحدى .

- أترين ياجميلتى ؟ أترين أخاك ؟ أنت أيضاً مثله ..." هَمْ ! " هكذا ! ياله من طعام لذيذ لكن لاتخرجيه من فمك ، فلا يمكن إخراج الطعام من الفم ياقذرة . أنظرى إنظرى ماالذى يفعله لويس ألبرتو . "ياسلام" لقد قشر موزه ! أعطيها قطعة ياغبى ، أعط الطفلة . لايريد ، أنضربه ؟ ... لكن ماذا تفعلين ؟ لاتفعلى هذه القذارات بالقشر ، هيا ياكريستينا ، هيا أيتها الجميلة ملعقة أخرى . تلك ... فإذا لم تفعلى سوف تبكى الدادة ... إنها تبكى ، مسكينة أيتها الدادة . أه . أه .أه . أنظرى كيف تبكى .

كانت تحمل الملعقة بيد وتغطى عينيها باليد الأخرى، كانت ترى وهى تنظر من بين أصابعها النحيلة ، شبه الطفولية . أما الطفلة التى تحاول أن تتزحلق من على ركبتيها فقد بقيت متأثرة بضع ثوان ، متجهة نحوها وأخذت تتباكى أيضاً .

---

* المصدر : Cuento español de posguerra .

- لم آكل يادادة ، لم أكل . فم سيء - قالتها بصوت فيه دلع .

- هذا الجزء الصغير ، هذا فقط ، هذا وكفى .

- يادادة - تدخل الأخ - إن أضراسها تؤلمها وهى لذلك لاتريد . إنها صغيرة ، أليس كذلك ؟ أما أنا فآكل وحدى لانى كبرت ، أحقاً أننى كبير؟

- نعم يابنى ، كبير جداً ، آه لكن ياكريستينا لاتخرجى الطعام هكذا إنى أحذرك . يالها من طفلة ، وكيف تتصرف . قذرة ! اللبن لايبصق . يا"سلام"على ما تصنعون من فنون تناول الطعام ... ! لست أدرى فى أى ساعة سوف تنتهى اليوم .

أمسكت بالطفلة من جديد وسحبت المرفق من على بقعة من الشوربة على المائدة . طارت الملعقة الثانية فى الهواء بضربة يد وسقطت على مجموعة من أعواد الكبريت التى كانت متراصة كأنها جنود ميتة على مفرش المائدة المصنوع من البلاستيك ، وكانت الأعواد بجوار العلبة المكسرة والمطبقة .

- يا"سلام"على نظافة المائدة - عادت الدادة تتنهد .

وبينما تردد هذه العبارة أخذت عيناها تجول فوق المائدة، مفرش البلاستيك الموضوع بشكل سيىء . وكل شىء فوق المائدة : عيدان الكبريت والعلبة الفارغة أوانى اللبن والسكر الملاعق الصغيرة المتسخة،

علبة شراب وغطاءها والدب المقلوب وإحدى عينيه مكسورة، وبنسة شعر سقطت من رأس الدادة ، كل هذا بدا كأنه آثار فى ميدان معركة .

أخذ لويس ألبرتو فى الضحك وهو جالس على أرض المطبخ .

- آه مما تفعل ، يالها من قذرة . تترك اللبن يسيل من فمها. يادادة ، أريد أن أرى الصندوق الذى كان معك بالأمس . وقد قلت لى إذا تناولت عشائى جيداً فسوف ترينني إياه . ذلك الصندوق الجميل بغطائه المحارى .

- لا . لا . غداً . أما الآن فإلى الفراش . لابد أن تكون فى الفراش وأختك أيضاً فقد تجاوزت التاسعة مساءً بكثير . إلى أين تذهب؟ يالويس ألبرتو . تعال ، إنتهت التأملات . هيا كلاكما إلى الفراش .

- سأبحث عن الصندوق . أعرف أين تحفظينه .

- لاشىء من هذا ، هيا ، هيا لغسل الوجه والنوم .

- يادادة لانو .. - إحتجت الطفلة - أنت يادادة بوس ...

نهضت الدادة وهى تحمل الطفلة بين ذراعيها وأخذت قطعة قماش مبللة ومسحت بها المفرش .

- لم تأكلى شيئاً . أنت سيئة سوف يأتى أبو جوال ويأخذك

- لاجوال . لانو الدادة بيتانا

- ماذا تقولين ياإبنتى ، ماذا تريدين . لا أفهمك

كان لويس ألبرتو قد قام بوضع منضدة صغيرة بجانب النافذة وصعد عليها

- يريد أن يستمع إلى الموسيقى الآتية من المنزل الذى هو بالطابق الأسفل - أوضح - النظر من النافذة ، أترين ؟ مثلى . لأنه يرى أننى أفعل ذلك .

- حذار من السقوط أيها الطفل .

- لاشيء من هذا، وفوق ذلك أطل برأسى . أهلاً ياباكيتو . أنظرى يادادة.

- عليك بالنزول

- ياباكيتو !

وفى النافذة المواجهة بالمنزل المقابل وفى طابق أسفل ، قام طفل بأزاحة الستار وألصق أنفه بزجاج النافذة . ثم أخذ يلعقه بلسانه ويترك لعاباً عليه . إنتزعته يد بعنف .

- إنها دادته - قال لويس ألبرتو - ألا تعرفينها ؟

- لا

- هذا طبيعى لأنك جديدة . إسمها ليو. لقد ذهبا . ليو طابعها حاد . إنها تضرب باكيتو ، أتعرفين ذلك ؟

كانت كريستينا تضحك هانئة ، رفعت ذراعيها لأعلى وأخذت تحركها فى الهواء كأنها ترقص

- لانو .. - قالت - هيا إلى الشارع .

بعد ذلك وضعت قبضة يدها على إحدى عينيها وأخذت تبكى وهى تختضن كتف الدادة . يصعد من المنور خليط ثقيل من جلبة تحدثها الشوك ، وبكاء أطفال ، وموسيقى الأذاعة ، ويتخلل كل ذلك ، بين الحين والآخر ، صوت المصعد الذى يتزلق على الحائط كأنه رجل يرتدى قناعاً ، ويحدث نوعاً من الأنطباع عندما يتقرب ، مثلما يحدث الآن ، ويستطيع المرء أن يلمسه إذا ما أخرج يده من النافذة .

- إن المصعد قادم إلى هذا الطابق - قالها لويس ألبرتو - أنظرى؟ لقد توقف سوف أنزل من على المنضدة وأذهب لأفتح الباب .

- لكن إهدأ يافتى . لم يناد أحد بعد .

تصيب الدادة رعشة عندما يتوقف المصعد فى هذا الطابق وذلك عندما يكونون وحدهم ودوماً ماتتلو بعض الأدعية حتى لايطرق الباب . وأخذت تتلو ذلك الدعاء المعهود وهى تنظر إلى أعلى ، إلى جزء من السماء به بعض النجوم وكأنه سقف على الأضواء العنيفة الأخرى

الصادرة من بعض النوافذ ووصلت فى تلاوة دعائها إلى عبارة " من بين النساء قاطبة" عندئذ رن جرس الباب . خرج الطفل مسرعاً عبر الردهة وسارت هى خلفه تحمل الطفلة التى أخذت رأسها تتثاقل من النعاس . كانت تحتضنها مقبلة إياها وتضمها إليها بشدة ، رغبة فى أن تكون والدتها . " لن يؤذينى أحد - فكرت وهى تمر فى الردهة - وأنا أحمل الطفلة هكذا . لا أحد مهماً كانت سوء نيته" حاول لويس ألبرتو أن تصل يداه إلى المزلاج

- لكن إفتحى يادادة - قالها وهو يقفز

- من بالباب ؟

كانت البوابة ، وقد جاءت بابنتها الصغيرة بعد حفل التنصير الأول حتى تراها سيدة المنزل

- السيدة ليست هنا . فهما يتناولان العشاء خارج المنزل ولن يأتيا. يالك من طفلة جميلة.أهى إبنتك الكبرى ؟

- إنها الأبنة الثانية . كان الطفل هو الأول . وقد إحتلفنا به قبل ذلك ، لكن الأكثر جاذبية فى حالة الفتيات هو إرتداؤهن الملابس البيضاء.

- هذا ما أعتقده أيضاً . يالها من جميلة . لكن إدخلا ، رغم عدم وجود السيدة وإمكثا بعض الوقت .

إهدأ أيها الفتى لاتلمس فستانها ، تفضلى .

تقدمت البوابة بضع خطوات ومعها إبنتها .

- لا ، إننا ذاهبتان . إسمعى هل لديكم قفلا بمزلاج جيد ؟

- إن الدادة تخاف - قالها لويس ألبرتو

نظرت الدادة إلى الطفلة وهى بين يديها شبه نائمة

- ذلك أنه فى مثل هذه الساعة ليس من المعتاد أن يأتى أحد - قالت معتذرة - لكن إجلسى بعض الوقت ، إذ سأقدم للطفلة بعض الحلوى . أما هذه فقد نامت منى . أنظرى ، أنظرى إلى هذه الطفلة ، يالها من جميلة ، قولى لها " يالك من جميلة" هيا قولى لها ذلك . إنها مرهقة يالها من أمسية أمضياها ، فاليوم الذى لاتكون فيه أمها....

- هل خرجا منذ فترة طويلة ؟

- خرجا منذ ساعة تقريباً عندما عاد السيد من المكتب ، وكانت هى قد إستعدت ثم خرجا

- بالطبع - قالتها البوابة - أنا لم أكن بالباب ولهذا لم أرهما وهما يخرجان . لقد ذهبت مع إبنتى إلى منزل أحد الأعمام . إلى حى / كواترو كامينوس وقبل ذلك ذهبت لتصويرها ، لست أدرى كيف ستكون فى الصورة ، يالها من بلهاء ، لقد ضحكت وهم يصورونها .

كانت إبنة البوابة تنظر إلى الحوائط نظرة مرهقة وإتكأت على الشماعة .

- لولى ، لاتتكىء هناك . لقد غضبت . لايمكن أن يذهب المرء إلى أى مكان ومعه أطفال . تصرفى جيداً .

أخذت الطفلة تداعب المسبحة دون أن تترك من يديها كتاب الصلوات الموضوع فى علبة مزينة بالصدف . وعندما دخلت الدادة وأتت تحمل طبقاً من الحلوى رمقته الطفلة بنظرات متثاقلة .

- خذى هذه القطعة يالولى - قال لها الطفل - هذه الحمراء ،هى من أفضل القطع

- يا أمى هل أخلع الجوانتى ؟

- نعم ، تعالى سوف أخلعه لك . لكن لاتأكلى أكثر من قطعة واحدة . ماالذى يجب أن يقال فى هذا الموقف ؟

- شكراً جزيلاً - قالتها وهى لاتكاد تفتح فمها .

- يالك من ظريفة - قالت الدادة بحماس - إنها جد ظريفة . تروق لى الصغيرات وهن فى ملابس التنصير الأول . ستأسف السيدة لأنها لم ترها .

- نعم يا إمرأة ، تقولى لها إنى أتيت .

- نعم سأقول لها .

- عندما تم التنصير الأول للطفل أعطتنى خمسين بيزيتة . ليس الأمر أننى أفعل هذا من أجل النقود ، لكن بعضاً من هؤلاء وبعضاً من أولئك أستطيع تغطية سعر الفستان .

- بالطبع يا إمرأة ، واضح ، خمسون بيزيتا .

إنتهت كريستينا بعض الشىء وأرادت أن تنزل من على يدى الدادة.وأخذت تدعك عينيها واتجهت نحو بقية الأطفال .

- نعم ، طيبون هم أهل هذا المنزل - واصلت البوابة - وكيف الحال بالنسبة لك ؟

- بخير . لقد أنبّتنى هذا الصباح . فى كثيرمن الأحيان يحتد مزاجها ، وقد جن جنونها اليوم .

- قالت هذا أنطونيا التى تركتهم . وقد تركتهم لانها ردت عليها. ومالايمكن فعله مع هذه السيدة هى الرد عليها .

- لا ، أنا لم أرد عليها بالطبع ، لكننى كنت على وشك البكاء. فالأمر أننى تأخرت فى السوق . وكيف لا أتأخر وكنت أنا أول واحدة رأت ذلك الرجل الذى مات هناك وهو جالس على أحد المقاعد الموجودة فى الممشى بالسوق ... هذا الصباح ... ألا تعرفين ذلك ؟

- أكان أحد من دار المسنين ؟ لقد سمعت ذلك فى البار . أين كان؟ هل رأيته ؟

- نعم ، ألست أقول لك ذلك ؟ عندما خرجت من عند الجزار وكان معى الطفل، وهذا بالذات مازاد من ضيق السيدة . إقتربت ومعى الطفل. تقول إن الطفل فى هذا السن لايجب أن يرى ميتاً ، ولاحتى يعرف شيئاً عن هذا إذ أن ذلك يفقدهم البراءة. لكن ماذا كنت فاعلة ؟ الأمر أن الطفل نفسه هو الذى لفت نظرى . قال لى " يادادة أنظرى إلى هذا الرجل، لقد سقطت منه السيجارة ، هل آخذها ؟" أنظر ، وفى هذه اللحظة كان الرجل جالساً على أحد المقاعد المصنوعة من الحجارة الموجودة فى الممشى، يرتدى ملابس رمادية ، وغطاء للرأس ورأيت أن رأسه مائلة وسقطت السيجارة من بين أصابعه . وإلتصقت ذقنه بصدره ، دون أن يرى وجهه ، وبالطبع إقتربت منه وقلت له ماذا يحدث له . قلت ذلك فى البداية وقد فكرت إنه ربما كان مغمى عليه أوشيئاً من هذا القبيل ... يقشعر بدنى عندما أحكى هذا من جديد . رفعت الدادة كم جلبابها إلى أعلى بعض الشيء وجعلت البوابة تنظر إلى آثار القشعريرة على جلدها

- أكان ميتاً ؟

- بالطبع ، لكن قبل أن أدرك ذلك - تصورى - أخذت أناديه وألمسه ، وأنا وحدى هناك بجانبه . فى هذه اللحظة كان قد مات،أى فى اللحظة التى رآه فيها الطفل . وبعد ذلك أتى رجل آخر، وآخرون كانوا

يسيرون فى الشارع لكن الحمد لله ، أما أنا فقد ظللت حتى جاء مسئولوا القضاء لأخذ أقوالى حيث أننى كنت أول من رآه . وتقول السيدة لماذا لم أتصل بها تليفونياً . والأمر أننى لم أتذكر السيدة أو أى شىء بسبب الموقف . ياله من مسكين . عندما رفعوا رأسه بعد ذلك بدا أكثر طيبة وقد أثر فى نفسى كثيراً رؤيته هكذا .

كانت إبنة البوابة قد جلست على أحد الكراسى . أما لويس ألبرتو فقد أتى أثناء سرد الموضوع ، علبة البونبون من غرفة الطعام معفياً نفسه من ضرورة أن يطلب إذناً بذلك نظراً لأستغراقهما فى القصة. أخذت إبنة البوابة حبة بنبون كبيرة كان بها قطرات النبيذ وسالت منه نقطة على صدر الفستان .

- يا أمى - نادت على أمها بصوت فيه ضيق ، ثم نهضت .

- ماذا يا إبنتى ؟ هيا بنا . أنا لم أعرف يا إمرأة هذه الحكاية، ويالة من خوف إنتابك

- تصورى ، وبعد ذلك تؤنبنى ...

- ماما ...

- لابد من التحلى بكثير من الصبر ... ماذا تريدين ياإبنتى؟ لاتكونى لحوحة

- أنظرى يا أمى ، لقد وقعت بقعة صغيرة على فستانى

أخذت لولى تنظر دون أن تقدم على نقض البقعة ذلك أن يديها كان بها البنبون . أرادت أن تجففها بالمنشة .

- لكن ، ماذا تفعلى ؟ بأى شىء إتسخ الفستان؟ ياإلهى . تقول إنه إتسخ قليلاً ، سوف أضربك هكذا أيتها البلهاء .

- لاتضريبها يا إمرأة

- وكيف لا أضربها ، وكيف لا أضربها . تقول إنه إتسخ قليلاً. اترين كيف أصبح وضعها ؟ لقد قضت على الفستان وأصبح لايصلح لشىء . وإذا لم آخذ فى إعتبارى أن هذا يوم خاص لكنت قد أصبت وجهها بالتورم من كثرة الضرب . هيا إلى المنزل .

- أنا لم أكن أعرف أن البنبون به شراب

- لم تكونى تعرفين ، وتقوله هكذا ببساطة . هيا بنا إننى لا أريد حتى رؤيتك . كنت سأقتلك . يالقذارتك بين الفتيات ! لست أدرى كيف تتوفر لديكم القدرة على الخدمة يامعشر الدادات .

- مسكينة لاتبكيها أكثر من ذلك ، فما حدث كان دون إرادتها.

- إنها طفلة مدللة . وليس غير ذلك . رغابة . هيا لاتبكى أكثر من ذلك وإلا ضربتك مرة أخرى . هيا ، حسن يافتاة سوف ننزل .

- فى رعاية الله ، ولاتكونى هكذا ياسيدة دولورس فتلك البقع

يمكن إزالتها . فى رعاية الله أيتها الجميلة الصغيرة . هيا أعطنى قبلة. فعليك إعتباراً من الآن أن تكونى طيبة جداً . مسكينة ، كيف تبكى . هل فعلاً أنك ستكونين طيبة جداً ؟

- نعم ، طيبة - همهمت البوابة بصوت مستاء - ولا حتى بالكلورفورم

- نعم يا أمرأة ، والآن فإن مابقى هو أن ترينها متزوجة .

- هذا هو مابقى . حسن ، فى رعاية الله ياإبنتى .

كان لويس ألبرتو وأخته كريستينا يريدان النزول على السلم .

- أنا لا أريد أن تذهب لولى - قال الطفل - وسأنزل معها .

- هيا .. هيا . تعال هنا . أما أنت فهنا ، هيا إلى هنا كلاكما. فى رعاية الله ياسيدة دولورس .

- أنا سأنزل مع لولى .

عندما أغلقت الباب أصابهما هياج شديد فأخذ لويس ألبرتو يركل الدادة ويعضها ويشتمها بأنها قذرة . كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء عندما تمكنت من الذهاب بهما إلى فرشاهما . نامت كريستينا ، أما الطفل فقد ظل يريد أن تبقى الدادة معه لأنه أخذ يتذكر ذلك الرجل الذى رآه ميتاً هذا الصباح وإعتراه الخوف .

أما الدادة فهى خائفة ولكن بعض الشيء .

- لماذا تقول أمى أننى لم يكن من الضرورى أن أرى ذلك الرجل؟ هل لأنه كان ميتاً ؟

- هيا ، لاتتحدث عن ذلك الرجل ، إنه لم يكن ميتاً

- هيا ، ليس ذلك ... ولماذا كان وجهه يشبه شكل المطاط .

- هيا ، نم

- إذا فلتحكى لى حكاية

- أنا لا أعرف حكايات

- نعم تعرفين ، مثل حكاية الأمس تلك ، حكاية ذلك الفتى روكى

- هذه ليست حكايات، إنها أحداث فى قريتى.

- إذن إحكى تلك الأشياء عن قريتك، حكاية الذئاب التى تحدثت عنها بالأمس .

- لاشيء ، الأمر انه أثناء فصل الشتاء تأتى الذئاب .

- من أين تأتى ؟

- لاتتحدث بصوت عال، فقد نامت أختك

- حسن ، قولى لى : من أين تأتى؟

- لست أدرى ، ربما من الجبل . ففى يوم من أيام الشتاء عندما سقطت الثلوج رأيت ذئباً من بعيد وأنا قادمة مع أخى، عندئذ أخذ أخى يبكى . كم جرينا !

- هل أخوك كبير ؟

- لا ، إنه أصغر منى؟

- لكن كم كان عمره ؟

- عمره الآن أربعة عشر عاماً

- هيا ، كم ؟ هذا كثير ، فلماذا إذن كان يبكى رغم أنه كبير

- لست أدرى، كان صبياً صغيراً حينذاك . هيا لتنام .

- هيا قصى على ماحدث للذئب . كيف كان الذئب ؟

يرن جرس التليفون

- إنتظر وأنصت . سوف أعود حالاً - نهضت الدادة منزعجة.

- لا ، لاتذهبى ، ذلك أنك لن تعودى بعد ذلك .

- نعم سأعود ياجميل ، سوف أعود حقاً . سأترك الباب مفتوحاً وسأضيىء لمبة الردهة .

كان التليفون مثبتاً فى الحجرة الداخلية، لم تكن تعرف جيداً أماكن مفاتيح الأضاءة وعندما تنهض مسرعة مثلما يحدث الآن كانت

تصطدم بحواف الأثاث فأخذت سماعة التليفون والحجرة مظلمة ذلك أن أكثر مايزعجها هو إستمرار جرس التليفون .

كان صدرها يدق بقوة .

- من ؟

- إنه أنا السيدة . هل أنت أسونشيون

- أسونشبون

- حقاً ، أسونثيون . دائماً ما يختلط على الأمر . كيف تأخرت كثيراً فى الرد علىّ ؟

- كنت مع الطفل أحكى له حكايات .

- ألم يناما بعد ؟ كيف تأتى لك يا إمرأة بحق الله أن تجعليهما يناماں متأخرين ؟

- إنهما لايريدان الذهاب الى الفراش . ولست أدرى ماذا أفعل معهما عندما يكونان هكذا ياسيدتى . لن أضربهما . والطفلة لم تكن تريد أن تتناول عشاءها .

- هل إتصل بنا أحد ؟

- لا ، لا أحد ، اللهم إلا حضرتك الآن ، وقبل ذلك مكالمة خطأ .

- ماذا تقول ياپابلو ؟ لا أفهمك . أنتظر

كانت تصل من خلال التليفون أصوات مختلطة بها ضحكات وموسيقى .

- لاشىء . لقد كان السيد يسأل عما إذا كان أخاه قد إتصل ، لكنك تقولين لم يتصل أحد .

- لست أدرى ، لقد ظللت فترة من الوقت وباب المطبخ مغلق على حتى لاتتطاير فى المنزل رائحة الزيت لكنى أعتقد أنه إذا ماكان قد إتصل فأننى كنت سأسمعه ، فأنا دائماً أصغى بانتباه ...

- حسن ، لاشىء غير ذلك . لاتنسى رفع مظلة البلكونة حيث أن الجوينذر بأمطار رعدية هذه الليلة

- لا لن أنسى ، سارفعها الآن

- أما الطفل فاتركيه فسوف ينام وحده .

- وإذا مابكى ؟

- لاشىء فليبك . إتركيه ياسيدتى . حسن تصبحين على خير ، أن تغلقى مفاتيح الغاز جيداً .

- لاتقلقى ياسيدتى . فى رعاية الله . آه ! قبل ذلك جاءت البوابة ومعها طفلتها التى إحتلفلت اليوم بعيد تنصيرها الأول . قالت ... ياسيدتى ...

لاشىء . كانت قد وضعت السماعة ، إذ انقطع الصوت بشدة من الطرف الآخر ، والحجرة مظلمة عندئذ عاودها الخوف ، عادت للبحث عن قاطع التيار وأدارته . كانت الكتب موضوعة على أرففها والستائر مسدلة ، ولوحة الملائكة الذين هم فى شكل نحيل . كل شىء مرتب . كانت هناك رائحة غريبة ، وإزداد خوفها حتى مع إشعال النور .

خرجت إلى البلكونة وظلت هنيهة وهى تتأمل الشارع . كان الهواء لطيفاً جداً . المارة يكادون يختفون من الشارع ذلك أنه حانت ساعة العشاء ، لكنها كانت تتسلى بمشاهدة بلكونات المنازل الأخرى ، وأسفل ترى الأعلانات الضوئية الخضراء والحمراء القادمة من ميدان قريب ، والأتوبيسات التى تمر وهى مضاءة وأبواب المقاهى . وفى إحدى البلكونات فى الجانب الآخر من الشارع كان هناك فتى يدخن وخلفه فى داخل الحجرة كانت مضاءة لمبة ملونة . أسندت وجهها على يديها . كان يطيب لها أن ترى ذلك الفتى وأخذ يغالبها النعاس حتى ثقل ذراعها وأحست بالبرد . رفعت مظلة البلكونة التى كشفت عن بعض النجوم فى السماء التى تخفيها بين الحين والآخر بعض الشحب القاتمة والخفيفة - وأخذت المظلة تنزلق بينما تقوم هى بجذب الحبل . كان صوتاً لطيفاً يذكر بالأعمال البحرية .

عادت إلى الداخل وهى تريد أن تغنى . كان المنزل صامتاً وغارقاً . مرت بخفة أما حجرة الأطفال لم يسمع لها صوت ، أخذت شهيقاً وزفيراً

طويلين وتوقفت لتنعم بذلك.

كان النعاس يغالبها بقوة كأنه الطوفان . منذ هذه اللحظة أخذت تفكر فى الفراش ، إذ كانت يديها وظهرها يطلبون النوم . كان طلباً ملحاً . تناولت عشاءها بسرعة . رفعت آخر الأوانى ، وأخرجت جردل الزبالة . ثم أغلقت مفاتيح الغاز ثم الأضاءة والأبواب . عندما دخلت حجرتها وأخذت تخلع ملابسها خفتت الأصوات فى المنور وتوارت الأضواء فى كثير من النوافذ . كانت هناك ملاءات منشورة فى الشرفات تتحرك ببطء فى الظلام كأنها أشباح .

JOSEFINA RODRIGUEZ

خوسيفينا رودريجيث

ولدت فى ليون (مارس ١٩٢٦) - عملت كأستاذة فى كلية الأداب والفلسفة لهـا مجموعـة قصصيـة عنوانهـا "السير هائماً" Aninguna parte(مدريد ١٩٦١) .

السير هائماً

فى الصباح كان معتاداً على الشعور بالحزن لكن تبدأ معنوياته فى الأرتفاع عند منتصف اليوم حتى أنه يشعر بانشراح فى المساء.حريق هائل كان يحصد العيون عند حلول الليل ، فى الوقت الذى تقوم فيه تلك بالترقب واللهفة منتظرة أن تشع الأشياء نفحة سحرية .

كان عمره سبعة عشر ربيعاً . إسمه إيوخينيو ، وكان يعيش فى شارع فى وسط حى من الأرياض .

يذهب فى الصباح الى محل والده ، ويساعده فى بيع عدة كيلوجرامات من الملح والبطاطس، وفى إختلاس بضعة جرامات من السكر وبعض السنتيلترات من الزيت . كان إستعجال السيدات ينعكس فى دقاتهم المتتالية على ترابيزة البيع ، وإحتجاجهن يؤثر على زجاج الميزان .

- ياسيد لويس لاتعطنى هذه البضاعة السيئة .

- ياسيد لويس غداً سأدفع لك حساب الأسبوع .

- ياسيد لويس ، لاتسرقنا بوقاحة ، تباً لك ، هل تريد أن تقبض منى ثمن الفارغ الذى أشترى فيه بسعر السمك المخلل ؟

- ياسيد لويس ...

صيحات النساء تجعل الصباح حزيناً فى عينى إيوخينيو . كما أن تأمل منظر المدرسة على الجانب الآخر من الشارع يملؤه بالكدر .

فى العاشرة والنصف صباحاً يخرج التلاميذ فى الفسحة ويملأون الفناء بالمرح وهم يرتدون المرايل البيضاء الباردة . يتحرك التلاميذ بطريقة منظمة ، واعية بين الأشجار الضعيفة فى الفناء الحديقة ، التى ذهبت عنها أوراقها .

كان إيوخينيو يتأمل لعبهم من دائرة شفافة إستطاع أن يحدثها فى الزجاج المعتم . يشعر إيوخينيو بالبرد فى سيقانه، حيث شعر فجأة أنها عارية، نزع عنها البنطلون الطويل وأصبحت معرضة لهواء الفناء المدرسى تماماً مثل التلاميذ الذين يلعبون . يتذكر أن شهرى ديسمبر ويناير كانا أسوأ شهرين . أثناء الفسحة وخلال شهرى ديسمبر ويناير كان دانيل يفعل مايستطيع حتى يعاقب ويبقى وحده فى الفصل .

- يا إيوخينيو هات هذا الوعاء .

- يا إيوخينيو ، لاتكن ذاهب العقل ، فما أطلبه هو لهذا اليوم .

- يا إيوخينيو أعط لهذه شيكولاته ماركة إيرميتا .

عندما يغادر التلاميذ المدرسة توجد حول الأشجار المحاطة بالجليد بقايا قشر برتقال .

- هيا ، أغلق الترباس وهيا بنا لتناول الغداء .

بعد الظهيرة يكون وقت راحته ، يعلق خلف باب المطبخ الرداء الرمادى الواقى من التراب . ويفتح الدولاب ذا المرايا الخاص بوالديه ويأخذ حلة . وعندما يخرج يودع والدته وأخته اللتين تستعدان للذهاب للمحل . يحى والده بيده ، والذى يطل بنصف جسده المتصلب من خلف ترابيزة البيع .

يركب إيوخينيو الترام ويذهب إلى المدينة . كان المساء يطول بينه وبين دانيل ، لكنه كان ينساب فى الوقت الذى يقضيه على مقاعد الدرس ، وفى الكلمات التى يسمعها من المدرسين والكلمات التى يوجهها لهم . وكان آخر الدروس حصة اللغة الأنجليزية - حبر - محبرة - حذاء - اسكافى - يخرجان دائماً وهما يتحدثان عنها .

- أقول لذك إن تعلم الأنجليزية أمر ضرورى . وبدون ذلك لن تجد لك أى مكان - يؤكد دانيل .

وإيوخينيو يؤمن على الكلام بإيماءه من رأسه .

تفتتح الليلة أضواء المحلات الكبرى ، وتزداد أعداد السيارات فى الشوارع ، وتسرع الناس فى حظاها بينما يبطىء دانيل وإيوخينيو خطاهما ، يطبعانها بطابع التمشية . كان لدى إيوخينيو شعور بنهاية الرحلة ، نهاية رحلة سعيدة إلى هدف ثابت .

- ... لن تجد لك أى مكان - كان دانيل يردد هذه العبارة .

فى مقار شركات السياحة هناك طائرات موضوعة على حامل تشق سماء الفترينات . يتوقف إيوخينيو أمامها ويخمن رحلات إلى عالم غير مألوف من خلال خرائط القارات . بينما ينظر دانيل للأرض . كان دانيل يحتقر تخيل الطيران ، ويشرح فى إنطوائية أسبابه التى يكررها كل يوم:

- بدون اللغة الأنجليزية ، مستحيل ... لن تفوز بشىء ، ولاتساوى شيئاً ، ولن تذهب إلي أى هدف .

تتداخل هذه الجمل مع الحلم الذى يشعر به إيوخينيو وتعشش فيه. كان يبتعد - مجاهداً نفسه - عن الفترينة .

- عندك حق - كان يقول - اللغة الأنجليزية هامة للغاية ، حتى تحصل على عمل ، وحتى تتمكن من السفر ...

تدور الطائرات ذات اللون الفضى مثلما يدور العالم ، وتتابع فى الفضاء الأثر الليلى للعالم .

الأعلان كان هو إعلانه . كان نداء موجه بصفة خاصة له ، ولايمكن أن يشاركه فيه أحد ولاحتى دانيل . كانت ملامح الأعلان أسرية، لدرجة أن إيوخينيو كان على ثقة من أنه يمكن أن يقرأ ذلك فى كفه . كان إعلاناً بسيطاً من تلك التى يحررها القدر يومياً :

" هناك حاجة إلى شخص مبتدىء فى اللغة الأنجليزية"

تعرف إيوخينيو على نفسه فى الأعلان . طافت برأسه وبشكل منظم المفردات الأنجليزية التى درسها طوال سبع وعشرين حصة : حبر - محبرة - حذاء - جزمجى .

" عمل سهل، أجر جيد "

" إنها بداية الرحلة - فكر إيوخنيو - إنها بداية كل ما أريده وما أحتاجه "

"للإستعلام : من الثالثة حتى الرابعة بعد الظهر"

فى الثالثة بعد الظهر كان الشارع يعيش هدنة من الصمت وقلة المارة أخذ إيوخينيو يسير بخطى وئيدة تحت شمس إبريل المتوسطة القوة. توقف أمام فترينة محل ألبان مغلق ، وأدى به منظر قطع الجبن الضخمة والزهور وورق السلوفان الذى يغلف عبوات الأرز ، إلى إحتقار صورة محله هو الذى يتسم بالصغر والقذارة وقلة الأضاءة والتى يشتم منها دائماً رائحة السمك المخلل والتوابل العفنة .

" ... من الثالثة حتى الرابعة فى النفدق ..."

كان الففدق فى نهاية الشارع . باب ضخم وصف طويل من السيارات الواقفة أمام الفندق .

"... شقة رقم ٦ ..."

لفترة من الوقت شعر دون أن يدرى لماذا ، أنه غارق فى الكنبة المخملية وفى الكلمات الغريبة الرحبة . أخذت المرأة تنظر إليه ، كانت تنتظر بكل تأكيد إجابته . إيوخينيو يستمع للمرأة ، بينما تضربه موجات دردشتها وتهزمه، وتغرقة وتجعله بلا حراك فى المقعد المخملى. وعندما دخل الرجل وتحدث بالأسبانية شعر إيوخينيو أن الموجات تنحسر.

- رجل شاب مثل سيادتك هو أمر جيد جداً بالنسبة لنا . سيادتك تعرف شيئاً من الأنجليزية . أليس كذلك ؟

تنهد إيوخينيو بعمق . تردد قبل أن يجيب :

بلى

- إنه عمل سهل ، والأجر عليه طيب . العمل لمدة ساعتين يومياً بعد الظهر . وهو عبارة عن ذهاب سيادتك مع السائق الى خارج المدينة ، وأن ترافق كلبنا فى السيارة وعندما تكون فى الحقول ، تقوم سيادتك بالتمشى بعض الوقت معه ، وأن تلعب معه وتجعله يجرى ... سيادتك تعرف كل شىء . أما فيما يتعلق بالراتب ، فأننى فكرت - إذا ما بدا لك طيباً ...

كانت هناك مدفأة موقدة فى الصالون وفكر إيوخينيو أنه من غير الملائم أن تظل مشتغلة فى هذه الساعة من النهار . تأمل المدفأة لحظة ثم رفع

عينيه نحو الرجل .

- لا ، أعتقد أننى لن أعرف ، إننى لا أستطيع ... لقد ظننت ... ولم أفهم الأعلان جيداً ...

قال ذلك ، وأشعلت نار المدفأة وجهه

عندما خرج من الفندق كان ضوء الشمس ينعكس على الأسفلت الخال من أى شىء . نظر إيوخينيو إلى الشارع الذى إتسع منتظراً خطواته .

إنه شارع صامت ، لايمر فيه أحد ، عدوانى

نظر إيوخينيو للشارع وشعر بالخوف لأنه لايعرف إلى أين يذهب.

ALFONSO SASTRE

الفونسو ساسترى

ولد فى مدريد عام ١٩٢٦ . حصل على ليسانس آداب - جامعة مدريد . إشتهر بأعماله المسرحية تبرز منها "يورانيوم ٢٣٥" "مجموعة الموت" "جردل الزبالة" "الأرض الحمراء" "خبز الجميع" "القماطة" "موت فى الحى" "فى الليل" "الدم والرماد" . أما أعماله القصصية فله "الليالى المعتمة" و "التوازى ٣٨" .

فرقعة ووميض

كما تعرفون ، أنا واحد من ثلاثمائة وإثنين من الباقين على قد الحياة فى مدريد المدينة التى كان تعدادها - طبقاً لآخر إحصاء - عند الأنفجار ٢٣٢٤٤٠٣ نسمة . دارت صورتى بشكل لاوضوح فيه . لن أزيد فى هذا .

لكن مايسلينى تذكره الآن - حياتى تضيع بسبب الأشعاعات وليس لدى متعة أخرى غير ذكرياتى - هى إحدى الطرائف التى وقعت لى بعد وقوع الكارثة بأيام قليلة . وأقصها لطرفاتها ولأنها كوميدية بعض الشىء، والحقيقة أن الكوميديا نبات غريب يظهر حتى فى أكثر المواقف تراجيدية ومأساوية .

عندما عاد لى وعيى أدركت أننى فى مستشفى إرتجالى أقامه الصليب الأحمر النمساوى فى مدينة فيتوريا . وعلى السرير المجاور يرقد سيد يوحى مظهره بشىء من الغرابة، وهذا يرجع لبعض الأجهزة المستخدمة فى علاجه، وأتذكر منها بالونة الأوكسجين والمانوتر ونظارة سوداء - بعد ذلك علمت أنه فقد بصره (ليس فقط حاسة البصر بل أيضاً عضوى الأبصار) - والمشبك المعدنى الموضوع فى نهاية عضد ذراعه الأيسر (فقد أيضاً ذراعه اليسرى نتيجة الأنفجار ، وبعد ذلك

عرفت أن لازال فيه نبض الحياة بفضل جهاز القلب الألكترونى) ... فى هذا الأطار بدالى شىء طريف وهو أن أحد أسنانه كان من ذهب يلمع. لكن ليس هذا هو بيت القصيد .

أنا لا أستطيع الحراك فقد فقدت ، كما هو معروف ، ذراعى ورجلى . لست إلا رأساً (صلع كامل نتيجة للأشعاع القوى الذى تعرضت له) وباقى الجسد الذى فقدت منه أيضاً - لا أخجل من قوله - أعضائى التناسلية ، وهكذا وأنا لا أستطيع الحركة علقت بصوت عال فحواه أن لو كان جارى يريد الدردشة معى لنتسلى .

عندما سمعت صوت فرقعة - قلت - كنت فى الحديقة الغريبة أقرأ قصة فى هدوء . كان صباحاً مشرقاً ، من كان يقول أنه على وشك أن يحدث أمراً رهيباً !

- أى فرقعة ؟ - سمعت الصوت المتحشرج والمعدنى الصادر عن جارى . مما لاشك فيه أنه أجريت له عملية فتح فى القصبة الهوائية أو ما شابه (أنا أجهل مثل هذه الأمور) ، ذلك أن الصوت كان يخرج من فتحة فى الحلق ، بعد ذلك علمت أنه كان يتبرز من فتحة شرج صناعية وهى عبارة عن أنبوب مرن متصل مباشرة بأحدى البالوعات . بدت لى كلماته غريبة .

الفرقعة التى أحدثتها القنبلة - قلت بصوت فيه كدر - أى فرقعة

ستكون غير تلك ؟ خيم صمت يثير الضيق .

- أنا كنت أعيش - قال بصوت فيه شخير - فى حى لاس بنتساس دل إسبرتو سانيو .

- ماذا تريد أن تقول بهذه العبارة ؟ - سألته

- كنت ماسح أحذية - تنهد وخرج شخير واهن من فتحة حلقه .

- و ؟

- كنت قد ذهبت هذا الصباح إلى منطقة أشجار الصنوبر فى كانيبيخاس ، وفجأة أعمانى الوميض - تمتم الجار الذى لاحت حيويته فى الجهد الذى يبذله فى الحوار معى .

- الوميض؟ وميض ماذا ؟ - سألته بشىء من الغطرسة .

- وميض القنبلة - أجابنى بثبات وبطقطقة غير لطيفة .

- كان الظلام قد خيم بالكامل - شرحت له بصبر - فى الوقت الذى سمع فيه الدوى الهائل للإنفجار النووى .

- وميض هائل - عقب على كلامى - وصمت تام ! كان هذا هو الغريب . فكل شىء أخذ يتحرك دون أن أسمع أى جلبة .

تصورت أنه كان يسخر منى وأن مخه قد أثرت عليه القنبلة أيضاً.

هذا هو مجمل الطرفة . فطبيعتها كما نرى هى طبيعة كوميدية تكمن فى أنه لا أناو لاجارى كنا نعرف شيئاً فى تلك اللحظات عن أبعاد وإختلاف الموجة (الضوئية والصوتية) التى تسببها هذه الظاهرة (التى - حسبما عرفت فى وقت لاحق - تمت مراقبتها بشكل يشبه ماحدث فى هيروشيما) وأنه فى الأماكن الأكثر قرباً من موقع سقوط القنبلة - في هذه الحالة كانت بلدة تورخون دى أردوث - يسود وميض صامت ، وبعد ذلك فأبتداء من مسافة معينة يسمع صوت فرقعة شديدة، وتسقط الظلمات فوق الدنيا .

جهلنا هو الذى أدى إلى هذا الموقف الكوميدى الذى يطيب لى اليوم تذكره والذى لم تكن نتائجه سيئة للغاية ذلك أنه كلانا - ولتسمحوا لى أن أختم بهذه العبارة الضاحكة - لم يصل الأمر لأن نشتبك بالأيدى نظراً لأنها مبتورة .

JESUS FERNANDEZ SANTOS

خيسوس فرنانديث سانتوس

ولد فى مدريد عام ١٩٢٦ . فاجأته الحرب الأهلية عندما كان فى مدينة سيجوبيا وعاش فيها حتى إنتهت الحرب . درس فى كلية الآداب والفلسفة جامعة مدريد . درس فن السينما وهو أحد النقاد السينمائيين من خلال صحيفة El pais.

نشر عدة قصص منها : Los bravos الشجعان (١٩٥٤) فى المحرقة En la hoguera(١٩٥٧) كتاب ذكريات الأشياء (١٩٧١) التى ليس لها إسم (١٩٧٧) بالأضافة إلى مجموعات قصصية منها الرأس الحليق (١٩٥٨) الكائدرائيات (١٩٧٠) على ضفاف سيدة عجوز (١٩٨٠) أبواب الفردوس (١٩٨١) .

حصل على عدة جوائز منها جائزة "جابريل ميرو ١٩٥٧ ، وجائزة النقد مرتين (١٩٥٨ ، ١٩٦٣) .

ترجمت بعض أعماله إلى الفرنسية والألمانية والأيطالية والسويدية والأنجليزية .

بعيدا .. بعيداً عن مدريد *

أضاء الأفق فجأة ، وحملت النسمة معها همهمة شبيهة بصوت النار فى الهشيم ، ومثلما يحدث فى كل الليالى إمتدت شيئاً فشيئاً مشيرة إلى خط جبهة المواجهة البعيد .

أمسك الصبى بالمخدة ونادى

- ألا تسمعين ياأمى ؟

- نم - وصل الصوت من الحجرة المجاورة كأنه الطنين .

- ألا تسمعين شيئاً ؟

- سوف تتسبب فى إيقاظ أخيك

- أتتركينى أن آتى إلى حيث أنت ؟

- لا

- تعال أنت إذن.

- إهدأ يابنى ، وسوف تنام .

حاول الصبى إغماض عينيه ورغم ذلك يفزعه صوت الفرقعات القادم من بعيد . كان يتمنى لو كان مكان أخيه الذى ينام بهدوء، بينما كان عليه هو أن يعيش خوفه أمام النافذة المفتوحة .

---

* المصدر : Cuente espan̄ol de posguerra

كانت الأسرة قد وصلت في الصباح الباكر فى الأتوبيس مع بقية الناس الذين فاجأتهم الحرب وقت التصييف . فمنذ أن قطعت جبهة الحرب طريق السكك الحديدة تاركة الواحد فى الجانب الآخر ، فإن الثلاثة - الأم وإبناها - أخذوا طريقاً ملتوياً وأزداد إبتعادهم منصاعين لأوامر الأخلاء . كانت الأيام تمضى بسرعة مثلها مثل القرى والقطارات المحملة بالجنود ، والمراقبون الجدد الذين يعرفونهم كل يوم . إنها قرى بيضاء وحيدة، وعجائز سلبيين وأطفال مجهولين ينظرون دون أن يشيروا بالتحية، جالسين فى وضع من يمتطى صهوة الجواد على الكتل الحديدية التى على جوانب الطريق عند مداخل القرى . وتتماوج السهول الخضراء والأراضى القاحلة أمام موكب السيارات وتبقى فى الخلف حتى لاتكاد ترى . كنائس مدمرة وينابيع لازالت تبعث صامتة بمياهها، وفوق كل ماسبق صمت الرجال وتصرفاتهم العدائية وغير الواثقة ، والخوف من الحرب . مع الخوف هناك الترقب ، وغير المتوقع كل يوم وحالة الترحال الدائم والتطواف المستمر بين الحقول الجديدة بمحاصيلها على وشك النضوج ، سيراً من مطلع الشمس حتى مغيبها خلف الجبال .

كانت هناك قرية مثل التى حلم بها دوماً، وذلك فى كل مرة يقرأ فيها أثناء الشتاء حكايات المعارك ، إنها قرية مسورة بحصنها القديم ذى النوافذ الخالية وسورها الذى تآكل بفعل الشمس والذى يمتد حتى يعانق البيوت القديمة .

وعندما يحل الظلام يأتى معه الحزن والكدر بسبب قضاء الليلة بعيداً عن المنزل . وسرعان ماينام بجوار اخيه على المرتبة لكنه بعد قليل يستيقظ منادياً على أمه

- يا أمى

- ماذا تريد ؟

- لست نعساناً

لم تجب الأم ، لكنها أيضاً ساهرة، ذلك أن بلاط الأرضية فى مخدعها كان يحدث صوتاً .

- هل أنت مستيقظة ؟

- أصمت ...

- إنى عطشان . هل تأتينى بقليل من الماء ؟

- ليس هناك ماء ...

- إنى خائف .

- نم ، فنحن سنذهب غداً ...

طلقات جديدة أقضت مضجعة جعلته يتذكر والده .

هل لازال فى مدريد ؟ يتذكر الآن سحنته المكفهرة وهو يدخل المنزل كل ليلة ولحظات صمته الطويلة على المائدة وإجاباته المقتضبة .

كانت المناقشات المحتدمة تؤرقه فى منتصف الليل ، إذ يرفع رأسه من على المخدة فيجد أخاه مستيقظاً .

- ماذا يحدث ياأنطونيو ؟

- نم ... هيا ...

دائماً نفس الكلمة الظريفة . يبدو أن مهمته الوحيدة فى الأسرة هى النوم دوماً .

- إنهما يتشاجران - يقولها مصراً

- ماذا تعرف أنت ؟

وعندما يحل الصمت تأتى الأم بعد قليل وتوارب الباب،مُجْفة، عندئذ يبقى الأثنان بلا حراك وعيونهم شبه مغمضة .

بعد ذلك بشهور نزل الأب لوداعهم ووعدهم وهم يودعونه فى المحطة أنه سيأتى لزيارتها كل يوم أحد . أما الأم فقد قررت فى منتصف الصيف بعد أن تعبت من الأنتظار أن تتصل به هاتفياً فى أحد الأيام . وعادت يومها باكية . أتذكر ذلك جيداً .

وفى الأيام التالية وقبل حلول شهر يوليو كان ساعى البريد يتوقف عند شرفة البيت

- لاشىء ياسيدتى .

ترافق كلماته دوماً حركة مبهمة من يده بأن يضعها على صدره .

وأمام المنزل لانكاد نميز برق الجبهة بسبب تباشير الصباح .

- يأمى ... لقد أصبح النهار . متى سنعود إلى مدريد ؟

- غير ممكن

- ألا يمكن أن نرى الوالد ؟

- لايمكن المرور

- ولا حتى من هنا عن طريق الجبل ؟

- آحتمالات المرور عن طريق الجبل أقل ...

- فى المحطة مساء أمس كانوا يقولون بأن رجلاً إستطاع المرور عن طريق هذا الجبل ... أسمعى يا أمى ...

- ماذا تريد ؟

- أين يذهبون ؟

- من هم ؟

- الذين يمرون

- إلى مدريد . وماذا أعرف أنا !

- لماذا هم ذاهبون إلى مدريد ؟

- لزيارة أسرهم . لزيارة من بقوا هناك ، لست أدرى ... لماذا تسأل ذلك ؟

- لماذا لانذهب نحن أيضاً ؟

يأتى صوت الموتورات من جهة الحقول ، فينظر الفتى من الفراغ المفتوح . بالقرب من المحطة هناك أضواء تسير وتفتح طريقا لها وسط الضباب الذى ينقشع .

- يا أمى ، ألا تسمعين ؟

- بلى . إنها سيارات

- هل هى آتية من أجلنا

- هذا محتمل ...

- هل سنذهب الى مدينة سيجوبيا ؟

- إلى حيث يذهبون بنا يابنى

- إسمعى يا أمى . إنها شاحنات

- إلزم فراشك وإلا سوف تتعرض لنزلة برد

يعود الفنى إلى الفراش ، يمضى رتل السيارات مقترباً ، لاب أنه الآن يصبر مفترق الطريق بجوار مخزن القاطرات .

- لماذا أبى ليس هنا ؟

- لم يتمكن من المجيء

- لكن الآخرين يأتون

- من هم الآخرون ؟

- آباء أنطونيو وخوليو ومانولو .

- والدك يعمل كثيراً . عليه إلتزامات كثيرة .

- لكنه لن يأتي الآن . لايمكن أن يأتي . لايريد أن يرانا .

- لاتقل هذا

- لماذا ؟

- لأنه والدك

- الآباء الآخرون يأتون السبت ويرحلون يوم الأثنين ، كل أيام السبت ...

- لديه إلتزامات كثيرة .

- حتى أيام الآحاد ؟

- حتى أيام الأحاد .

- غير حقيقي

- إسكت

مع الهواء البارد المحمل برائحة اللاذن المحترقة يأتى بعضاً من الأوامر الصادرة ، وصوت آمر طويل يختلط بصوت موتورات السيارات.

- يا أمى - ينادى الطفل بصوت أكثر ثباتاً - جاء أناس كثيرون.

- إلى المحطة ؟

- فى السيارات . إنهم جنود ... هل سنذهب إلى مدريد الآن ؟

لاتجيب الام .

- هل سنذهب إلى مدريد ؟ متى ؟

- خلال بضعة أيام . عندما ينتهى هذا

- وإذا لم ينته ؟

إشتد إقتراب طابور السيارات حتى أن ضجيجه يمحو الكلمات عندما يمرّ بجوار النافذة .

وأضواء السيارات الضعيفة تنير مسافة بسيطة أمام العجلات التى تبدو وكأنها تطاردها بأناة ، وتغوص فى أول مداخل الجبل . تأخرت سيارة واحدة . توقفت . ورغم أنها سيارات مختلفة عن السيارات التى تمر أياها أخرى فأن الفتى يتعرف عليها .

- يأمى إنهم هنا ، لقد جاءوا للبحث عنا . إلى أين نحن ذاهبون اليوم ؟

نزل رجلان من السيارة وإتجها نحو المنزل

- يا أمى ، هل أنت نائمة ؟

- لا ، إذهب وإرتد ملابسك وإيقظ أخاك .

- لماذا تبكين ؟

- لا أبكى

- نعم إنك تبكين يبدو هذا عليك عندما تتكلمين

- هيا لترتدى ملابسك

- لاتبك يا أمى لاتبك

AND MARIA MATUTE

انا ماريا ماتوتى

ولدت فى مدينة برشلونة فى ١٩٢٦/٧/١٥ . درست الرسم والموسيقى . نشرت أولى قصصها القصيرة فى المجلة الأسبوعية Destine وبعد نشر أولى رواياتها برزت ككاتبة لها باعها . من بين القصص التى نشرت لها : حفل فى الشمال الغربى (١٩٥٣) المسرح الصغير (١٩٥٤) فى هذه الأرض (١٩٥٥) الثرثناء الذين ماتوا (١٩٥٨) الجنود يبكون ليلاً (١٩٦٤) الفخ (١٩٦٩) . ومن بين مجموعاتها القصصية الأطفال البلهاء (١٩٥٦) الزمن (١٩٥٧) التائب وحكيات أخرى (١٩٦١) . بعض الفتية (١٩٦٨) . حصلت على عدد من الجوائز الأدبية الهامة وترجمت بعض أعمالها إلى كل من الفرنسية والسويدية والأيطالية والزويجية والدانماركية .

الغصن الجاف *

لم تكن قد أتمت ست سنوات بعد ، ولم يأخذوها معهم إلى الحقل ، فقد صادف ذلك موسم الحصاد الذى يتسم بالحرارة الشديدة الحارقة. ولم يكن هناك مفر من تركها فى المنزل وحدها . أغلقوا عليها الباب بالمفتاح وقالوا لها :

- كونى طيبة ولاتحدثى جلبة . وإذا ماحدث لك شيئاً فعليك أن تنادى السيدة كليمنتينا من النافذة .

كانت ترد بنعم إيماءاً برأسها . لكن لم يحدث لها شىء أبداً . تقضى اليوم جالسة على حافة النافذة وهى تلعب مع "بيبا" .

أما السيدة كليمنتينا فكانت تراها من حديقة منزلها إذ أن المنزلين متجاوران . ورغم هذا فإن منزل السيدة كليمنتينا كان أكبر بكثير ، كما إحتوت حديقة منزلها على شجرة كمثرى وشجرتى برقوق . أما على الجانب الآخر من السور كانت هناك النافذة التى تجلس فيها الطفلة بصفة مستديمة . وأحياناً ماترفع السيدة كليمنتينا عينيها عما فى يدها من ثيات تخبطها وتنظر إليها .

- ماذا تفعلين ياطفلتى ؟

---

* المصدر : Siete marraderes de hoy

كانت الطفلة ذات وجه نحيف ، شاحبة اللون ، تحيط ضفيرتان نحيلتان بوجهها، شعرها أسود مطفأ .

- إنى ألعب مع "بيبا" . هكذا كانت تجيب .

تواصل السيدة كليمنتينا أعمال الحياكة ولاتعود للتفكير فى أمر الطفلة . لكنها رويداً رويداً أخذت تعطى أذناً صاغية لهذا الحوار الذى يصلها من أعلى ، من بين أغصان شجرة الكمثرى . إذ كانت الطفلة الصغيرة إبنة أسرة السيد / ميديابيا تقضى نهارها وهى تتحدث على مايبدو ، مع أحد .

- مع من تتحدثين ؟

- مع "بيبا"

أخذ الفضول يملأ السيدة كليمنتينا مع مرور الأيام. كان فضولاً خفيفاً لطيفاً إتجه نحو الطفلة و"بيبا" . السيدة كليمنتينا متزوجة بالسيدة / ليونيثو الطبيب . وهو رجل عبوس يعشق النبيذ ويقضى يومه فى توجيه الشتائم إلى القرية وأهلها . لم ينجبا أطفالاً ، تعودت السيدة كليمنتينا على الوحدة . فى البداية لم تكن تفكر كثيراً فى هذه المخلوقة التى تعيش فى وحدة مثلها جالسة على حافة النافذة . لكنها تنظر إليها من حين لآخر إشفاقاً بها لتتأكد أنه لم يحدث لها مكروه ، إذ طلبت منها ذلك السيدة زوجة / ميديابيا .

- ياسيدة كليمنتينا حيث أنك تقومين بالحياكة فى حديقة المنزل مساء فهل يمكن أن تلقى بنظرة على الطفلة بين الحين والآخر؟ فأنت تعرفين ياسيدتى أنها صغيرة ولايمكن لنا أن نأخذها معنا إلى الحقل...

- نعم ياإمرأة ، فهذا لايكلفنى شيئاً . إذهبى ولاتقلقى

شيئاً فشيئاً دخلت الطفلة وحوارها غير المسموع بوضوح إلى صدر السيدة كليمنتينا .

- عندما ينتهى الجيران من أعمال الحصاد وتعود الطفلة إلى اللعب فى الشارع فأننى سأفتقدها - كانت السيدة تقول هذا لنفسها .

وأخيراً عرفت من هى " بيبا"

- إنها العروسة . شرحت لها الطفلة .

- أرنيها ...

فرفعت الطفلة بيدها المتسخة شيئاً لم تتمكن السيدة كليمنينا من رؤيته بوضوح .

- لم أرها يا إبنتى . اقذفيها إلى ...

ترددت الطفلة

- لكن هل ستعيديها إلى بعد ذلك ؟

- بالطبع ...

ألقت الطفلة بـ "بيبا" للسيدة كليمنتينا . عندما تلقفتها بيدها إستغرقت فى التفكير ، إذ كانت "بيبا" مجرد غصن جاف ملفوف فى قطعة من القماش مشدودة عليه بخيط . قلبتها بين أصابعها ونظرت بشيء من الحزن نحو النافذة . كانت الطفلة آنذاك تراقبها بعينين متعجلتين وتمد ذراعيها .

- أما تردينها إلى ياسيدة كليمنتينا ؟

نهضت السيدة كليمنتينا من على الكرسى وقذفت لها "بيبا" من جديد فى إتجاه النافذة، فمرقت "بيبا" من فوق رأس الطفلة ودخلت فى ظلمة الحجرة . إختفت رأس الطفلة من النافذة .

وبعد هنيهة عادت للظهور من جديد وقد إستغرقت فى لعبها .

منذ ذلك الوقت والسيدة كليمنتينا تصغى للطفلة التى كانت تتحدث مع "بيبا" بلا ملل .

- لاتخافى يا "بيبا" ، كونى هادئة ، "ياسلام عليك وعلى نظراتك" إلى ! سوف أمسك بعصا غليظة وأحطم رأس الذئب . لاتخافى يا"بيبا"... إجلسى وإهدئى سوف أحكى لك حكاية : الذئب يختبيء الآن فى الجبل ...

تتحدث الطفلة مع "بيبا" عن الذئب ، وعن الشحاذ الذى يملأ جواله بالقطط الميتة ، وعن فرن الخبز ، وعن الطعام . وعندما يحين وقت

الغداء تأخذ الطفلة الطبق الذى تركته لها والدتها فوق رماد النار، وتذهب به إلى النافذة ، وببطء تتناول طعامها بملعقتها الخشبية، وهى تضع "بيبا" على فخذيها وتشركها فى طعامها .

- إفتحى فمك يا "بيبا" ، يالك من غبية ...

تسمعها السيدة كليمنتينا وهى صامتة : تنصت إليها وتشرب كل كلمة تقولها الطفلة مثلما تنصت إلى صوت الهواء بين الحشائش والأغصان وإلى جلبة العصافير وصوت الساقية .

وذات يوم لم تظهر الطفلة فى النافذة . فسألت السيدة كليمنتينا زوجة السيد/ ميديابيا :

- أين الصغيرة ؟

- آه ، إنها مريضة ياسيدتى ، ويقول السيد / ليونيثيو إنها مصابة بحمى مالطة .

- أنا لم أدر بشىء ...

هذا أمر طبيعى فكيف يمكن لها أن تعرف شيئاً وزوجها لايحكى لها أبداً أى شىء عن الأحداث التى تقع فى القرية .

- نعم - وإستمرت السيدة / ميديابيا تشرح - من الممكن أن أكون قد تركت اللبن يوماً بدون أن أغليه ... أليس كذلك ياسيدتى؟

فالواحدة منا مشاغلها كثيرة ! وأنت ترين الحال فعلى أن أستغنى عن مساعدة إبنى باسكوالين فى الحقل حتى تتماثل الصغيرة للشفاء . يبلغ هذا الصبى إثنا عشر عاماً ، ويظل أثناء النهار فى المنزل لرعاية الطفلة. لكنه فى الحقيقة يخرج إلى الشارع ، أو يذهب لسرقة بعض ثمار الفاكهة من الحدائق المجاورة ، فإما إلى حديقة القس أو إلى حديقة العمدة . وأحياناً ماكانت السيدة كليمنتبنا تسمع صوت الطفلة وهى تنادى. وذات يوم قررت أن تذهب لتعودها رغم معرفتها أن زوجها قد ينهرها على ذلك.

كان المنزل ضيقاً ، كريه الرائحة ، قليل الضوء ، به سلم بجوار حظيرة المواشى ، عليه يرقد الدجاج . صعدت المرأة درجات السلم المتآكلة بحرص، كانت تصر تحت وطأة قدميها . شعرت الطفلة بوجودها ذلك لأنها صاحت منادية .

- ياباسكوالين ، يابا سكوالين !

دخلت المرأة بعد ذلك حجرة صغيرة جداً لايكاد يدخلها الضوء إلا من خلال فتحة صغيرة مستطيلة . خلف هذه الفتحة ترى حركة أعصان الشجر ذلك أن الضوء كانت تتخلله مسحة من اللون الآخضر، والرطوبة . إنه ضوء غريب ، مثل ضوء حلم فى الظلام . تسقط حزمة الضوء الخضراء على صدر السرير الحديدى الذى ترقد عليه الطفلة . عندما رأتها الطفلة فتحت - أكثر - أهدابها المتكسرة .

- أهلاً بك أيتها الصغيرة - قالت السيدة كليمنتينا - كيف حالك؟

أخذت الطفلة تبكى فى صمت وخفة ... مالت السيدة كليمنتينا وأخذت تتأمل وجهها المصفر بين الضفائر السوداء .

- أتعرفين أن باسكوالين شقى - قالت الطفلة - إنه غليظ الطبع، قولى له ياسيدتى أن يعيد إلى "بيبا" ، ذلك أننى أشعر بالملل بدون "بيبا" ...

ثم واصلت بكاءها . لم تكن السيدة كليمنتينا معتادة على الحديث مع الأطفال ، وكأن هناك شيئاً غريباً يمسك بحلقها وقلبها .

خرجت من هناك صامتة . بحثت عن باسكوالين ، فوجدته جالساً فى الشارع وهو يسند ظهره إلى سور المنزل . كان حافى القدمين ، ساقاه سمراوان ، عاريتان تلمعان فى الشمس كأنها مصنوعة من نحاس .

- يا باسكوالين - قالت السيدة كليمنتينا .

نظر إليها الصبى نظرة غير واثقة ، حدقتاه رماديتان، متجاورتان بشدة ، شعره غزير وطويل ، يغطى أذنيه كما لو كان شعر فتاة .

- ياباسكوالينى ، ماذا فعلت بعروسة أختك ؟ أعدها إليها

تلفظ الصبى بأحدى السباب ثم نهض

- يا"سلام" ! أتقولين العروسة ! لقد وقعنا فى مشكلة !

إستدار نصف دورة ثم توجه إلى المنزل وهو يهمهم .

عادت السدة كليمنتينا لتزور الطفلة فى اليوم التالى ... وعندما رأتها الطفلة فكأنها رأت شريكاً ضالعاً فى مشكلة ، إذ حدثتها عن "بيبا" .

- إطلبى منه أن يعطينى "بيبا" ... أن يعطينى إياها ...

يرتفع صدر الطفلة من البكاء وتسيل الدموع على وجهها متجهة ببطء نحو البطانية .

- سوف أشترى لك عروسة . لاتبكى

قالت السيدة كليمنتينا لزوجها فى المساء :

- لابد أن أسافر إلى بلدة " فوين مايور" لأشترى بعض الحاجيات.

- سافرى - أجابها الطبيب ورأسه مختفية وراء الصحيفة .

فى السادسة من صباح اليوم التالى أخذت السيدة كليمنتينا أتوبيس الخط ، ووصلت إلى فوين مايور فى الحادية عشرة . فى هذه المدينة كانت هناك محلات وسوق وبازار كبير إسمه " الأيديال . أخذت معها مبلغاً صغيراً ، كانت قد إدخرته ولفته فى منديل حريرى اشترته من "الأيديال" عروسة ذات شعر مجعد وعينين مدرورتين وثابتتين ، ذلك أنها

بدت لها جميلة جداً " سوف تسعد الصغيرة سعادة حقيقية" فكرت السيدة كليمنتينا . كلفتها اللعبة سعراً أعلى من السعر الذى تصورته ، لكنها مع هذا دفعت عن طيب خاطر .

حل المساء عندما عادت إلى القرية . صعدت السلم ، شعرت ببعض الخجل من نفسها ولاحظت أن قلبها ينبض بقوة . كانت زوجة السيد / ميديابيا فى المنزل تعد طعام العشاء ، وعندما رأتها رفعت كلا ذراعيها .

- أهو أنت ياسيدة كليمنتينا ! يغفر الله لى وأنا أقابلك فى هذا الوضع ! من كان يظن ...!

قطعت عليها تعجّبها .

- جئبت لأرى الصغيرة : أحضرت لها لعبة ...

أفسحت السيدة / ميديابيا لها الطريق لتدخل وقد إعتراها الصمت من الذهول .

- أه ياإبنتى المكروبة . أنظرى من جاءت لتراك .

رفعت الطفلة رأسها من على المخدة . كان يرقص فى الحجرة الوهج الأصفر لقنديل الزيت المعلق فى الحائط .

- أنظرى ماقد جئت لك به : أحضرت لك "بيبا" أخرى أكثر

جمالاً.

فتحت الصندوق الكرتونى فظهرت العروس الشقراء الغريبة .

إمتلأت عينا الطفلة بضوء جديد يكاد يضفى جمالاً على وجهها القبيح . وبدأت ترتسم على وجهها إبتسامة ، لكن إعترت الأبتسامة برودة مفاجئة بمجرد رؤية العروسة . تركت رأسها تسقط من جديد على المخدة وأخذت تبكى ببطء فى صمت كعادتها .

- ليست هى "بيبا" - قالت - ليست هى "بيبا"

وأخذت الأم فى الصياح

- أرأيت تلك الطفلة البلهاء ! أرأيت تلك التعسة ! ياالله منها ياسيدة كليمنتينا ! أرجو ألا تأخذى ماتقول مأخذ الجد فقد رزقنا بطفلة مثل هذه متخلفة عقلياً ....!

رمشت عيناً السيدة كليمنتينا (فالجميع فى القرية يعرفون أنها إمرأة خجولة ووحيدة ، وهم يشفقون عليها بعض الشىء) .

خرجت . وأخذت السيدة / ميديابيا العروسة بين يديها الغليظتين كأنها تحمل زهرة .

- آه ، يالها من شىء جميل ! هل شهدت هذه البلهاء ذلك ..

فى اليوم التالى أخذت السيدة كليمنتينا غصناً صغيراً وصاف من

الحديقة ولفته بقطعة قماش ثم صعدت لتعود الطفلة !

- جئت لك بصديقتك "بيبا"

فرفعت الطفلة رأسها بنفس حيوية اليوم السابق . لكن علا الحزن وجهها من جديد .

- إنها ليست "بيبيا" .

ويوماً بعد يوم تقوم السيدة كليمنتينا بصنع "بيبا" الواحدة تلو الأخرى ، لكن لاجدوى . ملأها حزن شديد . ووصل الأمر إلى أسماع السيد / ليونيثيو .

- إسمعى يا إمرأة : لا أريد معرفة شىء عن حماقات أخرى مثل هذه . فنحن فى سن لانقبل فيها أن نكون هدف القيل والقال فى القرية تعودى لزيارة هذه الطفلة : فأنها ستموت على أى الأحوال ....

- هل ستموت ؟

- بالطبع نعم . فليس هناك مناص ! وأهلها ليست لديهم أية إمكانيات ليفكروا فى شىء آخر ... وهذا سوف يكون أفضل شىء للجميع .

وبالفعل هذا ماحدث . إذ لم يكد يبدأ الخريف حتى ماتت الطفلة . وشعرت السيدة كليمنتينا بالألم الشديد فى داخلها . وتولد عندها شغف

حنون بـ "بيبا" وأمها الصغيرة .

عندما أخذ جليد الشتاء يذوب مع مطلع ربيع العام التالى ظهر الغصن الجاف صباح أحد الأيام، أثناء التقليب فى الأرض تحت شجرة البرقوق . ملفوف فى قطعة قماش أحرقها الجليد وأصبحت مهلهلة .

كما تحول اللون الأحمر للقماش إلى لون وردى باهت . فأخذتها السيدة كليمنتينا بين يديها وقلبتها بوقار . ونظرت إليها تحت أشعة الشمس الواهنة .

- حقاً - قيل - كم كانت الصغيرة على حق ! ياله من وجه جميل وحزين، وجه هذه العروسة .

RAFAEL SANCHEZ FERLOSIO

رفائيل سانشيث فيرلوسيو

ولد فى روما (ديسمبر ١٩٢٧) . حققت له روايته شهرة واسعة وهى رواية El Jarama وله مجموعة قصصية عنوانها "صناعات ومغامرات ألفانوى" .

أسنان ، بارود ، فبراير

طلقتان قطعتا السكون المسيطر على رقعة الأرض ، وعلى أصوات الرجل قفز رجال آخرون من مخابئهم وأقدموا مهرولين ، وهم يفتحون لأنفسهم مكانا وسط الحشائش والشجيرات التى لاتكاد رؤسهم تطل منها . معهم عصيّهم ، بينما هو يراهم قادمون وقد فرد ساقيه ووقف بلا حراك وبندقيته فى يده بعرض صدره أخذ يتأملهم وهو يبتسم بشدة ، بينما هم يتوافدون الواحد تلو الآخر وأخذوا يكوّنون حلقة حول أنثى الذئب وهى تحتضر ويلطخ دمها الحصى المتناثر فى منطقة صغيرة خلت من الشجيرات وحيث لازالت بعض الحشائش التى تنمو فى شهر فبراير، لازالت مخضبة بندى الصباح . كان العمدة آخر من وصل ، إذ جاء وهو يعرج ويفتح لنفسه طريقاً بمؤخرة النبدقية ، بينما يتطلع إليه الجميع الذين أفسحوا له مكاناً فى الحلقة المضروبة والتزموا الصمت كما لو كانوا ينتظرون ماسوف يقوله . نظر برهة إلى أنثى الذئب وبعد ذلك رفع رأسه نحو وجه الرجل الذى قتلها وقال له :

- بوركت يارجل ، الحمد لله - كان يربت على ذراعه بكفه - هيا ، لقد كنت محظوظاً فى ضربها وإستطعت أن تجعل جهد الجميع نافعاً . فهذا يعود نفعه على القرية ، والواجب على الجميع أن يشكروك . تهنئتى .

- هذا ما أظنه أنا أيضاً - قال آخر - لقد ضربنا ضربة طيبة هذا الصباح . وأعتقد أن علينا أن نهنىء أنفسنا .

- حسن يارجل حسن - واصل العمدة - هذا هو المكان الذى يكتسب فيه الصيادون خبرتهم . كم كان يطيب لك هذا ، أليس كذلك ؟

- كان يحرك رأسه وهو يبتسم - فأنا على مدى حياتى وحتى الآن لم أحظ بأن أجد أمامى حيواناً مثل هذا . أما الثعالب فقد قتلت منها مالايقل عن أربعة أوخمسة وعندى فى المنزل جلد إثنين منهم إذا ما أردت أن تراهما . لكن بالنسبة للذئاب ، لم تصادفنى قط . فأنا فى هذا بِكْر حتى الآن . ياله من إحساس طيب مثل هذا إذ يدخل على قلبك السرور ، أليس كذلك ؟، عندما ترى أنثى الذئب وهى تتقلب ! أنظر كيف تضحك! أنت لن تنام هذه الليلة وسوف تتذكر الوقائع وتتسلى بها معه !

- لا لن ينام ! ولن تكون له شهية للعظام ! - كان يضحك رجل قصير - نفس الشىء كما لو كان عاشقاً . نفس الأمر .

- حسن أقول إنك تستحق كأساً ، ليس أقل من ذلك .

- هيا إلى تناول كأس - قالها العمدة وهو يلم ساقه المصابة بيديه وينزل بجسده مقترباً من الأرض وهو يبذل جهداً كبيراً حتى جلس إلى جوار شجرة بلوط . هيا لنشرب كأساً .. إقترب منه أحدهم وقدم له زجاجة خمر بطعم الينسون كان بها نبيذاً أحمر اللون :

- هاهو ياسيدى العمدة .

- لا ليس هكذا . أنا بعدكم ، أول من يبدأ هو من قتل أنثى الذئب ، فهو الذى توج هذه العملية . وبالتالى فهو أول من يشرب .

- حقاً ، فهو يستحقها عن جدارة .

- إنه الحظ ليس إلا - قالها الرجل الذى قتل أنثى الذئب وأخذ الزجاجة - مكمن الخطر هو أن يدخل ذلك الحيوان منزلى ويهاجمنى، وأنا لم أفعل إلا مايجب على ، وإذا مادخله منزل أحد كنت سأتصرف تماماً مثلما فعلت .

لمحوا من بعيد بعض الرجال الذين قاموا بالأعداد لعملية الصيد ، بعضهم كان يمتطى صهوة الخيل ، وإقترب أيضاً أحد الرعاه وهو يهرول ويتقدم بخطى واسعة وقفزات بين الشجيرات ، وهو يحرك عصاه فى هذا الجانب وذاك لدرجة أنه كان يسمع صوت الحشائش التى يباعدها ، أخذ يسأل بصوت عال إذا ماسقط الذئب أو ماذا حدث بينما يفسح الآخرون له الطريق فى شبه حلقة حتى يصل إلى حيث أنثى الذئب التى مازالت تحتضر تحت النظرات الباسمة للراعى :

- آه ، إنى أعرفِك ! - أخذ يقول تلك العبارة وهو يحرك رأسه ويتوعد بعصاه - ياسّلام" ! إنى أعرفكِ ياصديقتى ! لم أكن أراك ضخمة، لكنك هو أنت وليس غيرك حتى لو كنت وسط مائة آخريات ! هل حانت

ساعتك ؟ أليس كذلك ؟ إننى كنت أقول لك ذلك ! كان سلوكك سيئاً للغاية وبالتالى لم تموتى فى هدوء . أظننت أنك ستموتين من الشيخوخة؟ أكنت ستفسحين لنفسك مكاناً مدى الحياة ؟ ...

كانت تهتز أضلع أنثى الذئب وهى تحتضر وينزف الدم من فمها فتظهر أنيابها التى تعض بها الهواء عضات تهوى بين الأرض والحشائش كأنها تريد أن تروى الحشائش التى نبتت . أخذ المصارع يضع طلقات أخرى فى بندقيته وطلب من الآخرين أن يبتعدوا لكن الراعى أمسك بذراعه :

- إهدأ - قال له - لاتهدر طلقة : إترك الأمر لى ، فإنى سأتولى أمر هذه وسوف ترون أيها السادة . لاتهدر ثمن الطلقة وهو ٢ بيزته .

- إن الثمن ٢٫٢٥ - قال آخر مصححاً - فسعر الطلقة الآن أصبح ٢٫٢٥ بيزته وهى طلقة البارود بدون دخان .

لم يسمعه الراعى ، ذلك أنه عاد صوب قطيعه الصغير الذى كان يرتعى فى عمق الوادى وأخذ يطلق صفارات قوية وطويلة والتى كان ينتشر صداها فى كافة الأنحاء وأخذ يكرر بصوت عال أسماء كلابه . هما إثنان لونهما أبيض ومن النوع الضخم الجسم (مساتين) . ظهرا فى النهاية بين النعاج وجاءا بتؤدة وتكاسل وهما يحركان ذيليهما ، مستجيبين ببطء نداءات صاحبهما الذى ظل يحفزهما بصياحه المتزايد

حتى أنهما وهما على بعد مائتى خطوة تحسسا بأنفيهما رائحة أنثى الذئب وفجأة تغيرت حركتهما المستأنسة وتغيرت ملامحهما المسالمة كما لو كانت الحرب قد أعلنت فجأة وأخذا يجريان وسط الشجيرات وهما ينبحان ويرى لونهما الأبيض وهما يقفزان فوق النباتات . ثم ضربا بأنيابهما فى رقبة أنثى الذئب التى إشتدت جروحها . وأخذا يهزانها ويتجاذبانها بين فكيهما وهما يزمجران زمجرة مكتومة بينما يحمسهم الراعى بصوته المنتصر وهو وسط الحلقة بينما الرجال ينظرون فى صمت. بعد ذلك لم يستطع الراعى أن يخلص الفريسة من كلبيه بعد أن تركهما يعضان لحمها لمدة دقيقتين . وكلما حاول أن يباعدهم بأن يضع عصاه بين فكى كل منهما كانا يزمجران ضده ويعودان للإمساك برقبة أنثى الذئب التى أصبحت مليئة بآثار الأنياب عندما تركها الكلاب ولازالت تلمح على جسدها آثار النزع الأخير . إقترب منها الراعى وداس على فكيها بنعله وضغط عليها فى الأرض ثم رفع نبوته فى الهواء وحطم جمجمة أنثى الذئب بضربة واحدة حيث سمع صوت عظامها وهى تتكسر وتنغرس فى المخ . بعد ذلك جلس الراعى على الأرض بجوار أنثى الذئب الميتة وأخذ يتحسس بطنها بيده وجذبها من أحد حلمات ضرعها وضغط عليه بين أصابعه حتى إستطاع أن يستخرج منه قطرات لبن والتى فقزت بين فخذى أنثى الذئب وجرت فوق شعر بطنها وشعر ظهرها ثم سقطت على الأرض بين حشائش فبراير "كانت تربى صغارها" قالها الراعى وهو ينهض

ويوجه نظراته نحو الآخرين .

في هذه الأثناء وصل الذين شاركوا فى الأيقاع بأنثي الذئب وإستعرضوا وضعها وهم يشعرون بسعادة لما إنتهى إليه الجهد المبذول . بعد ذلك أرادوا أن يحملوها على أحد الخيول لكن الحصان عبر عن نفوره بركلات برجليه الخلفيتين وتراجع إلى الوراء حتى لايلقوا بأنثى الذئب على ظهره ، فما كان منهم إلا أن ربطوها بحبل من رقبتها وحملها رجلان : أمسك أحدهم بذيلها والآخر بالحبل الذى ربطوه بها وبهذا لايتلطخون بدمها . كانت أنثى الذئب ضخمة الجسم وتلامس أرجلها الأرض وهم يحملونها . قدم لمشاهدتها إثنان من أحد المزارع وأحد البغالين ومايقرب من نصف دستة أطفال عندما خرجوا بها من هذه الرقعة فى الوقت الذى أخذ فيه باقى الصيادين ينزلون من المنحدر . أما الفتية الصغار فقد بالغوا فى إزعاج جسدها إذ أخذوا يلمسون جسدها المتأثر بالضربات وأخذ بعضهم يجذبها من أرجلها كما لو كانوا يشاركون الرجال فى حملها . أخذ أحدهم يتحسس اللحم البارز فى رقبتها بيده وأزاح يده عنها وقد تلطخت جميعها بالدم ، وأخذ يخيف بها البنات الصغيرات ، إذ كان يحاول أن يلطخ وجوهن دون أن يشعرن . كان العمدة يسير فى نهاية الركب وهو يعرج ، يرافق إثنان من أعضاء المجلس القروى كان أحدهما هو الذى قتل أنثى الذئب ، أما الراعى فقد أخذ يلح عليهم أن يذهبوا معه إلى (الكوخ) "الخص" وأن يقضوا فترة الغداء هناك

، إذ يود أن يذبح لهم عنزتين ويجهزهما فى الحال وليتفضل الجميع بتناول الغداء كما لو كان الأمر حفلة صغيرة فهم قد إنتهوا من مهمتهم بسرعة فلم تكد الساعة تبلغ الحادية عشرة ، وهناك متسع من الوقت ليستقلوا سيارة النقل ويعودوا إلى القرية فى وقت مناسب ، فهو يشعر أنه يجب أن يكون أول من يتوجه بالشكر ، وأن ذبح إثنين من ذكور الماعز ليس شيئاً بالمقارنة بالخطر الذى أزاحوه عن قطيعه وذلك يقتل أنثى الذئب الشديدة النهمة ، والشريرة والتى تعبث فى كل مكان ، كما أن دعوته لامناص منها فهو قد أرسل إلى من فى الكوخ بتجهيز كل شىء ، وها نحن نسمع صوت ذكرى الماعز وهما يذبحان "إنصت ... ألا تسمع صوتهما ؟ - يقول له - ألا تشعر كيف تعرب عن خوفها ؟" إذ أنهم يذبحونهم الآن، أمامنا فى الحوش .

وضع جسد أنثى الذئب بجوار الكوخ وخرجت النساء لترينها ، لكنهن لم يضحكن ولم يستمتعن ، فقط توقفن لالقاء نظرة علهيا ، نصف إلفتاتة ، مع الأحساس بأنهن يعدن مسرعات كمن يرى شيئاً لاقيمة له ولايثير فضولاً أو إهتماماً اللهم إلا أنه تم إقتلاعه . فقد لمعت عيونهن ببريق غامض كمن يعبر عن سعادته بأن أمامه ضحية إنتقام مرض . بينما جلس الأطفال جلسة القرفصاء وحكوا أيديهم على جلدها وأخذوا يمسكون بمخالبها ويثنون اطرافها ويفردونها ، ويلمسون عينيها، وبواسطة عصا يرفعون شفتها السفلى الدامية حتى يتمكنوا من رؤية

الأنياب التى كانت لها . وأخيراً أخذ الرجال يتأملونها دون أن يجلسوا جلسة الاطفال ، أو حتى الأقتراب كثيراً منها ، وهن يبتسمون كمن يرى شيئاً ربحه، أو برهان ودليل عمل مقدام ، أو سمة من سمات السيطرة، أو ، فى كلمة واحدة ، يرى جائزة . كان الراعى قد أخرج إناءين من النبيذ بينما جلس الجميع فى حلقة واسعة أمام الكوخ فى الوقت الذى قامت فيه النسوة بتقطيع لحم ذكرى الماعز وأخذت تضعه فى الأوانى، وأخذ الأطفال يشيرون إلى الرجل الذى قتل أنثى الذئب والذى كان يجلس على يمين العمدة ، ثم اشاروا بعد ذلك إلى بندقيته بين كل الأسلحة الأخرى التى ترقد متراصة فى صف بجوار شجرة بلوط "أطلق عليها النار من تلك البندقية وقتلها" ، بعد ذلك أخذ أحد أعضاء المجلس القروى بعد أن شرب النبيذ يقول بصوت عال أن ليس هناك قرية أخرى غير قريتهم متخصصة فى صيد الذئاب وأن ليس هناك أى قرية فى الناحية تعرف مكافحة الذئب كما يجب ، وأن الذئب يجب محاربته فى أرضه ، وأن تتم محاربته بنفس وسائل مكره وحيلة ، وأنه يجب محاربة الذئاب وألا تترك فى راحة وهناءه أبداً، وإلا فأن قطعان الأغنام لن تزيد أبداً . وأن أهالى القرى المجاورة عندما يخرجون لاصطياد الذئاب فكأنهم يخرجون لسرقة دجاجة ، وهم بهذا لن يستطيعوا قتل ذئب فى حياتهم . فالصمت هو أول العناصر الضرورية للإيقاع بالذئب ، أما العنصر الثانى فهو عدم مهاجمته من الجهة التى يمكن أن يشتم الرائحة

بأقل القليل من لمال من أجل قتل ذئب ، وأن هؤلاء الناس يجب أن يحذوا حذو هذا الراعي فهو عندما يفعل هذا يعرف مايفعل وبهذا يعبر لنا عن أنه يعرف بعض الشيء عن ماهية قطعان الماشية ومايمثله الذئب من خطر . بينما يبتسم الراعى وهو ينصت للعمدةويؤمّن على كلامه بإيماءات برأسه ، بعد ذلك توجه الراعى بالشكر للعمدة قائلاً إن أنثى الذئب هذه ، التى يراقبها منذ أربعة أعوام ويعرفها بشكلها وآثار أقدامها التى تتركها ، إذ أن أثر مخلبها الأيمن هو أكبر بأصبعين تقريباً، وأنها كثيراً ماتحوم فى هذه الناحية وقد سببت له أضراراً بالغة ومتاعب جمة لدرجة أن الكلاب كانوا يخشونها حيث كانت تمرغهم سواء كان الطوق الحديدى الشائك فى رقبة الكلاب أم لا ، حدث فى المرات الثلاث أو الأربعة التى تعاركا فيها ، لكل هذا فهو يصفق لقرار البلدية بإسهامها فى هذا الموضوع وخاصة هذه النهاية المثمرة التى جعلت من رحلة اليوم رحلة مفيدة . وأنه لايستحق شكرهم فهو لم يفعل إلا الواجب بل وقعد فيما يستحقه هؤلاء ، وأنه من جانبه سوف يؤيد أى عمل فى المستقبل دوماً ، بالقليل بالطبع ، لكن سؤيد دوماً بكل مافى وسعه .

بهذه الطريقة وبتلك التصرفات كان هناك متسع من الوقت لطهى لحم ذكرى الماعز ، وسرعان ماظهرت خلف الكوخ وجوه النسوة الأربعة وقد سترها حجاب من البخار الصاعد من الأوانى التى أصابتها آثار الدخان، فى الوقت الذى نهض فيه الراعى وأخذ يعد المكان الملائم لوضع

الأوانى موزعة على الحلقة المعزوية بشكل تكون فيه كل آنية مخصص لستة أفراد أو سبعة ، وأخذ يذل جهده فى العناية بمعويه وبالطريقة التى يعتقد أنها هى المثلى لهم وأنهم لاينقصهم شىء ، وعندما رآهم يأكلون أخذ يبتسم ويقول إنه كم ستنقضى سنوات دون أن يرى كوخه هذا وقد طاف به الضيوف الكرام ، بينما هو فى هذه المجاهل يعنى بقطعية .

كانت هناك أربعة نساء فى الكوخ إحداهما عجوز والأخرى شابة أما الأخريان فكانتا متوسطتى العمر ، لايعرف الحضور من هى زوجته ، وهكذا فعندما إنتهو من طعامهم والدردشة بعد تناوله ، وأخذوا يستعدون للرحيل أرادوا أن يتركوا خمسين بيزتة على سبيل الهدية لأبناء الراعى ، ولايعرفون إلى أى من السيدات يسلمونها المبلغ ، ولم يجرأوا حتى بالسؤال . وحتى يمكن الخروج من المأزق بشكل لائق فأن العمدة قد توجه إلى الراعى وسأله عن عدد أبنائه، ومن هم من بين هؤلاء الأطفال فقال له إن له أربعة أبناء وأشار إليهم بالنبوت وهم ضمن مجموعة من الأطفال كانوا يلعبون تحت شجرة بلوط وكانت إشارته مثل إشارة من يريد أن ينتقى من القطيع بعض الخراف تمييزاً لها . وإبن أكبر هو الآن يرعى القطيع فى الجبل أما الرابع فقد دخل للبحث عنه فى الكوخ وخرج به بين ذراعيه وهو ملفوف برداء من الصوف وقدمه مبتسماً للعمدة وهو يقول "إنظر كيف أنه رضيع صغير" ، وأخذ يكشف الأغطية عنه قليلاً حتى يمكن أن يرى العمدة وجهه المختبىء والخالى من أى تعبير

منها ، وثالثها الجد - مثلها مثل كافة الأمور فى الحياة ، فأنعدام المثابرة لايؤدى الى أى مخرج ولن يخرج الأنسان بشىء إلا المتاعب ومضيعة الجهد . والذئب هو حيوان ماكر - كان يقول - ويستطيع السير حتى عشرة فراسخ فى ليلة واحدة ، ومن الضرورى القضاء عليه فهو حيوان يقتل من أجل القتل فهو يغتال مائة نعجة لكنه يأكل واحدة فقط ، وهذا يفعله لشره ، ولأنه يريد الأذى ليس أكثر ، هو فى هذا يشبه إنساناً ملأه الشح . وهكذا توقف عن الكلام فصفقوا له وضحك الجميع ليس فقط من الكلمات التى قالها بل ما آثار ضحكهم أن يقوم واحد من عالم الأنسان بالقاء الخطب والمواعظ، لكن العمدة نشعر بأن من واجبه أن يقول بضع كلمات ، عندئذ قال ببساطة أنه باسم الجميع يتوجه بالشكر للراعى لحفاوته وإهتمامه بهم، وهو بهذا إنما يعبر عن وعيه كرجل، وأنه معنى بكل مايخصه فقد إستطاع تقدير رغبة مجلس البلدية والفائدة التى تعم بالقيام بمهمة صيد الذئاب على نطاق المراعى . وأن هناك كثيرين من الجهلاء والأنانيين وغير الشكورين الذى لايريدون أن يسهموا بشىء ويتصورون أن عمليات صيد الذئاب إنما هى عملية ليست إلا من وحى خيال البلدية ، وأنها عمليات تنظم لتسلية أعضائها وقضاء يوم ممتع فى الحقول على حساب أهل الناحية ويتقولون أيضاً أن إصطياد ذئب لايؤخر من الأمر أو يقدمه فالذئاب تعد بالمئات ، ويرون أن يصطادوهم بالعشرات وهم بهذه الحجة يعفون أنفسهم من الأسهام ولو

بعينيه المغمضتين والمليئتين بالعماص ، لاتكاد تطرفان مثلها مثل جسمه الذى يغوص هناك فى فراشه كأنه شرنقة "عمره أربعة أشهر" كان الراعى يقول وهو يبتسم ، وعاد لتغطيته . علق العمدة بدوره " من يدرى أن هذا سيصبح رجلاً خلال عشرين عاماً ويقوم بأصطياد الذئاب !..." وفى الوقت الذى أخذ فيه الراعى يضع طفله من جديد فى الكوخ نهض الجميع وأخذوا يجمعون حاجياتهم إستعداد للتوجه إلى الطريق المرصوف لركوب سيارة النقل والعودة إلى القرية قبل مغيب الشمس ، قام البغال الذى أشير اليه بسلخ أنثى الذئب ودفن لحمها . وقام بفرد الجلد على غصنى بوص موضوعان على شكل صليب وأصبح كأنه طائرة ورقية، وبشكل يظل الجلد معه مفروداً ومشدوداً حتى يجف تماماً . الآن يراها الجميع ، وهم على الطريق ، معلقة فى أحد أغصان شجرة بلوط ، ليس بعيداً عن الكوخ حيث يحركها الهواء ببطء بين الحين والآخر .

JUAN GARCI HORTELANE

خوان جارثيا اورتيلانو

* ولد فى مدريد عام (١٩٢٨) . من بين مجموعاته القصصية "ناس من مدريد" (١٩٦٧) - Apologesy Milesias (١٩٧٥) الأعمال الكاملة (القصة القصيرة) (١٩٧٩) .

الحب الاخير

إنتهى الأمر بذهابه، والآن ، بعد أن ذهب - أخيراً - أريد أن أكون واثقة تماماً أنه لن يعود أبداً، فهل هذا يصلح الأمور كثيراً ؟ رغم أننى توليت بنفسى ألا ينسى حتى أى منديل من مناديله ، يبدو لى فى الوقت نفسه أنه لم يختف تماماً . وحتى إذا عادت الأمور إلى وضعها العادى ، فلن تكون الأوضاع كما كانت ، فالأوضاع الطبيعية قد تركها لنا وقد تأثرت ، وأصبحت موبوءة لدرجة فظيعة ، وأصبح المنزل مليئا ببذور الأحلام المزعجة وتواتينى رغبة فى نزع أسلاك التليفون وجرس الباب أو حتى مغادرة المنزل، والمدينة أيضاً حتى لايعود . هم يعرفون بطبيعة الحال ما أصبو إليه فى الخروج طائرة وأنا أنزل السلالم منتعلة الشبشب ، وفى شعرى الرولات، أو عريانة إذا ماجاء وأنا فى الحمام، وعلى إستعداد لعدم التنازل حتى ولو تورم وجهى من الكلمات ، أو هددنى بالطلاق ، أو حتى سجنونى فى دار لرعاية المسنات . ليس هذا هوى فى نفسى ، أو حتى رأيا . إنه الخوف الذى يباعد حتى بينى وبين أن أضع معطفاً على كتفى قبل أن أنطلق هاربة . يعرف ذلك بنيدتو ، وفوق ذلك يعرف أن هذه هى القطيعة النهائية بينى وبينه .

لكنه ذهب . فبعد الكنس والدعك والفرك والغسيل والتلميع ، وربما أقول لدرجة التكفير عن النفس ، فأننى سأترك شباك حجرته

مفتوحاً ليومين وليليتين . بنديتو كان يضحك منذ برهة ويرى كيف كنت مندفعة ، وأنا أتصبب عرقاً ، كالسوط يملؤنى الغيظ، ثم بعد ذلك كرر هو ، وقد أحس أيضاً بانفراجة ، بأنه لن يعود أبداً أبداً إلى هنا كضيف. عندئذ صدرت منى الفرقعة .

شوف ، إسمع ، إسمعنى جيداً - قلتها بصوت عال وجذبت ذراع المكنسة الكهربائية وتوجهت نحو إبتسامته - ضع ما أقول فى رأسك جيداً، عليك الآن أن تشترى لى ماكينة الخياطة ،"مَطْبَقِيّة"جديدة ، وطقم حلل كامل ، وثلاثة فساتين ، وعليك أن تذهب بى إلى البلاج لأقضى أسبوعين ، وأن تذهب بى إلى المسرح كل ليلة ، وأن تضع فى رأسك جيداً كل ما أقول ، ولاتدفع لى أى نقود مقابل كل ماعانيت . لقد ظللت طوال عشرة أعوام تأتى لى بكل ماليس له قيمة وتجعل من"الحبة قبة" حلت على اللعنة !

- إهدئى - قال لى وهو هادىء لكن دون ضحك ، وقبل أن يمضى، كرر بأن لن يحدث شيئاً - لاتجهزى عشاءاً ، لأنى سآخذك هذه الليلة لنتعشى في محل جيد وبعد ذلك نبحث عن فيلم نشاهده .

- وفر على نفسك السينما ومحل الطعام ! فما أريده هو أن أعود لأكون كائناً بشرياً . قبلنى من جبهتى وشفتاه ترتعشان ذلك أنه مما لاشك فيه يشعر بالخجل سواء تصنّع الهدوء أم لا ، أخذت أشعره بالخجل فى الأيام الأخيرة كلما زاد خوفى ، وأنا أدرك أن من غير الممكن أن

يتحملنى فى النهاية ، وجرؤ على التفكير أن زوجته تستحق شيئاً من الأعتبار . هذا الصباح عندما ظهرت فى حجرة المعيشة ورأيت الشنطة وجراب الكمان وقد أغلقا ووضعا بجوار الشرفة، وفي اللحظة المناسبة التى خمنت فيها أنه ذاهب وداخلتنى نوبة غبطة ، فإن أول ماعن لى هو أن بنديتو قد إنتقلت إليه فى النهاية عدوى الضيق منى، فتحدث مع من هم أعلى منه مركزاً وأن الرؤساء قرروا إبعاده عن المنزل . ولا . لا . لا ، إنه ذهب لأى سبب من الأسباب لكنه على أى الأحوال قرر هذه الخطوة بمحض إرادته ، فى الوقت الذى أخذت أهدىء من روعى فيه ، إزددت إقتناعاً بأن بنديتو لم يجرؤ على الكلام مع أحد وأنه لم يكن ليقبل - إذا لم يناسبه ذلك - أن يأمره من هم أعلى منه سلطة بالرحيل . فهو لم يضع فى إعتباره أبداً أحداً أعلى منه .....من كان سيحترمه كرئيس أعلى منه وهو معروف عنه أن كافة الهيئة تخشاه ؟ وعندما يرى الموضوع من زاوية أخرى ، فمن كان سيؤثر - بإستثناء بنديتو - فى شعور إمرأة بالأحباط وهى إمرأة ليست أختاً بل زوجة أخ عجوز تعس ؟ إمرأة لاقيمة لها - ربما فكروا فى ذلك - فلا مناص لك ، فأخدميه ولاتزمجرى كثيراً .

لم أشعر أبداً بسعادة ، ولاحتى فى البداية وأنا أجهل كل شىء . الشقة تتسع لشخص آخر - هو ذلك الأبن الذى لم نرزقه - والعمل لايرعبنى ، كما أتضح أن الزوج منظم يأكل قليلاً وليس مدللاً . لكننى

شعرت بعدم الراحة منذ أن عبر بأول الشارع . وعدم الراحة هذه لم تكن أقل بما هى مع المئات - أجانب أو من أهل البلد - الذين أتى بهم بنديتو طوال عشرين سنة من زواجنا ، لكن نعم شعرت بالضيق ذلك أننى لا أبلغ من العمر الآن عشرون عاماً ولاتهمنى فى شيء هذه الهيئة . شكلتنى الحياة لأكون زوجة رجل مثل بنديتو ، ولم أطلب من الدنيا أكثر من هذا سوى (شيء مضاد يجب أن يكون كما يقولون) أن يكون بندنيو أخاً وأن يموت كذلك رغم أنه لايوجد آخر يمكن أن يكون بهذه الصفة ومهما أظهر الواقع من خطئه ، والفشل ورائحة التراب والزناخة التى تنبعث من الرجال جميعاً . ما عداه هو

دخل من الباب وعبر الأستقبال وتوقف فى غرف المعيشة بجوار الشرفة وظل برهة وهو يحمل الشنطة فى يد والكمان فى اليد الأخرى ، فى الضوء كان شكله مختلفاً رغم أنه قد قصر شعره مثل الأخوة القدامى، ورغم السنوات الطويلة فى العمل إلا أنه لايعمل منذ بضعة أعوام .

- ما إسمك ؟ - سألنى

- إستيفانيا - أجاب بنديتو عنى .

- سأكون بالخارج وقتاً قصيراً ، وبالتالى سأكون هنا أطوف بالحجرات معظم ساعات النهار .

- هذا لايعنيها فى شىء - سارع بنديتو بالرد كأن كلمات الآخر ونبرة صوته ينبئان عن شىء من الأعتذار أو رغبة فى عدم المضايقة أو مجرد بادرة على حسن التربية .

لم يخرج للشارع طوال أول أسبوعين ، كان يقرأ الصحف ويرسم مبان ذات واجهات منمقة ثم يقوم بعد ذلك بتمزيقها إلى قطع متساوية، ويطل من الشرفة . أثناء العشاء ومابعده بقليل كان يدردش مع بنديتو ، لايتوقف عن الدردشة بإيقاع سريع لدرجة أنه لم يكن ينتقى الألفاظ وبالتالى كان يتحدث بلهجة أهل إقليمه دون يدرك ذلك أحد ولاحتى بنديتو ولو بالتعبير عن دهشته التى تتركها كلمات الآخر فى نفسه . إنها ذكريات الحرب وأسبانيا والهروب والمواجهات والمتفجرات والليل والمكائد . لم أكن أسمعهم - أسمعه - وعندما أنتهى من تنظيف الأوانى أتوجه إلى السرير وأظل أنتظر فى غرفة النوم المظلمة أنتهاء رنين صوته ، وأن يأتى بنديتو متعباً يغالبه النعاس ، وقد شعر بالغرابة لحكايات الأخ . لم يكن يريد سؤاله لكنها كانت أياماً كثيرة ، ولم يطل المقام بمن سبقوه مثله .

- هو فى هذه الآونة ليس مقيماً بصفة مؤقتة . أتفهمين ؟

- لا ، لست أفهم ، ويمكن أن تكون أنت الآخر غير فاهم ، لكن حاول أن تعرف متى سيرحل . أريد هذا فقط.

- ليس بينا لف ودوران - قال هذه العبارة وإستدار فى السرير .

ذات صباح بعد إنقضاء هذين الأسبوعين أو أسبوعين ونصف وعندما دخلت أحمل صينية الأفطار وجدته مرتدياً معطف المطر . وقال لى إنه لن يفطر وربما أفطر بعد ذلك عندما يعود . وبعد مرور ساعة تقريباً عاد وتناول إفطاره عندئذ بشهية وهو لايكف عن الكلام . لم يذكر لى أبداً إسم التنظيم ربما لأنهم حذروه أو ربما لأنى إمرأة . وفى الحقيقة لم يتكلم معى إلا أقل القليل لكنه هذا الصباح لم يكف عن الثرثرة عن الشوارع والشمس والناس كما لو كنت أنا محبوسة فى الدير ومهمته هو أن يكتشف لى العالم . لم أعر إنتباهاً لأكثر من ذلك .

وعلى سبيل المزاجية - يمكن القول - وبين الحين والآخر يؤخر موعد الأفطار ويخرج إلى الشارع وهو يرتدى معطف المطر - غير جيد الأحكام على صدره - يعود بعد ساعتين ويتناول إفطاره. أما أنا فأحياناً أشعر بأنه فى حاجة للرفقة والحديث لكنى لا ألقى له بالاً . وفى بعض الأيام بدلاً من أن يرسم الواجهات الغريبة ، يرسم وجوها ، وجوهاً تصيح، والتى كان يقوم بتمزيقها رويداً رويداً بنوع من الصبر ويملأ طفاية السجائر الكبيرة بقصاصات الورق . كان أول ما أثار شكوكى هو ذلك الزرار فى معطفه .

كما أنى لا أعتقد أنه كان يتدارى منى . كان يتحفظ بشكل طبيعى ، بعادة الصمت ، الصمت المهنى بالطبع ، لكن لم يهمه فى شىء

أن أعرف وأنه - ليس غباء منه - يأمل أن عاجلاً أم آجلاً أننى ، التى أرتب له حجرة نومه، والتى أقضى اليوم فى المنزل معه بمفردى، سوف أكتشف أمره فى النهاية رغم ما قد أكون عليه من غباء . فلماذا يقوم بوضع أحد أزرار المعطف فى غير العروة المخصصة له بشكل يكون فيه المنظر غريباً لكن ليس بدرجة شديدة ؟ لماذا إذن يتظاهر بأنه لايحمل شيئاً تحت معطفه رغم أن تغيير وضع الزرار يجبره دوماً على أن يضع يده اليسرى فى جيبه ؟

بالأضافة إلى أنه لايخفى نفسه ، فأننى بعد ذلك فهمت أنه كان ينتظر أن أكتشف السر وبالتالى فقد فكر بالتأكيد أننى بطيئة الفهم، وأننى فى حاجة لوقت طويل وبراهين كثيرة على ذلك مما جعله ربما يشعر بفقدان الصبر . أخذت رأسى تفكر على طريقته ، ببعض الوضوح ثم الظل من جديد أو الظلمة حتى العمى فى وضح النهار. فى اليوم الذى عرفت فيه السر عرف هو أيضاً أننى خمنت ماهو . حتى صدر منه تصرفاً خشناً ، لا من أجل أن يؤمن أو يبرهن على أننى أعرف سره - إكتفى بأننى أطيل نظرى - بل كمن يحاول أن يعجل بالأحداث .

- إتركى الطهى وتعالى - ذهبت خلفه إلى صالة المعيشة - خذى، إقرئى - أقرئى وأعطانى الصحيفة بوضعها فوق المائدة .

- أنا نفسى تأكدت من ذلك .

- لقد نشروه فى الصفحة الأولى ، هل أدركت ذلك ؟ وسأل هو ، فى محاولة منه لأخفاء تفاخره وكذا إقرار نوع من التواطؤ ، لم أدرك أبعاده فى حينه .

- لاتعلن الأنتصار ففى أى يوم يمكن أن تظهر صورتك على الصفحة الأولى .

قهقة وهو يلوح بالصحيفة سعيداً لكنها سعادة غامضة . ولهذا فأننى الآن فى الوقت الذى يتم فيه تهوية حجرة النوم الصغيرة من الرائحة الكريهة التى تركها - متأكدة أن تلك الخشونة كانت صمام تهوية لقلة صبره ورغبته فى أن أعرف . تصنعت الجهل بكل شىء مع بنديتو وواصلت عليه حتى أنه ذات ليلة لم أستطع أكثر من هذا ، فبعد أن إنتظرت حتى يغلق باب حجرته حاولت أن أعرفه بهدوء دون أن يعلو صوتى أو أبكى .

- لكن ، ألم تنامى بعد ؟

- لا . عليك أن عرف - الحديث ببطء يعيننى على التمعن - أننى أعرف الأمر .

- إنسى الأمر ياإستيفانيا ، فهذا لايخصك .

- نعم يخصنى . يخص كلانا

- أؤكد لك أن ليس هناك أى خطر

- هذا كذب يابنديتو . وفوق هذا أنا لا أسمح بأن تكذب . إسمعنى جيداً ، عندما خرج اليوم بدون إفطار ولأننى أيضاً فهمت أن ذلك سيكون أفضل ، فأنهم إذا ً ملأوا جسك بالرصاص ، فليملأوا جسدك بالرصاص ومعدتك خالية - فتشت حجرة نومه . فرأيت جراب السلاح ، والأماكن المختلفة المخصصة لكل قطعة وأمشاط الطلقات وزجاجات موراد التنظيف وفوط التنظيف ، وشنط الورق تلك موضوعة فى الدولاب ومليئة عن آخرها بأوراق العملة .

- لم يقبضوا عليه هنا إطلاقاً ، فهم لايكادون يعرفونه . أؤكد لك يا إستيفانيا أن هناك الحد الأدنى من الخطر .

- هذا كذب يابنديتو . فأنا وأنت نتستر عليه . سأقول ذلك إذا ماقبضوا عليه ...

- لا

- ... حياً

- نحن الذين لانملك شيئاً ، لا ، ليس لنا إلا أنفسنا .

- لا من أجل قضيتك ، التى لم تكن أبداً قضيتى ، ولا من أجل أى قضية أخرى أوافق على أن أنهض وأنا أرتعد مما لو رفض الأفطار ، أو ما إذا كان سيخرج أو سيبقى ، أو لاأدرى فيما إذا كنت سأبقى فى المنزل أم سأذهب للتسوق ، وغير قادرة على أن آخطو خطوة واحدة على

السلالم أو الحديث مع الجارات ، أو حتى قلقى عندما أراه عائداً والأسوأ من هذا ألا يعوده لا أريد المعاناه . إفهم جيداً .

- نعم - قالها ولم يستطع النوم تلك الليلة وغير قادر على أن يعترض على كل كلمة أقولها . إستطعت تحقيق نتيجة ما ، إذ أن بنديتو قلل من وقت الدردشة بعد تناول الوجبات . وكانت صحبته ، أثناء قيامى بتشطيب أعمالى فى المطبخ ، أنه بحاجة للنوم مبكراً حتى يذهب إلى عمله فى الصباح . كنا نذهب إلى حجرتنا ونتركه وهو لديه الرغبة فى مواصلة الكلام ، وأن يكون هناك ساذج يستمع لبطولاته ونظرياته وثرثرته عن حياته فى الزنزانة . كنت أريد تصديق أن هذه الطريقة سوف تضيق الخناق عليه وتدفعه للرحيل ، وهذا وسط شعورى بالعجز والمرارة الشديدة . لكن كان ذلك مجرد إحساس وسريع الزوال .

كنت أتصور أية إحتمالات وخيالات لاتخطر له هو على بال، وأخذت أقضى الأمسيات فى المطبخ ، أو حجرة النوم ، ولا أرد على إسئلته ، أو أتجنب حتى تحيته ، وبصفة خاصة كنت أهرب إلى الشارع في الأيام التى يتناول فيها إفطاره . ولا أكاد أغلق الباب خلفه مباشرة - وأنا شبه مجنونة لدرجة أننى فكرت أن أتباعه وهو يفعل مايفعل - وأهرب خاصة إلى الشارع إما لأبقى بعض الوقت فى حديقة عامة ، أو أمام فترينات المحلات ، أو إلى كنيسة ، يكاد الخوف يخنقنى ، ومريضة فى الوقت الذى كنت فيه متاعبى فى هذا الحى أو ذاك ، فأن المدينة فى

نظره كانت أرضاً طيبة ، حتى أعود إلى المنزل وأجده جالساً أمام فطوره الذى قام بتسخينه بيديه . عبثاً قضيت ساعات طويلة أفكر فى أن أدس له سم الفئران فى الطعام ، وفى أمسيات تلك الأيام كنت أهرب لأشترى الصحف يوائثينى أمل مجنون فى أن أرى صورة جثته على أحد الأرصفة. بعد ذلك أشعر بالأرهاق وقد ألم بى الحزن وعدم القدرة على فهم كراهيتى له كأننى تعودت على هذا الشعور .

ما الذى يمكن أن يؤثر عليه صمتى وفتورى والطعام الذى أقوم بتتبيله جيداً والملابس المتسخة وهذه الأنتقامات الصغيرة التى كان أعلبها متخيلاً؟ لاشىء ، فهو ليس فى حاجة إلى ربة بيت ، أو خادمة لاتكل عن العمل ، أو فى حاجة إلى أمور الرفاهية . لكن كيف لم أتصور ذلك مع ما أنا عليه من عمر طويل ووجهى الذى يحمل ويحفظ شقوق الحرمان وجسدى ذى العظم البارز ؟ ولم يكن صعباً تصوره إذا ماتمعنت قليلاً فى أنه لم يكن يخرج إلا للسطو والفرار .

حسن ، لم يكن هناك أدنى شبهة ولا حتى الحد الأدنى من الحذر فى إغلاق ترباس الحمام جيداً . فتح كما لو كان ينزع باباً . وبالطبع أدركت مايريد فى ثانية . ورغم أننى كنت مهزومة فأننى تفاديته ، وهربت فى الردهة ، أتصبب عرقاً ، أسهل له الأمر أيضاً قاومت حتى أراد أن يستخدم قوته . بعد ذلك بوقت طويل عدت إلى الحمام ، حيث سمعته وهو خارج من حجرة نومه . دفع به غضبه ألا يغلق الدش الذى

واصل نزول المياه منه بنفس الدرجة التى كان عليها عندما دخل ليعتدى على أنا أيضاً .

بنديتو رجل بسيط ، مجرد عامل ، وتمكنت ألا أقص عليه ماحدث وإلا لكان قد إجتمع عليه ذلك العلم بالشىء والجبن فى التغاضى عنه دون القدرة على طرده من البيت . وفوق هذا فأعتباراً من ذلك اليوم وبعد أن قمت "بتشطيب" أعمال المطبخ إنسحبت فى هدوء وتركته يكرر بلا كلل وبعناد جملاً كانت تبدو أمام بنديتو جديدة . حاول الأمر مرات أخرى، ولم يكف عن مطاردتى ليقوله لى بوضوح ، حتى أنه ذات مساء إستطاع أن يقبض على معصمى ويمزق البلوزة ، ومرات أخرى كان يجبرنى على أن أنصت لخطب منطقية وعاقلة وفيها أكثر العبارات خدشاً للحياء، وعبارات فاسدة لم أسمعها قط فى حياتى . يأتى ويحاول أن يجعل منى عاهرة ، أو يضعفنى فى الحقيقة . ومع ذلك لم ينفعه ذلك كثيراً ففى أعماقى لم أكن أنصت لنفسى ، والأمر أن ليس بيت القصيد القبول أو الرفض ، فكنت وحدى قوة كبيرة تقول لا دون أن تقول شيئاً ، كنت حائطاً من الحجر أمامه لكنه حائط هش أمام يديه ، غشيان .

ذهب ، لكن هل ذهب ؟ أعرف أنه لا الهواء ولا الزمن بقادرين على تنظيف هذا البيت بالكامل . سوف أنهض من نومى مفزوعة فى أى ليلة. ولمجرد تصور أنه فى الصباح التالى سوف أراه يرتدى معطفه بنفس الطريقة المعتادة عنده فأن جسدى سوف يتصبب عرقاً . سوف أرتعد وأنا

أدخل حجرة خالية ، وأنا أهرب من المطاردة . وأنه قد ملأ الطريق أمام جسدى المتعب بالتعاويذ المخيفة . وربما - من المعقول الآن أن يكون هناك أمل أن - أجد صورة جسده وأنا أفتح الجرنان .

JESUS LOPEZ PACHECO

خيسوس لوبث باتشيكو

* ولد فى مدريد (يوليو ١٩٣٠) - حصل على ليسانس آداب - قسم اللغويات من بين مجموعاته القصصية "صراع من أجل التنفس وتمرينات قصصية أخرى" (١٩٨٠) .

* ومن بين أعماله " إتركوا هذا الصمت ينمو " (شعر) - مدريد دار نشر Adonais (١٩٥٣) - و محطة الكهرباء (برشلونة Destino (١٩٥٨) .

الآمى وكرة البلياردو *

يُصاب بالدوار عندما يرى العديد من الألوان والنقاط والخطوط المتقاطعة .

- ماذا بك ! كيف لا تعرف ذلك ؟

لم يفهم حتى السؤال الذى ورجهه النقيب . يشعر بتعاسة شديدة وهو يقف أمام الخريطة معطياً ظهره لباقى الفصل ، وتغالبه الرغبة فى البكاء . لكنه لايعرف لماذا لايبكى ، يشعر خلفه بالهمس الضعيف الذى يحدثه وجود زملائه . يستند بيده اليمنى على حافة أحد المقاعد حيث يجلس الجنود . يود لو يعرف ، يود الأجابة على سؤال النقيب، ويبدو له أنه سمع ذات مرة شيئاً - لايعرف أين - له علاقة بذلك .

- لكن إرفع رزسك ! أبرز هذا الصدر !

صوت النقيب قاطع تصاحبه رقة مزيفة . يخشى سباستيان سماع الصوت ، مجرد سماعه . مرة أخرى يجد أمام عينيه تلك العلامات الغريبة ، والخطوط والألوان . يترك سباستيان عينيه على مساحة مع اللون الأخضر الفاتح ، ويجعلهما تتمشى فوق هذه المساحة متوقفتين عند النقاط السوداء والخطوط والعلامات التى لايفهمها . ليست لديه أية فكرة. ولا يولد فى علقه أى تفسير لما يرى . كل ما هنالك هو أنه

---

* المصدر : Cuento espaňol de poguerra.

يرى مسقطاً ملوناً من الكرتون . يهرش رأسه ، ويبلع ريقه . أصبح الموقف لايكاد يحتمل ، وسوف ينتهى ببكائه مثلما حدث فى اليوم السابق ووسط ضحكات زملائه . لايفهم شيئاً . كل ماهو متأكد منه هو أنه يفعل شيئاً بشكل سىء ، وأنه يستحق العقاب وهو إستهزاء النقيب به وضحكات باقى الجنود ، الشفقة فى النهاية التى تجعله سيعداً وتعساً فى الوقت ذاته .

- لكن لنرى ياسباستيان ! أين قضيت عمرك الذى يبلغ إحدى وعشرين عاماً ؟ينظر إليه سباستيان ، وقد زاغ بصره ربما من الخوف . يتذكر طفولته وصيحات جده عندما يفعل شيئاص بطريقة سيئة . وجهه أسمر ، بخدين : كأنهما نتوءان من أرض صلبة وجرداء . يرى . أمامه من جديد هذا الأنف الكبير المليء بالمسام المفتوحة السوداء ، وتلك اليد التى تتقدم والتى يكسوها الجلد فقط ، - مرة أخرى - حتى تصطدم بوجهه "لاتعد إلى المنزل حتى تعثر على العنزة ... !" يبكى سياستيان .

- فى قريتى

- ماذا كنت تفعل ؟ ماذا كنت تعمل فى قريتك ؟ لكن لاتبك !

يسمع الضحك خلف سباستيان

- سكون ! - يصبح النقيب

- لاشيء - يقول هو

ينهض النقيب ويهبط من على المنصة . تتبعه كافة نظرات الجنود حتى يصل إلى سباستيان . ويرى البحر من النافذة ، والهيكل المرتفع لاحدى الروافع بالميناء . تمر أحدى السفن . يضع النقيب يده على كتف الجندى وينظر إلى عينيه أولاً ينحنى ليرقبه من زاوية أخرى وأخيراً ينظر إليه من جانب مختلف ، من هذا الجانب ومن ذاك . يفعل كل ذلك مع أداء مبالغ فيه وهو يتحسس الجندى كأنه جماد إستثار إنتباهه . يضحك الفصل كله . يبكى سباستيان .

- إنظروا إليه ، كأنه آنسة ، يبكى مرة أخرى - يقول النقيب وهو يرفع دقن الجندى بيده . عينا سباستيان كبيرتان وزرقاوان ، بحر من الطيبة يستكن تحت حاجبيه الكثيفتين . أخذت ضحكات الجنود تنحسر.

- إحدى وعشرين عاماً دول أن تفعل شيئاً؟ ياله من حظ !

ترتفع الضحكات من جديد . يستمر سباستيان فى البكاء . يعلو شهيقه وزفيره مصاحباً البكاء بينما يحاول هو السيطرة على نفسه حتى لايكون بكاؤه مسموعاً بشكل يزيد عن الحد . الحقول الخضراء والهضاب المستديرة وصوت القطيع وهو يرتعى : ترى العينان الزرقاوان لسبستيان المشهد العام لقريته ، يرى نفسه الآن جالساً على حجر وعصاه بين يديه وصرته بجوار قدمية . قضى أياماً كاملة فى هذا السكون الذى لايقطعه إلا الأجراس المعلقة فى رقبة أفراد القطيع والأسنان بصوتها الضعيف الأجوف، أيام السحب البطيئة والبعيدة والتى تجر ظلالها فوق حقول

القمح وفوق الأشجار والهضاب . تصل نظراته حتى الأفق ، وهناك تظل وتسكن وتتسع حدقتا عينيه كلما قلت أشعة الشمس . أما الآن فإن الجندى سباستيان يتطلع إلى خريطة ويبكى .

- سكوت ! صاح النقيب

قطع الجنود ضحكهم

- بالطبع أنت لاتعرف القراء ة

- لا أعرف

- ولا الأكل ؟

ينفجر الضحك من جديد .

- سكوت ! هيا إصمتوا انظر ياسباستيان سوف يجعل الجيش منك رجلاً ، سوف تتعلم القراءة ، طبعاً لم تكن هناك مدرسة فى قريتك

ينظر إليه سباستيان بتمعن دون أن يكف عن البكاء . لايفهم أيضا . فهو لايعرف جيداً مامعنى أن يعرف المرء القراءة . لكنه مقتنع أنه يحدث له شيء فظيع ، شيء مكروه جداً ، ربما كان مرضاً يجب أن يبرأ منه . يجهل ماهية المرض ، يزداد شعوره بالتعاسة ، يشعر بأنه أكثر عزلة فى هذه القاعة الصغيرة ذات النافذتين اللتين يرى منهما البحر، وهو بين زملائه الذين ضحكوا منه دوماً منذ أن وصلوا إلى المعسكر ،

سواء من كيفية تنفيذ التعليمات أو طريقة كلامه، أو أى تصرف آخر يصدر عنه . يرى سباستيان نظرة النقيب بالقرب منه .

- لا - يقول سباستيان وهو يحاول الكف عن البكاء .

- حسن ، حسن ، لنرى ياسباستيان - يفرد النقيب جسده الصغير- إنتبه جيداً لما أسألك : ماذا كنت تعمل فى قريتك ؟ هل كنت تعمل فى الحقل ، أو كنت ترعى الماشية ، أو كنت تعمل فى ورشة أو ... ماذا كنت تفعل ، هل يمكن معرفة ذلك ؟

مرة أخرى ضحكات الجنود . الضحكات المنضبطة التى أمر بها النقيب ، عند بعض الكلمات ، وبعض النكات البذيئة ، حتى يقطع هو نفسه هذه الضحكات بالكلمة التى تصل إلى مايشبه الأمر العسكرى "سكوت" يسمع فقط فى هذه اللحظة نحيب سباستيان، وصوت الرافعة التى أخذت تدور وصوت دجاجات فى فناء المعسكر وصوت سيارة تعبر المكان أو صوت النقيب وهو يعود للسؤال إذ أخذ صوته يعلو حتى وصل إلى درجة الصياح عندما نطق إسمه :

- قله لى ياسباستيان !

- كنت أعمل فى الحق مع أبى وقبل ذلك كنت أعمل فى الرعى. يشعل النقيب سيجارة ويعود إلي مكانه وراء المكتب . هناك بعض الجنود الذين تعبوا من الحصة النظرية ، أخذوا ينظرون رليه وهم يحاولون

أن يكتشفوا فيه أى إشارة تسمح لهم أيضاً بالتدخين . آخرج النقيب نفساً من الدخان وقد تدورت فتحة فمه . يصعد الدخان ببطء مسكوناً أشكالاً غريبة ثم يزول فى تيار هواء يسحبه إلى النافذة . تدخل الشمس من النافذة وتقع على الرؤس الحليقة والزى الكاكى والمقاعد المتماثلة.

- لنرى ياسباستيان - يقول النقيب - لنرى فيما إذا كنت ستقوله لى مرة واحدة .

لاتبك مرة أخرى ، هه ! إهدأ فأنت الآن رجل . لنرى . أين ولدت؟

- فى قرية باروسا

لاتبك

- ذلك : أين تقع ؟ أهى فى دائرة مدينة باداخوث أو بالقرب من هناك أليس كذلك ؟

ينظر إليه النقيب وهو ينتظر كلماته ، ويريد أن ينتزعها من خلال من خلال قسماته وموقفه .

- إنها أرض الفلين (١) - قال أحد الجنود

تنطلق الضحكات عالية ، يأمر النقيب بالصمت مرتين وفى النهاية تتم الأستجابة لأوامره بعد لأى . هذه المرة يرى غاضباً بحق، ويمكن أن يتعرف أحد الجنود لقص شعره القصير كعقوبة له، أو يمضى عدة أيام فى

سجن الوحدة ينام على الأرض دون مرتبة حيث البراغيث والرائحة الكريهة الآتية من المرحاض المسدود .

- من كان القائل ؟ - صوته عنيف .

لم يجب أحد . ينظر سباستيان لزملائه وهو صامت ومذعور وخائف عليهم .

- أقولها - لآ - خر - مرة . من هو ؟

بقى النقيب بلا حراك جالساً خلف المكتب .

- أيها المساعد - يقول . يتقدم نحوه المساعد الذى ظل واقفاً حتى الآن يجوار الترابيزة إلى الصفين الأماميين ...

- أنا القائل ياسيدى النقيب ! - قالها جندى صغير الحجم وهو ينهض .

- أن يقص شعره فوراً أيها المساعد - يأمر

فى الوقت الذى يرسل فيه المساعد الجندى نفسه للبحث عن الحلاق، يستمر النقيب فى الحصة النظرية .

- ياسباستيان ، ياسباستيان ، يابنى قل لى ماسم موطنك ، قلها!

أخذ سباستيان يغمض عينيه ويفتحها عدة مرات وأخذ يزداد ذعره بأرتفاع صوت النقيب .

- لا أعرف .

- لكن تباً ! - يعتدل قليلاً ويترك يديه تسقطان على المكتب ، وتمتد بطريقة كوميدية تدل على الأحباط . - أمضينا أكثر من نصف ساعة حتى تقول لنا ما إسم وطنك ياسباتيان !

"وطنى . وطنى ، وطنى ..." ذات مرة - كان سباستيان طفلاً وكفاه مليئان بالعقد ونظراته زائغة غير متعادة على وجود الرجال وذلك لأنه عمل راعيا لعدة أعوام ، وينام فى الحق لكثيراً ، ويقضى الأيام والأسابيع دون أن يتحدث مع أحد - ذات مرة عندما كان جالساً على حجر يحرس القطيع ، رأى رجالاً كثيرين يمرون ، يلبسون الزى الكاكى ويحملون بنادقهم على أكتفاهم ويمشون جميعاً بخطوه موحدة . كانوا يرددون جميعاً أغنية ، وعندما كانوا يغنونها تتردد كلمة "وطن" تذكر هذا عندما كان يصبح فيه النقيب ، عادت إلى دماغه تلك الموسيقى التى أخذ يترنم بها لوقت طويل بينما يرعى القطيع .

يظهر الحلاق على الباب ومعه ضحيته .

- يسمح لى سيدى النقيب ؟

- إدخل ، وإجعل هذه الرأس ملساء كأنها كرة بلياردو .

بجلس الجندى الصغير الحجم على أحد المقاعد وظهره لزملائه. يرى سباستيان أمام خريطة أوربا . أما الحلاق ، فهو جندى أيضاً، فيقوم

بلف خرقة حول رقبته وهى خرقة بيضاء متسخة الحواف العليا .

- لن تحلقها لى بالموس ، هه ؟ - يغمغم دون أن يحرك رأسه

- سأفعل مايأمر به النقيب - يقول له الحلاق - فأنت تعرف الأوامر .

- وطنك إسبانيا ، إسبانيا ، إسبانيا ! - يصيح النقيب ، عليك أن تحدد مكانه على هذه الخريطة ، هيا !

سباستيان لايبكى . إنه مذعور بشدة . "سوف يقصون لى شعرى أيضاً" أخذ يفكر . ينظر إلى الخريطة

- حدد بإصبعك - يسمع صوت النقب

يضع سباستيان يده فوق جزيرة صقلية ، يضحك الجنود عندما يرون رد فعل النقيب

- إلى أسفل ، إلى أسفل ! - يسمع

ترتفع الضحكات وتطغى على صوت المقص . يحاول الجندى الصغير الحجم أن يشهد المنظر وهو مطاطىء الرأس . لايحرك سباتسيان أصبعه . يرتعش أصبعه .

- إلى اليسار ! - يأتيه الصوت من الخلف

ضحكات جديدة ، تزداد قوة ، لكنه لايرى إلا الألوان والعلامات

والخطوط والنقاط . سوف يبكى سباستيان يحرك أصبعه قليلاً ويضعه فوق جزيرة كورسيكا .

- إلى أعلى إلى أعْلى - يسمع - لنرى فيما إذا كنت تقدر على تحديد مكان قريتك على هذه الخريطة . سكوت !

مزيد من الضحك

يعرف الجنود الآن أن الأمر بالسكوت يعنى العكس تماماً . يضحك النقيب أيضاً : يغمض عينيه الضيقتين ، ويرفع كتفيه ويزم شفتيه ويفر منه صوت وضحكة متقطعة حتى لاينفجر ضاحكاً .

يبكى سباستيان . يبذل جهداً ويعود الى ماكان عليه . لقد إتخذ قراراً . أما الجندى الصغير الحجم فقد أخذ يلاحظ أن طول شعره يقل شيئاً فشيئاً . يسمع الصوت الدؤب للمقص . يريد سباستيان أن يتكلم، ينظر نحو النقيب لكنه يعرف فى نيحبه . إنه لايتذكر أبداً أنه كان تعساً فى حياته مثلما هو الآن .

- لا أعرف - يقول فى النهاية .

كان قراره البكاء ، وأن يترك العنان لدموعه ، يبكى بحرقة وبصوت عال وتنهدات شبه طفولية . أما باقى الجنود والنقيب والمساعد فيضحكون بشدة ، حتى أمر النقيب الذى دمعت عيناه من شدة الضحك، سكوت . بطيعه الجميع . يسمع صوت المقص من جديد

- لكن ياسباستيان ، تباً ! - لازلت هناك قهقهة قصيرة ، جعلته يتوقف - مع أنه أمر جميل أن يعرف المرء أين وطنه ! إهدأ ، هيا .

يقف أمام الجميع وهو يبكى . يبذل الجندى الضئيل الحجم جهده فيرى رأس سباستيان بجبهته الضيقة وحاجبيه الكثيفين ، وقد حجبت أسبانيا من خريطة أوربا . بينما أخذ يلاحظ البرودة على رأسه ، برودة ماكينة الحلاقة التى جعلت رأسه كأنها كرة بلياردو .

DANIEL SUEIRO

دانييل سوييرو

* ولد فى لاكوروينا (ديسمبر ١٩٣١) - حصل على ليسانس حقوق - عمل بالصحافة .

* من بين مجموعاته القصصية "الأستقصاء ومصائب أخرى (١٩٥٨) المتآمرون (١٩٦٤) طوال الأسبوع (١٩٦٥) .

* وله أعمال قصصية منها رواياته " هؤلاء هم أخوتك (١٩٦٥) الليلة الأكثر سخونة (١٩٦٥) .

يوم أن إرتفع المد وإرتفع

يرتفع مد البحر رويداً رويداً وبشكل غير ملحوظ مثله مثل كل يوم . لكن موعد الأرتفاع يتأخر قليلاً يوماً بعد يوم . يتأخر بالتحديد خمس وأربعين دقيقة . تصل الموجات رقيقة إلى الشاطىء فتبتل المزيد من السنتيمترات من الرمل ، ثم تنحسر تاركة وراءها سلسلة إيقاعها القديم الذى لايتغير .

هناك العديد من الأجساد شبه العارية ، والتى لفحتها أشعة الشمس بشكل قوى أو متوسط، ترقد مسترخية بلا حراك ، يشبه بعضها بعضاً ، على البساط الأصفر الضخم ، تلفها الألوان القوية والضباب . هناك نسمة حقيقة لاتكاد تحرك العلم الأصفر الذى رفعه المصطافون بالقرب من حاجز الأمواج هم أيضاً المتكفلون بقارب النجدة . من حين لآخر تأتى موجة عالية بعض الشىء فتبتل منها السيقان والفوط التى وضعها من يعرضون أجسادهم لأشعة الشمس بالقرب من المياه ، فيقفزون وهم يضحكون أو يصيحون أستغراباً أو ينسحبون ببطء وهم مغتاظون وقد جروا معهم الكراسى المنطبقة وأوراق الصحف التى تجعدت وإبتلت .

يرتفع المد ، وعند بعض النقاط على الشاطىء تتحول الموجات إلى

اللون الأبيض، برغوتها ، وتمتد كأنها عرف بشكل أفقى على الشاطىء . ويتراجع الناس رويداً رويداً نحو الرمال الساخنة وبعض كتل الأحجار الوعرة القريبة من الطريق المطل على البحر . يوشك الصيف على الأنتهاء وبالتالى يتناقص عدد المصطافين لكن لما إرتفع المد ووصلت موجات البحر إلى مساحات لم تبلغها قبل ذلك فإن المصطافين قد تجمعوا فيما بقى من الشريط الضيق للرمال وتحولوا إلى كتلة كثيفة من العرق لايكاد يتغير لون المكان بسبب ضيق المسافات بينهم والناتجة عن إتجاه بعض المصطافين إلى المياه والسباحة وصراع الموجات وهم يتضاحكون أو يشعرون بالخوف .

كلما إرتفع المد كلما زادت قوة الموجات وأصبح صوتهاواضحاً. ورغم أنه كان مستلقياً على الرمال ومغمض العينين فإنه يسمع صوت الموجات وهى قادمة من بعيد ، ترتفع همهماتها على إمتداد البلاج الطويل كله ، تأتى وئيدة ثم يتعاظم وتتفرطح فى النهاية مصطدمة فى أخيراً بالشاطىء محدثة ذلك الصوت العميق الوئيد والمستمر لدرجة أنه يبدو أن لانهاية له . يسمع إنحسار موجة متحولة إلي رغوة هامسة وطازجة على الرمال ، ثم يسمع من جديد صوت موجة أخرى قادمة من بعيد ثم تقترب وتكون أكبر من سابقتها وصوتها أقوى عندما تموت .

يكاد يصمت صوت البحر من حين لآخر ويبدو أن مستوى إرتفاع المد قد توقف لكن سرعان ماتأتى موجة أعلى من كل سابقاتها وتكاد

تغرق كل هؤلاء المستلقين بالرقب من المياه .

عندئذ تراجع الجميع بعض الشيء وإزداد تجمعهم في منطقة أكثر ضيقاً .

- إنه مد قوى هذا الذى نراه فى نهاية الصيف - علق متسلياً أحد الرجال وهو يرفع عينيه عن الصحيفة .

كانت السماء صافية، رائعة فى ذلك اليوم وبالقرب من قرص الشمس ظهر القمر أبيضاً وغير ناصع .

نظر الرجل الذى يقرأ الجرنان إلى ساعته .

- إنها الثانية عشرة والنصف - قال - إنها ساعة ذروة المد ولن يرتفع المد أكثر من هذا اليوم .

فى هذه الساعة بالتحديد تجمع الناس على الطرف الآخر للبلاج وسمع كلام بشأن الغريق أو أن أحداً من المصطافين كان على وشك الغرق . ظل الجميع وقوفاً لفترة طويلة وهم يتأملون البحر وبذلك حجبوا مايحدث فى البحر عن أعين الذين كانوا فى المؤخرة . ولما كان الموج مستمراً فأنهم وضعوا العلم الأصفر .

إذا ماكانت زرقة المياه قد تحولت إلى اللون الأخضر فأن لونها أخذ يتعكر شيئاً فشيئاً. إذ كان بلون الأرض على إمتداد مسافة كبيرة بالقرب من الشاطىء ثم يأخذ اللون الأصفر بعد ذلك ثم يكتسى باللون

الداكن بعيداً عن الشاطىء ويتلاطم .

كان هناك عدد قليل ممن بقوا فى الماء أو الذين كان يقذفون بأنفسهم إليها متوجيهن برؤوسهم محاولين بخفة إحداث فجوة فى تتابع الموجات . أما أغلب الناس فقد فضلوا الأنتظار بتعريض أجسادهم للشمس حتى يهدأ البحر والذى يجب أن يبدأ مع الجذر .

- لابد أن الصحف أخطأت اليوم بشأن موعد المد - قال الرجل عندما رأى أن الموجة الأخيرة التى كان إرتفاعها متر وإثنين أعلى من سابقتها وهى تتقدم بشكل مفاجىء .

كان مداً قوياً لايذكر له مثيل . علق الكثير من الناس على هذا وأخذوا يتراجعون قليلاً إلى الخلف يجرون كافة أمتعتهم فيقتربون أكثر من بعضهم ليتركوا مكاناً للماء .

تأتى الموجات الضخمة من بعيد وهى تتزلق صامتة فتنفتح بطونها المظلمة وتمتلىء بالمزيد من المياه العكرة . ترتفع الموجات وترتفع إلى عنان السماء كلما إزداد إقترابها ، تحمل الرياح نتفاً متلألئة من أعرافها ، كل ذلك بعرض المحيط ، وعندما تنكسر بضربة واحدة وتخمد على آخر شريط رملى يسمع فى وقت واحد صوت قرع طبول قوية كأنه قادم من تحت الأرض ويمتد صداه القوى المكتوم بطول الشاطىء وعرضه .

إبتل المصطافون وإبتلت فوطهم وبعض الملابس الأخرى وإزداد

إبتعادهم لدرجة أن بعضهم لجأ للجلوس على كتل الأحجار المائلة الخاصة بحاجز الأمواج ، خرجت الأغلبية الساحقة من الماء عندما إرتفعت الراية الحمراء على الصارى وأخذت ترفرف على رؤس الجمهور المتزاحم . أخذت تسمع من هنا وهناك صيحات تحذيرية والنداء على الأطفال الذين تعبوا من الصراع على كسب جزء من الشاطىء عندما كانوا يرون أن الموجات تحاول أن تنتزعه منهم فى نوبات تراجعهم للخلف .

كان الأمر غير متوقع وغريب لكنه مسلياً بعض الشىء ومقلقاً . كان المصطافون الذين إستلقوا بظهورهم على الرمال أو الذين جلسوا بأسترخاء ويحاولون الأفادة من الشمس فى الأيام الأخيرة للأجازات يتأملون بمتعة غامضة العدوانية المفاجئة للمحيط ويعلقون فيما بينهم ويحسبون آخر موجة يمكن أن تختتم هذا المد .

- لقد أخذ البحر بغضب - علق أحدهم - وأضحى خطيراً على من ينزلون إليه .

- سرعان مايبدأ الجذر - قال آخر بهدوء - فلا يمكن أن يكون المد أكثر من هذا .

لكن المد كان آخذاً فى الأرتفاع حتى الثانية بعد الظهر فى صورة موجات ضخمة منتظمة ومتعاظمة الحجم ، وأخذ البحر يغزو المزيد والمزيد من الأرض باغراقها . وأخذ جلد المحيط العجوز يتحول من بعيد إلى

تجعدات وأخاديد ، ويتحول إلى مجموعة من السنم الضخمة ، حتى أنه على مسافة متوسطة تتحد الموجات بطول الشاطىء وترى عندئذ وهى تقترب ببطء وصامتة فى البداية ترفع قمتها الرغوية والصابونية ثم تكبر وتكبر حتى تحول دون رؤية الأفق ، عندئذ يلف صوتها المزمجر وغضبها الجامح الشاطىء كله وهى تضرب الرمال بعنف .

حقاً كان المنظر عظيماً ومثيراً للإعجاب رغم خيبة آمال الكثيرين فى الأستمتاع ربما بآخر الحمامات على الشاطىء فى هذا الموسم . إلا إذا وبشكل إرتجالى ضربت إحدى هذه الموجات الضخمة حاجز الأمواج بعد أن مرت فوق القلة القليلة التى بقيت على الشريط الرملى والضيق. وعندما فاجأتهم الموجة وغطتهم هم وحاجياتهم من الفوط والكريم الذى يكسو الجسم باللون البرونزى وأصبحوا غير قادرين على التنفس بشكل طبيعى ، فأنهم حاولوا الطفو فوق الرغوات والطحالب ممسكين ببعضها لكن دون أن يتركوا مابأيديهم حتى ولو كان تافها. تظهر رؤس وتختفى فى المياه أخرى وتتحرك السيقان فى الهواء بين الشماسى والكراسى المنطبقة . تحطم الصارى بسبب الضربات المفاجئة للبحر وأخذ الموج الراية الحمراء الدالة على الحظر . وأخذت ترتفع صيحات النساء والأطفال عندما إرتطمت الموجة الأخيرة بحاجز الأمواج وأخذت إلى البحر ، فى إنحسارها ، كومات من الملابس والمراتب الأسفنجية .

كان المصطافون سيئوا الحظ يستغلون الهدوء النسبى للموجات

العنيفة ليلجأوا إلى الصخور القريبة أو يصعدوا إلى حاجز الأمواج وحاول بعضهم التأقلم هناك على الوضع الجديد وهم يتأملون فاغرى الأفواه عنف البحر .

وسرعان ماغطت الأمواج الصخور الواقية وأخذت تلعق بسوء نية السور الخرسانى .

كان الوقت يمضى ولم يصل المد بعد إلى ذروته ليبدأ بعد ذلك الجزر حدث عكس كل هذا إذ كانت الموجات ترتفع وترتفع بدرجة غير معهودة.

نظر الناس إلى بعضهم البعض وأخذوا ينسحبون إما إلى منازلهم أو إلى الفيلات الصيفية أو إلى مطاعم بعض الفنادق . يلمح القلق فى نظرات هؤلاء الذين سارعوا بأخذ أطفالهم من أيديهم . جلسوا على موائد الطعام ترافقهم حاجياتهم وأخذوا يتناولون طعامهم .

وجاءت موجة مختلفة عن كل سابقاتها وضربت ضربتها عندئذ إلتصق بعض من بقى من المصاطفين بحاجز الأمواج أو ألقت بهم الموجة إلى السيارات أو إلى منتصف الطريق الأسفلتى . لم تقاوم المقاعد المثبتة بالأسمنت الضربات القوية كثيراً ولاحتى النخيل العجوز . الأمر ليس إعصاراً أو عاصفة فلم يسمع للرياح صوت ، وظلت السماء زرقاء ، والقمر رابط الجأش بلونه القصديرى وهو يمر بالقرب من قرص الشمس دون أن يحترق فيه ويلمسه .

ولساعات طويلة إستمر ذلك المد الشهير فتجاوز الشوارع الأولى وأغرق أبواب المنازل وغرق الحراسة ووصل إلى الشرفات وغطى المنازل المكونة من طابقين وحول ملاعب الجولف إلى برك وأغرق غابات الصنوبر. ظلت الموجات المحمرة التى يبلغ طولها أكثر من عشرين متراً تقذف إلى الأرض ، طوال فترة المساء، جبالا من الرغوة القاتمة، مقابر من البلاستيك، وكتل غير محددة الشكل من البترول وأسماك ميتة ضخمة العيون . ألغاماً لم تنفجر وأجساداً خضراء الملون ومتآكلة لبشر أقدموا على الأنتحار ، ولأعضاء مكتوفة وأعشاب حضراء .

لم يتوقف المد حتى حل الظلام وعندما بدأ أن البحر نظيف . هدأت المياه دون أن يروح ضحيتها هذه المرة أية حياة آدمية ، وأخذت تنحسر ببطء وهى صامتة .

وفى صباح اليوم التالى كان الجزر واضحاً وأخذ الناس يتأملون .

- والغصة فى حلوقهم - ما أحدثه من دمار .

RICARDO DOMENCH

ريكاردو دومنئنش

* ولد فى مرسية عام ١٩٣٨ . درس الصحافة وفن الدراما . ناقد أدبى وأحد أساتذة الجامعة . له الكثير من المقالات والدراسات المنشورة فى العديد من المجلات المتخصصة . له مجموعة قصصية عنوانها التمرد الأنسانى (١٩٦٨) كما أن قصصه القصيرة منشورة فى الكثير فى المختارات القصصية . وترجمت إلى عدة لغات .

مابعد الحرب

يغادر الطالب ذو الشعر الأحمر صومعته، إنه ممشى طويل. أبواب تفتح وتغلق . أصوات ، وجلبة . هرج المراهقين . لون الحوائط الأبيض يساعد على مزيد من الوضوح القادم من طرفى الدهليز . كف الطلبة عن الحركة وكل واحد أمام صومعته بعضهم يرتدى بدله زرقاء اللون ، والبعض الآخر يرتدى بلوفراً ، تبدو الوجوه شاردة اللب، أما القليل منهم، البعض هنا والبعض هناك ، فيتهامسون وهم يميلون برؤسهم قليلاً . يتأمل الطالب ذو الشعر الأحمر طالباً أخر قمحى اللون ، عينيه سوداوان كالفحم، وكان متقدماً بضع خطوات عن باقى الصف الذى هو فيه، ويتمتم بشىء للطالب الواقف إلى جانبه، يبدو أن هذا الأخير يعيره قليلاً من الأهتمام . ثم بعد ذلك يتأمل فى الطالب الذى يقف أمامه، وهو طالب أنفه مقوس وعيناه قد دعكهما وأخذ ينظر قدميه بشكل غير مفهوم. أما الطالب الذى يقف مباشرة فى مواجهة الطالب ذى الشعر الأحمر فلا يلبس البدلة الزرقاء، بدلة الزى ولاحتى البلوفر، بل يرتدى جاكتة بها الكثير من الألوان وبنطلوناً واسعاً فى تناقض مع أغلب زملائه الذين يرتدون بنطلونات طويلة . بدا أن الطالب ذا الشعر الأحمر على وشك أن يقول له شيئاً ، لكنه سرعان مايسمك نفسه ويتجه نظره نحو الجانب الآخر من الدهليز، حيث يأتى أحد الأباء وهو يرتدى جلباباً

من الستان أسود اللون . كث الحاجبين بارز الخذين . أخذ يرد بين الحين والآخر كلمة : هيا ، هيا دون أن ينظر حتى إلى أى من الطلاب ، يربت على أكتاف بعض الطلاب أو يرفع ذراعه معطياً إشارات للطلاب الذين هم بعيدون عنه. بدأ كلا الصفان سيرهما البطىء ، يسمع صوت الخطوات الرتيب والمستمر، تردد بعض بلاطات الأرضية الصوت تاك - تاك بشكل بديهى يقول أنها غير جيدة التثبيت . يستمر فى سيره القسيس ذو الحاجبين الكثين والخدين البارزين . يسير فى إتجاه مخالف لإتجاه سير الطابورين. يسير الطالب ذو الشعر الأحمر ويديه فى جيوبه . وبشكل مرتجل يتوقف فجأة الطالب الذى يترتدى البنطلون الواسع ، لدرجة أن الطالب ذا الشعر الأحمر كاد يصطدم به ، وبشكل مرتجل يتوقف فجأة الطالب الذى يرتدى البنطلون الواسع، لدرجة أن الطالب ذا الشعر الأحمر كاد يصطدم به، وبشكل غريزى يحاول أن ينسحب إلى أى مكان ويضع يده اليسرى على الحائط. وضعها فوق جزء مكشوط ، وهو الآن ينظف نفسه يضرب كلتا يديه ببعضهما فى حركة سريعة . يظهر الدهليز الجديد ويبدو كأنه خط مستقيم لانهاية له، مثله فى ذلك مثل الدهليز السابق وله بابان ، باب فى كل جانب، لكن درجة الضوء أقوى . هذا الضوء يأتى من الطرقة التالية التى تطل فى جانب منها على فناء رواق الأدارة وبالتحديد فإن ضوء الشمس يسطع على هذا الجانب من الدير وعلى الأرضية المصنوعة من البلاط الحجرى وبالتالى فهى ليست

مستوية، وتتكون هناك مجموعة من المستطيلات من الضوء يفصل بينها ظل الأعمدة . هذه الأعمدة لها بدن رفيع ويتجان على أشكال نباتية . أما البلاطات الحجرية الكبيرة فهى متآكلة ولذلك فأن الطالب ذا الشعر الأحمر يتوخى الحذر فى كل خطوة. ومن الطابور الذى هو فيه يمكن أن يرى - وبالتأكيد يرى هو أيضاً فقد لفت وجهه - جزء من الفناء: الأعمدة فيه أكثر حجماً وليست متراصة على شرفة حجرية مثل الطابق العلوى بل قائمة على قواعد . أما التيجان فهى أكثر تعقيداً عن سابقتها إذ تتكون من تماثيل ورموز دينية . ترى فى الفناء أيضاً الأشجار والنباتات والحشائش ، تسمع زقزقة العصافير التى تطفى على الصوت الرتيب والمكتوم الصادر عن خطوات الطلاب . أخذ الطالب الذى يرتدى البنطلون الواسع فى السير قفزاً فوق الفواصل بين البلاط ، دون أن يتمكن من ذلك . يسرع الآن الأب ذو الحاجبين الكثين والخدين البارزين بين كلا الطابورين وعندما يصل إلى أقصى الدهليز ينظر خلفه ويبقى ثابتاً بلا حراك وينظر فى كل إتجاه . توقف الطالب الذى يرتدى البنطلون الواسع عن القفزة . وفى مكان متقدم فى الطابور الذى يوجد فيه الطالب ذو الشعر الأحمر حدث توقف مؤقت للمسيرة، بحيث يحاول باقى الطلاب الآن السير بإيقاع أسرع محاولين إستعادة الخطوة المنتظمة لهذا الطابور . وسرعان ماعادوا إلى الإيقاع العادى . الطلاب الذين هم فى محاذاة الطالب ذى الشعر الأحمر يغادرون الآن دهليز الرواق . وبعد

عبور ممر صغير ينزلون على سلالم فيعلو صوت الخطوات ويصبح غير منتظم . ترن كحة . ليس السلم الرئيسى بل سلم من سلالم جانبية كثيرة توجد فى الدير . إنه سلم حلزونى ، درجاته من الطوب ودرابزينة من حديد بزينة فى أعلاه إطار خشبى. وطراز السلم يجعل الطابور يسير ببطء . يهبط الأب ذو الحاجبين الكثين والوجنتين البارزتين من وسط السلم وقد رفع جلبابه الكتانى بعض الشيء - بينما يحمل مسبحة وكتاب القداس فى اليد الأخرى - ويسير ببطء أكثر من الطلاب وهو شديد الحذر فى كل خطوة . كان الطالب الذى يرتدى البنطلون الواسع يهبط وهو يسند يده على درابزين السلم . فجأة رفع يده وأخذ ينظر إليها ووجهه يعبر عن شعور بالتقزز وقال : قذارة بينما أخرج بيده اليسرى منديل الجيب ونظف يده اليمنى دون أن يكف عن التمتمة بكلمة قذارة . بعد ذلك إستمر فى هبوط السلم لكن دون أن يضع يده اليمنى على الدرابزين . يدخلون نحو رواق الأدارة من جديد. هم الآن فى الدور الأرضى . ومرة أخرى يبقى الأب ذو الحاجبين الكثين والوجنتين البارزتين بلا حراك ، وأخذ يتأمل التقدم البطىء للطابورين . الجميع صامتون يجرون أرجلهم . بعذ ذلك يواصل السير بخطى واسعة ، ومن هذه الطريقة تفوح بقوة رائحة الخضرة فى الحديقة، وتبدو أبدان الأعمدة أكثر طولاً وسمكاً . أما الأرضية فهى مثل الدور الأول، عبارة عن بلاطات كبيرة من الحجر ، أما عدد الأبواب فأقل لكنها أكبر حجماً . يسير

الطالب ذو البنطلون الواسع دون أن يأتى بتصرف يثير الأنتباه . أما من يفعل غير ذلك الآن فهو الطالب ذو الشعر الأحمر إذ أخذ يقوم بالقفز خوف الفواصل بين البلاط لكنه سرعان مايترك هذه التسلية ويسير بلا مبالاة .

وللوصول الى المصلى حيث يتوجه الطلاب فإن المسار الطبيعى سيكون مغادرة هذه الطرقة والدخول فى دهليز قصير ومظلم يوحد المصلى فى نهايته (وليس كنيسة الدير التى تخصص للقداس الكبير يوم الأحد وبعض المناسبات الأخرى) . لم تكن ضرورية تلك اللفة شبه الكاملة حول الرواق الخاص بالأدارة ، ومع ذلك فهذا هو مافعلوه . عندما نزلوا كانت أشعة الشمس تدخل الطرقة التى كانوا يسيرون فيها وهى الآن تدخل الطرقة المواجهة لهم علق على ذلك الطالب ذو الشعر الأحمر مع الطالب ذى البنطلون الواسع بينما ذلك الأخير يسير وهو ينظر باستغراب . صوت أحدهم : إلى أين نحن ذاهبون ؟ سمعت ضحكة هناك. صمتت تعبيرات وجه القسيس ذى الحاجبين الكثين والوجنتين البارزتين . ماذا يحدث هنا ؟ يسأل بنبرة عالية جداً وغاضبة . ينظر الطالب ذو البنطلون والواسع إلى الطالب ذى الشعر الأحمر وفى صمت يكرر بنظرته نفس السؤال . يعود الطالب ذو الشعر الأحمر نحو الطالب ذى البنطلون الواسع الذى يسير خلفه ويكرر ماذا يحدث، بينما أخذ الكثير من الطلاب من كلا الطابورين ينظرون إلى بعضهم البعض

بإستغراب أو قلق ويسألون ماذا يحدث ؟ وتزداد الهمهمات . تسمع من جديد ضحكة هناك . لم يتوقفوا عن السير . أما الأب ذو الحاجبين الكثين فيعدو وجيئة وذهاباً متسائلاً ماذا يحدث هنا ، ويكرر السؤال هل يمكن معرفة ماذا يحدث هنا . احمر وجهه غيظاً وتعكر مزاجه . يلقى بنظرات مهددة فاحصة . ينظر الطلاب إلى بعضهم البعض بمزيد من الأستغراب . تزداد الهمهمات ، أما الأب فيقف فى وسط الطرقة ويقول سكوت ، سكوت وهدوء من كل الناس إلا يتحرك أحد ! يتوقف الطابوران . وبصوت أكثر ثقة وبوجه أقل تبعيراً عن الغيظ يأمر : حسن، إنتظروا الآن ، لايتحرك أحد ، ثم يتقدم بخطى واسعة فى الظل الكثيف للطرقة ، ينظر إليه الطلاب فى صمت . وعند يرى هكذا يخرج المرء بانطباع خاطىء بأن هذا الأتجاه الذى يسير فيه يمكن أن يؤدى به إما إلى بداية الطوابير أو إلى نهايتها . وأيا كان الأمر فأن الطلاب ظلوا بلاحراك ينتظرون وهم يتهامسون فيما بينهم . سيطرت العصبية على الوجوه والنظرات حتى أن السؤال المكرر يشبه كرة السلة : ماذا يحدث ، ماذا يحدث ، ماذا يحدث ... لا أعرف . يقول الطالب ذو الشعر الأحمر للطالب ذى البنطلون الواسع . همهمة وضحكات وجلبة ... إسكتوا، تباً . قالها أحد الطلاب الذين يرتدون الزى . لكن لم تفلح كلمته. وفجأة يخيم الصمت من جديد، فى نهاية الطرقة بأكمالها دون أن ينظر لأحد ودون أن ينبس بشىء ، وأخيراً يتوقف فى الطرف الآخر . يصفق وعندما

سمع الطلاب ذلك إستأنفوا مسيرتهم فى الحال . لابد أن أحداً يعرف ماحدث ، قالها الطالب ذو البنطلون الواسع . يتحرك الطابوران بأنتظام ويبدو أن التوتر قد زال بالكامل . هناك فقط بعض الهمهمات التى يطغى عليها صوت الخطوات ... وبشكل إرتجالى ينظر ذو البنطلون الواسع الى ذى الشعر الأحمر . ينظر ويقول يفزع . إن الطوابير لم تتجه إلى المصلى ، بل عادت إلى السلم الحلزونى ، وهى تصعد الآن ببطء وإنتظام . لا أفهم شيئاً . يقول ذو الشعر الأحمر . أما ذو البنطلون الواسع فيقول : ولا أنا ، ياله من مشكل . يصعد دون أن يسند يده على الدرابزين .

قبل أن يظهر الأب ذو الحاجبين الكثين والخدين البارزين نازلاً من أعلى السلم بين الطابورين ، فأن صوته قد سبق وسمعه الطلاب : ألا يتحرك أحد . ألا يتحرك أحد . وألح على هذا الأمر ، وأخذ يتقدم نحو الرواق وهو ممتقع الوجه بينما أخذ الطلبة يتوقفون . تزداد أمامى الصعوبات لفهم مايحدث . يقول ذو الشعر الأحمر ، أما الطالب ذو الأنف المقوس والعينين المحمرتين فيقول : هنا يحدث أمر ما ، ثم يضيف: يحدث شيء غريب جداً . ينظرون إلى بعضهم البعض ، علامات جديدة تدل على الأستغراب .همهمات جديدة . تعليقات جديدة لكنها لاتتوقف ... يسود هرج ، وفجأة تسير الطوابير ، وعلى السلم حيث يصعد ذو الشعر الأحمر وصاحب الأنف المقوس وصاحب البنطلون الواسع ... إلخ.

لم يتم تلقى أية أوامر بهذا الصدد ، فلم يمر أحد الأباء هناك، لكن الأحتمال كبير فى أن يكون الأمر قد آصدره وهو لازال بعيداً عن السلم . وبالطبع فإن الطلاب الذين كانوا على الدرجات الأخيرة للسلم - عندما إستأنفوا السير - أخذوا يتحركون بشكل فيه تقليل لزملائهم فى المواقع الأمامية للطوابير وبحيث لايرون من المكان الذى وصل إليه ذو الشعر الأحمر وذ البنطلون الطويل وذو الأنف المقوس ...

ونتيجة لهذا - أى لتقليد كل طالب لسابقه فى الطابور - فإن الطوابير صعدت فى إتجاه طرقة الدور العلوى حيث أخذ ذو الشعر الأحمر يلمح ضوء المكان . ومع ذلك فالطوابير لم تواصل سيرها نحو طرقة رواق الأدارة كما بدا ذلك بل إتجهت نحو اليسار ودخلت فى ممشى تحيط به صومعات على الجانبين ، وأن هذا الممشى يشبه إلى حد كبير تلك الأخرى الواقعة فى الجناح الأيمن وخاصة عندما تتم مغادرة طرقة درواق الأدارة. إلا أن هناك فارقاً : الا وهو أن الصومعات غير مرقمة . وهذا ماحداً يصاحب الأنف المقوسة أن يلفت إنتباه من هم قريبون منه . أدى ذلك إلى أن يأخذ الطلاب فكرة عن وجود مجموعة من الطرقات متشابهة موجودة فى هذا الجزء من الدير لم يدخلوها من قبل . كم عددها ؟ أهى كثيرة مثل الجانب الخر ؟ ربما إفترض هذا الطالب ذو البنطلون الواسع ، لكن إتفق باقي الطلاب أن التساؤل غير مجد فالدليل واضح على كثرة عدد

الطرقات هنا . وهى طرقات طويلة ، وهذا هو ماقاله بالفعل الطالب ذو الشعر الأحمر إذ لم يشك فى ذلك لاهو ولازملائه .

يتقدمون ببطء وإنتظام وقد هدأت أعصابهم من جراء ماحدث قبل ذلك . إذ يبدو أنه قد تم حل الأمر : فلم يكرر أى من القسس طلبه لهم بالتوقف ، ومن الضرورى الأعتقاد بأن واحداً منهم أعطى أوامره بأن يأخذ الطلاب المسار الذى هم فيه أيا كانت نهاية المطاف . يبدو أنه تم حل الأمر ، عبارة تناقلها الطلاب فيما بينهم فى صورة إشارات أكثر من الكلمات ، إذ أن حركة الطوابير ربما جعلت الطلاب يشعرون أن عليهم السير فى صمت . وأخيراً يسمع الصوت الرتيب للخطوات . عاد الطالب ذو البنطلون الواسع إلى السير على شكل قفزات . ماهى الأسباب التى حدت بهم القيام بهذه اللغة - إنها لغة بالفعل ذلك أن أحد لم يشك لحظة أنهم فى تجاه المصلى لأداء الصلوات لليوم الثانى رغم أنهم أخذوا مساراً مختلفاً - إفترض الطلاب أن من يقدر على شرح الأسباب إنما هم القساوسة والطلاب الذين هم فى المواقع الأولى للطوابير . سنعرف ذلك ، قالها الطالب ذو الشعر الأحمر . يخيم إحساس بالهدوء والطبيعية على وجوه الأولاد وعلى سيرهم الطبيعى ... وفجأة يظهر ذو العينين الباروزتين . أتى جرياً فى نفس إتجاه الطوابير - آخر مرة رأوه فيها كانت عندما تقدمهم - وأخذ يصيح بكل ما أوتى من قوة : توقفوا ! توقفوا! أستحلفكم بمحبة الله أن تتوقفوا ! . شعر الطلاب بالهلع والفزع - ربما

بسبب نبرة الكدر فى صوته أكثر من الأمر الصادر - وقد جهلوا مايحدث، لكنهم ، وقد شعروا بأن الأمر خطير ، توقفوا فى الحال بينما إستمر الأب ذو العينين البارزتين فى جرية وترديد ندائه بالتوقف بصوت فيه كدر : توقفوا توقفوا أستحلفكم بحب الله أن تتوقفوا ...يختفى عن الأنظار فى نهاية الممر ويتحول إلى عباءة من الستان ، بينما أخذ الطلاب الذين هناك ينادون على زملائهم - بالأشارة والوصت - الذين هم فى الطرقة التالية ولايرون من الموقع الذى فيه كل من ذى الشعر الأحمر والبنطلون الواسع والأنف المقوس ... إلخ . ولا يدرى أحد فى أى إتجاه ونحو أى مكان يتجهون . يبدأ الهرج من جديد والأسئلة التى لاتجد إجابة . يضحك أحدهم . لكن يصمت الآن بعض الطلاب وأخيراً تصمت الأغلبية العظمى وقد أصابهم الفزع لما يحدث . من هم فى أول الطوابير؟ ربما كانوا يعرفون السبب وربما كانوا يتحملون بعض المسئولية فيما يحدث . يسأل ذلك ذو الشعر الأحمر لكن ذا الأنف المقوس يذكره أننا لسنا فى المدرسة بل نحن فى الدير لأداء الشعائر الدينية طوال الأسبوع وبالتالى فنحن لانتذكر بعد بسهولة من هم الطلاب الذين يسكنون الصوامع الأولى . تعود الطوابير للسير بشكل إرتجالى . يجر الطلاب أقدامهم بينما أخذ البعض يضحك والبعض ينظر بفزع .

توقفوا ! توقفوا ! إنه الآن صوت الأب ذى الحاجبين الكثين . تتوقف الطوابير . وبعد ذلك صفق الأب ويأمر بفض الطابور . لكن لم

يتحرك أحد . أخذ يكرر : إنصراف . ألم يسمعونى ؟ إنصراف ، لكن لم يتحرك أحد . أخذ الطلاب ينظرون لبعضهم . إعتلى وجه الأب الغضب والإحمرار وأخذ يكرر الأمر الذى لاينصاع إليه أحد . خرج عن شعوره، إحمر وجهه غيظاً وتوجه نحو طالب بدين وجهه غير معبر ويسأله لماذا لاتنصرف سيادتك حسبما أقول . فرد عليه الطالب وهو خائف ويتلعثم : لايمكننى ، لايمكننى ، رفع يداه مهدداً كأنه يهم بضربه وإنحنى عليه وصاح بعنف : قلت إنصراف . فقال الطالب باكيا: لايمكننى ، لايمكننى . ينظر الآخرون بترقب شديد . أخذ القسيس الآن ، الطالب البدين من ذراعه وجذبه لكنه لم يستطع أن يخرجه من الطبور ، بينما أخذ الطالب يبكى ويصيح بأنه يؤذيه وهو لايمكنه . أخذ الطالب يكرر ذلك فى الوقت الذى يجذبه القسيس من ذراعه بكل ما أوتى من قوة، وقد إحتقن وجهه. ظهر القسيس ذو العينين البارزتين والجبهة العريضة وتدخل بين الطرفين. إتركه . الاترى أنك تؤذى الفتى ؟ وكأن الأب ذا الحاجبين الكثين قد ثاب إلى رشده فقال : أعتذر ، آسف ... فقال ذو العينين البارزتين : لايجب أن نفقد هدوء أعصابنا ، ثم توجه إلى الطلاب بصوت عال متسائلاً لماذا أخذوا يسرون فى آخر مرة . نظر الطلاب إلى بعضهم البعض ، يهزون اكتافهم ، واقتصر البعض منهم على القول بأنه فعل مافعله زملاؤه الذين هم أمامه . وكأن القسيس ذا العينين البارزتين كان يتوقع مثل هذه الأجابة فربما سمعها من الطلاب الذين هم فى المقدمة فقال بلطف وحزم :

فنجرب الأمر من جديد ولتضعوا كل إرادتكم معى عندما أقول لكم إنصراف . الآن ! إنصراف ! وصفق مرة واحدة . بذل الطلاب جهداً ملحوظاً فى الأنصياع لأوامره وتمايلوا كأنهم يحملون عبئاً ثقيلاً وأخذوا يئنون لكن كانت هناك قوة خفية تمنعهم من مغادرة الطابور . وبوجه متجهم قال لهم القسيس ذو العينين البارزتين بأن يتركوا الأمر . يسأل أحدهم ماذا يحدث يا أبى ، فيتردد هو قبل الأجابة وفي النهاية يجيب بنبرة صريحة بأننا لانعرف، فيسأل ذو الشعر الأحمر من هم فى أول الطوابير فيجيب الأب ذو الحاجبين الكثين بأننا لانعرف أيضاً، فقد إختلط من هم فى أو الطوابير مع من هم فى آخرهم حتى أن الطوابير أصبحت خطاً مستمراً لاينقطع فى كل طرقات ودهاليز الدير . ومايحدث الآن هو أن الطوابير لاينصرف منها الطلاب كما أنها تسير وحدها بشكل غير مفهوم بغض النظر عن التعليمات التى يصدرها القساوسة ورغبة الطلاب أنفسهم . بتبادل نظرة مع القسيس ذو العينين البارزتين الذى يبدو – من عينيه البارزتين – أنه يؤنبه على كل ماقاله ، وبنبرة تنم عن الندم قال ذو العينين البارزتين . لاتقلقوا – قالها لمن يريد أن يقول أى شىء . ثم أخذ كلا الأبوين مسارهما نحو الأمام وقد لملم كل جلبابه الستان . إنتابت الطلاب البلاهة والفزع . يحاول بعضهم الآن أن يخرج من الطابور بأن ثنى جسده بكل قوة لديه لدرجة أنه حاول أن ينتزع نفسه بإستعمال ساقه كوسيلة للخروج والاتكاء بيده على الحائط حتى يخرج .

يتخلون عن المحاولة . يجفف ذو الشعر الأحمر عرقه ، وأخذ ذو البنطلون الواسع يبكى فى صمت ويصح الطالب البدين ماذا يحدث لنا . تسمع صيحات أخرى للطلاب من بعيد . أما صاحب الأنف المقوس فيقول : ليتنى أكون الآن مع أبوى فى المنزل ، لكنهم جاءوا بى إلى المدرسة الداخلية ... يأتى القسيس ذو الحاجبين الكثين . هدوء ، هدوء يا أبنائى ، ينصحهم . إهدأوا وسوف ينتهى ذلك الأمر فى الحال لكن أغلب الطلاب لايعيره إهتماماً : يواصلون صحاتهم أو بكائهم .

عظيمة هى سطوة العادات . إذا إستطاع الطلاب بعد بضع ساعات أن يتعودوا بدرجة ما على الوضع الجديد . تتحرك الطوابير من حين لآخر ويأخذ الأباء فى إصدار الأمر بالتوقف جيئة وذهاباً ، ويتمكنون من إيقافها . ويبدو أنهم إستطاعوا السيطرة على الموقف خصوصاً بالنسبة للتوقف : لايمكنهم صوف الطوابير لكنهم قادرون على إيقافها فى لحظة معينة . ومن نهايات الطرقات والدهاليز يستخدمون أيديهم كأنها مكبرات صوت مبلغين الأوامر التى يصدرها القسيس العميد لمواجهة المتطلبات الجديدة بشكل عملى . تلح التعليمات على ضرورة عدم التوقف عن أداء الشعائر الدينية . وبناء على تلك التعليمات قام الخدم ومن يعملون فى المطعم وباقى طاقم الخدمة بعمل شبكة من مكبرات الصوت حتى يمكن بأسرع وقت ممكن - إستئناف محاضرات وعظات اليوم ، وكذا حتى يتمكن الطلاب غداً من حضور القداس غداً إذا ما

إستمرت الأمور على ماهى عليه . والأكثر من هذا : أنه وزع على كل طالب إناء للتبول ووسادة صغيرة وكيساية طعام من تلك الأكياس التى تستخدم عند الخروج فى رحلات . وعندما تم تجهيز كل شىء شعر الطلاب بالهدوء . فلا أحد يبكى فقد أسندوا المخدة على الحائط ، وكيس الطعام فى يدهم وإناء التبول فى اليد الأخرى وأصبح كل واحد منهم مثالاً للإمتثال للأوامر . وكل هذا إنما هو نموذج للتنظيم العملى والفعال والأرضى . لكن كانت هناك مشكلة ! ماذا سيحدث لو أقبل الليل وهم فى هذا الحال ؟ هل يمكن للطلاب أن يناموا أو أن تظل الطوابير فى سيرها دون أن تكون هناك مبررات لذلك ؟ . ثم حل هذه المشكلة أيضاً . فقد أمر الآباء الكلاب بأن يضعوا الوسادات على الأرض ويناموا وهكذا فعلوا ما أمروا به دون مصاعب . وطوال ساعات وساعات جرى القساوسة فى الدهاليز والطرقات وهم يخشون أن تعود الطوابير للحركة من جديد لكن لم يحدث ذلك الأمر : إذ نام الطلاب نوماً هادئاً وعميقاً فهم مجهدون ومرهقون بما مر عليهم أثناء النهار . كان الأمر طبيعياً لدرجة الكمال حتى أن بعض الأباء أهملوا دورهم فى الحراسة وذهبوا إلى صومعتهم ليناموا هنيهة وقد شعروا هم أيضاً بالأرهاق والتعب . هل أنت متعب أيها الأب إستيبان ؟ سأل الأب ذو العينين البارزتين الأب ذا الحاجبين الكثين . نعم يا أب ماركوس ! مثل سيادتك ومثل الآخرين ... لكن ربما أسوأ شىء ليس هذا بل فى لحظات كهذه تنتابنى شكوك

وأتسأل وأنا خائف فيما إذا كنا حقاً نقوم بواجبنا التربوى خير قيام أم لا. فقال الأب ذو العينين البارزتين مقللا من أهمية الموقف : إنك متعب ياسيدى ويجدر بك أن ترتاح ... فمهنتنا ستظل بذل أقصى الجهد . وضع الآخر يده على جبهته مؤكداً ماقاله الآخر : بذل أقصى الجهد ، وهو يتوجه إلى صومعته مطاطىء الرأس .

المراجع

تجدر الاشارة إلى آننا إعتمدنا على الكثير من هذه المراجع إلا أننا حرصنا الى بعضها بطريقة غير مباشرة

(1) Aldecoa , Ignacio " Cuentos commpletes I y II Alianza editorial - Madrid , 1985 .

(2) Anderson Imbert , Enrique " teoria y tecnicadel cuento " Buenes Aires - Marymar 1979- 416 PP.

(3) Baquero Goyanes , Mariane " El cuento espanol en el siglo XIX CSIC - Madrid , 1949.

(4) Baquero Goyanes , Mariano " Estudio preliminar " de "Antologia de cuentos contemporaneos " Barcelona - Labor , 1964 .

(5) Barrero perez , Oscar " El cuento espand (1940 - 1980 - Castalia - Madrid , 1989 .

(6) Berlanga , Andres " Sobre el cuento " Insula (Ibid , 1988) .

(7) Brandenberger , Erna " Estudios sobre el cuento espanol contemporaneo " Madrid - Editora nacional , 1973 .

(8) Cachero . J. M a Martinez " Histovia de la novela espaniala entre 1936 y 1975 - Marid , 1980 .

(9) Consuegra , Victor L. Sanz " Seleccion de cuentos andaluces " - Imprenta sam pablo Cordoba , 1985 .

(10) Fernandez Santos Jesus " Siete narraderes de hoy tourus - madrid , 1983 .

(11) Fraile , medardo " El cuento y su categoria literaria " Informaciones 22 / 10/1955 " los recuentos inutiles . Solne el cuento espanol contemporaneo " Atlantida 3/1990 Julio - septienbre 1990 PP. 95 - 100.

(12) Fraile , Medardo " El cuento espanol de posguerra " Catedra - Madrid , 1986 .

(13) F.S.R " Cuentistas espanoles del sigloaguilar - Madrid , 1960 .

(14) Grosso , Alfonso , " Relates espanoles de hoy" (Biblioteca pepsi) Santillana Madrid , 1970 .

(15) Conzalez , Joseluis " Papeles Sdore el cuento espanol contemporaneo" Hierbaola ediciones - Parnplonea , 1992 .

(16) Martirn Gaite , Carmen " Cnentos completos Aliamza editerial - cuarta edicion Madrid, 1984 .

(17) Mateo , luis " Contar algo del cuento " Insula n 495 febrero 1988 P 22 .

(18) Marino , Jose Maria " El cuento : narracion pura" Insula N - 495 - Febrero 1988 , pa 21 .

(19) Nogales , Jose Luis Martin " Los cuentos de Ignacio Aldecoa - Catedra - madrid , 1984 .

(20) Nora, Eugenio de " La novela Espanola contemporanea I , II y II - Segunda edicion - Gredos Madrid , 1968 .

(21) Pavon , Francisco Garcia " Antologia de cuentistas espanoles contemmporaneos " I y II . Tercera edicion - Gredos - Madrid , 1984 .

(22) Rodriguez M. Diez " Antologia del cuento literario " Alhambra (tercera edicion) Madrid , 1988 .

(23) Robledo , Carlos de Arce " Cuentistas contemporanes " Rumbos - Barcelona , 1958.

(24) Sainz de Robles , Federico carlos " La Promocion de " El cuento Semanal " (1907 - 1925) Madrid Espasa calpe 1975, col Austral n 1592 .

(25) Sobejano , Gonzalo " Direcciones de la novela espanola de posguerra " pag 47 y 22 ." a traves de "Novelistas espanoles de posguerra " I - Taurus - Madrid , 1976 .

(26) Tijeras , Eduardo " Ultimos rumbos del cuento espanol "Buencs Aires - Columba , 1969.

(27) Valcarcel , Carmen de Mora " Teoia y practica del cuento en los relatos de cortazar - Sevilla Escuela de estudios Hispaneoamericanos , 1985 (PP. 19 - 39y47 - 51) .

(28) Villanueua , Santes Sanz " Historia de la novela social espanola (1942 - 1975) I y II Alhambra - Madrid , 1986 .

(29) Villanueva , Santes Sanz "Histaria de la literatura espancla 612 - Ariel Barcelona 1985 (Segunda edicion) .

(30) Villanueva S.S. " Historia de la literatura Espanola" 612 Ariel Barcelona , 1986 .

الفهرس

مكتب الحسينى للكمبيوتر
١ عمارة نجمة الميدان - باب الشعرية
تليفون : ٥٨٨٠٤٥١

رقم الإيداع ٩٤/٤٠٨٤
I.S.BN.977 - 00 - 6902 - 7

